محمد بن عبد الوهاب

مُصلح مَظلوم ومُفترى عليه

تأليف

الأستاذ مسعود الندوي

رحمه الله

ترجمة وتعليق

عبد العليم عبد العظيم البستوي

مراجعة وتقديم

الدكتور / محمد تقي الدين الهلالي

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بالجامعة

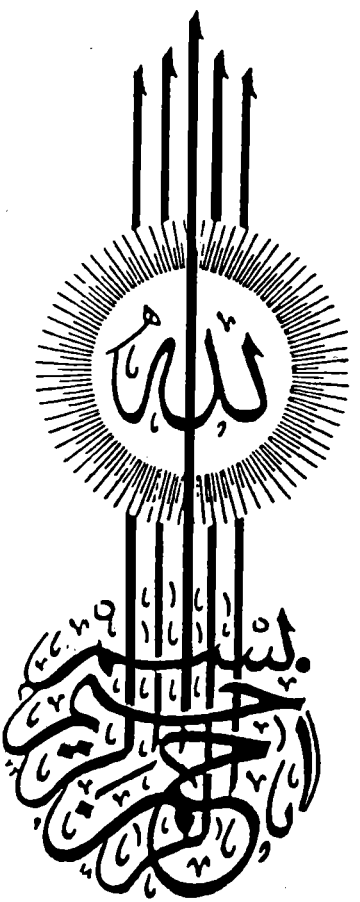
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم معـالى مديـر الجامعـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . . وبعد :

فلم تحظ دعوة من الدعوات الاصلاحية وخاصة فى الوقت القريب بما حظيت به دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ السلفية الاصلاحية . التى أشرقت شمسهـا فى سماء الجزيرة فجلت كل ما هو موجود بأرضها من الضلالات والبدع وأخلصت الـدعوة للواحد الأحد وأخذت تنتشر في بقاع العالم ويرحب بها ويسير على نهجها كثير من علماء المسلمين ودعاتهم في أماكن مختلفة من البلاد الإسلامية .

وقد كانت الدولة السعودية ـ منذ حكمها الميمون لهذه الجزيرة ولا تزال ـ السند الأهم والأقوى لهذه الدعوة السلفية المباركة، حيث الحكم المطلق لشرع الله المطهر وتطبيقه فى جميع شؤون الدولة والرعية ، فكانت بحق دولة الاسلام وتطبيق شريعته .

وقد تناول هذه الدعوة المؤرخون والمفكرون والباحثون والكتاب في جميع أنحاء العالم على تعدد لغاتهم واختلاف ميولهم ومذاهبهم بالتحقيق والتحليل والتمحيص والنقد فمنهم من وفقه الله لقول الحق دون تحيز أو تعصب ، ومنهم من اتبع هواه فألصق بالدعوة والقائمين عليها التهم الباطلة ونسبوا الى الشيخ الكثير من الأقوال التي لم تصدر عنه . . وعلى الرغم من كثرة الافتراءات التى وجهت الى الشيخ والى دعوته من أعداء الاسلام حيناً ومن أهل الإسلام الذين استمرأوا البدع والخرافات أحياناً أخرى فقد قيض الله من يتصدى لهذه الافتراءات والأكاذيب ويكشف زيفها وضلالها بالحجة الدامغة والقول الفصل . . ولعل من أهم الكتب التى تصدت لهذه المـزاعم وكشفت كل الـدعـاوى والأكاذيب الموجهة اليها كتاب الاستاذ الفاضل الشيخ / مسعود عالم الندوى ـ رحمه الله والذى ألفه باللغة الأردية وجمع فيه الكثير من المسائل التى أثيرت حول الشيخ ودعوته في الكثير من الكتب وبلغات مختلفة ، وقد ناقشها مناقشة العالم المنصف من غير تحيز ولا تعصب واستطاع بما حباه الله به

من العلم وسعة الاطلاع آن يفند الافتراءات الموجهة لها والأكاذيب المختلفة حولها مدعمًا نفيه بالبراهين القاطعة وبشهادات شهود العيان من المسلمين وغير المسلمين .

ولأهمية إطلاع قراء اللغة العربية وغيرهم على هذا السفر العظيم فقد قام الشيخ / عبدالعليم بن عبدالعظيم البستوى ببذل الجهود الكبيرة لترجمته إلى اللغة العربية لتعم فائدته جميع طلاب العلم والباحثين عن الحق والحقيقة وليعرف دعاة اليوم أن طريق الهدى والحق طريق واحد يتحمس في الدفاع عنه كل مخلص لدينه من أبناء الإسلام في كل زمان ومكان وبكل لسان دون النظر الى رابطة غير رابطة العقيدة والدين ، ودون انتظار أجر أو مكافأة وانما نصرا للحق وأداء للواجب وانتظارا للجزاء من الله سبحانه وتعالى .

وقد راجع الكتاب وقدم له عند صدوره عام ١٣٩٧هـ فضيلة الدكتور / محمد تقي الدين الهلالى جزاه الله خير الجزاء .

وبعد أن مضت مدة طويلة على صدور الكتاب بطبعته الأولى رأت الجامعة أن مثل هذا الكتاب جدير بالاهتمام واعادة النشر بعد أن يتم تصويب بعض الملاحظات التى فاتت على المؤلف والمترجم .

فأحيل الكتاب إلى كل من فضيلة الشيخ / اسماعيل الأنصارى ـ وفضيلة الشيخ عبدالعزيز الرومي، وقاما مشكورين بمراجعته والتنبيه على بعض الهفوات التى ظهرت فى الطبعة الأولى . أثابهما الله على مابذلاه من جهود ليخرج الكتاب بصورة تناسب أهميته العلمية الكبيرة .

والجامعة اذ تقدم الكتاب فى طبعته الجديدة وفاء لصاحب الدعوة واسهاما فى القيام بالواجب المناط بها باعتبار أنها مؤسسة علمية كبرى تعنى بالدعوة الإسلامية وتعمل لإعداد الدعاة الى الله تعالى ترجو من الله العلي القدير أن يجعل عملها خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به عموم المسلمين انه سميع مجيب .

والله ولينا ونعم المولى ونعم النصير . ، ، ،

مدير جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية
د . عبدالله بن عبدالمحسن التركى

مقدمة

بقلم العلامة الأديب الدكتور محمد تقى الدين الهلالى

الحمدلله الذى نصر نبيه وخليله محمداً ﷺ بالرعب مسيرة شهر وجعل النصر حليف من اتبعه إلى آخر الدهر. وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم صلاة وسلاما بلا حصر.

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه المتعالى محمد تقى الدين الهلالى :

لا يخفى أن الامام الرباني الأواب محمد بن عبدالوهاب قام بدعوة حنيفية جددت عهد الرسول الكريم والأصحاب. واسس دولة ذكرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين وقهرت الشياطين. وأحيت ما اندثر من علوم كتاب الله وسنة النبي الكريم. ولا شك أن معرفة أخبار هذه الدعوة وصاحبها تهم كل طالب علم من الموافقين والمخالفين بل من المسلمين والكافرين وكذلك وقع، فان المؤلفين في تاريخ هذه الدعوة المباركة لا يحصون كثرة من جميع اجناس بنى آدم على اختلاف لغاتهم وميولهم واذواقهم ما بين قادح ومادح ومتوقف محايد. ومع كثرة التآليف التى صنفت فى هذا الباب منها المطول الذى يستغرق مجلدات ومنها المتوسط ومنها المختصر، لا تكاد تجد من بينها كتابا جامعا لأشتات المباحث مع المقابلة والنقد والتحقيق والتمحيص. ويصعب على طالب العلم أن يقرأ كل ما ألف في ذلك وأن يحيط بها هنالك ولو فرضنا أنه استطاع قراءة ذلك لشقت عليه المقابلة واستخراج الحقيقة من بين تلك الآراء المتضاربة. فبقي طلاب الحقيقة والتلخيص في حاجة إلى من يستخلص لهم زبدة أخبار هذه الدعوة وخلاصتها بدون تحيز ولا تعصب. وهذا نادر ولا نقول إنه معدوم.

وقد وفق الله تلميذى البر الاستاذ الأديب مسعود عالم الندوى إلى القيام بهذا العمل الشاق فبلغ فيه ذروة النجاح وافلح فيه غاية الفلاح بعد ما طالع بامعان وتحقيق

أكثر من سبعين كتابا بلغات مختلفة واستخرج منها المسائل المهمة في العقيدة والتاريخ تاريخ الدعوة وتاريخ ملوك آل سعود من أولهم إلى يومنا هذا وما جرى بينهم وبين خصومهم من حروب ومهادنات باختصار غير مخل وأسلوب غير ممل. فوضع بين أيدينا تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما نتج عنها من فتوح دينية ودنيوية ووضع المسائل التى اختلف فيها المؤرخون في ميزان الذهب حتى حققها غاية التحقيق ونفى افتراء الاعداء وأكاذيبهم بالبراهين القاطعة وبشهادات شهود العيان من المسلمين وغير المسلمين.

ومليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ما شهدت به الاعداء

وكنت عالما أن تلميذي الأستاذ مسعود عالم الندوى ألف هذا الكتاب وسماه «محمد بن عبدالوهاب» المصلح المفتري عليه، ولكن لما كان بلغة اردو لم أقرأه. وما كنت أظن أنه بلغ في العلم والتحقيق وسعة الاطلاع إلى هذا الحد الذى رأيته فبهرني. «ذلك فضل الله يوتيه من يشاء».

وقد اتحف مسعود عالم بهذه التحفة قراء لغة «أردو» منذ زمان وحرم منها غيرهم مع أن جميع طلاب الحقيقة فى أشد الحاجة إلى هذا الكتاب. اذ يصعب بل يستحيل أن يجدوا هذه المسائل محققة كما هي، مجتمعة فى كتاب واحد لا تزيد صفحاته على مائتين. فالفضل لله سبحانه وتعالى في اخراج هذا الكتاب ثم لمسعود عالم الندوى وقد كان أفضل تلامذتي في كلية ندوة العلماء التي دعاني الى التدريس فيها بل إلى رئاسة أساتذة الادب العربي فيها الاستاذان الجليلان السيد سليمان الندوي والدكتور عبدالعلى رحمة الله عليهما. فأقمت فيها من أول سنة ١٣٤٩هـ إلى شعبان من سنة ١٣٥٢هـ وما رأيت فى الاجتهاد والتحصيل مثل مسعود عالم. وكان كذلك مخلصا ايضا في دينه وذا اخلاق كريمة وشجاعة لا يخاف في الحق لومة لائم. ولم يقتصر على ما حصله على يدى في تلك المدة بل سافر من الهند الى بغداد وأقام عندى سنة وبصحبة الاستاذ عاصم الحداد. فلازم دروسي فى المسجد والبيت ولم أر فيه نقصا الا التعصب للمذهب الحنفي. فقد كان يخالفنى فى هذا الباب مع شدة احترامه لى.

ولما ورد بغداد قال له احد كبار علماء الحنفية كيف تصاحب هذا الرجل وهو يطعن في مذهب أبى حنيفة رحمه الله وقد انتقده استاذنا الكوثرى؟ فقال له مسعود عالم رحمه الله! إليك عنى أنا اعلم به منك ومن الكوثري.

ولكن هذا النقص أبى الله الا أن يرفعه عنه قبل وفاته فإنه كان رحمه الله أحد رؤوساء الجماعة الاسلامية التى يرأسها الاستاذ الزعيم المودودى. فلما قبضت الحكومة الباكستانية على المودودى قبضت عليه وبقي سنين في السجن فلم يجد سبيلا إلى التأليف فعكف على نيل الاوطار للشوكاني فتبين له ان التعصب للمذهب لا يرضاه الله تعالى ولا يرضاه السلف الصالح ومنهم الامام أبوحنيفة نفسه فرجع عن التعصب واتبع الكتاب والسنة ومات على ذلك. رحمة الله عليه.

وأما قول ذلك العالم الحنفى انني اطعن في مذهب أبي حنيفة فهو فرية بلا مرية. فانني لا اختلف مع أبي حنيفة رحمه الله حتى اطعن فيه لان الاختلاف الذى يوجب العداوة انما يكون فى العقائد لا في الفروع وأبوحنيفة رحمه الله لا يخالف عقيد السلف من الصحابة والتابعين وسائر الائمة المجتهدين مثقال ذرة. فأنا لا اطعن في مذهبه ابدا. أما مخالفته في الفروع فإن كانت تعد طعنا فأول طاعن في مذهبه محمد وأبو يوسف، فقد خالفاه فى ثلث المذهب وقيل فى ثلثي المذهب.

وإذا كان الفضل فى اخراج هذه الدرة الثمينة يرجع إلى تلميذي مسعود عالم الندوى فإن الفضل فى اخراجها من عالم العجمية إلى عالم العربية يرجع إلى تلميذى عبدالعليم بن عبدالعظيم المتخرج في الجامعة الاسلامية فى السنة الماضية. وهو الاول من بين تلامذة الجامعة كلهم وهو الأن من طلاب الدراسات العليا فى جامعة الملك عبدالعزيز بمكة. فقد ترجم ترجمة فصيحه طيبة واطلعني عليها وقرأها من اولها إلى آخرها فاشرت عليه بتحسين بعض الالفاظ فجاء هذا الكتاب جوهرة نفيسة وتحفة لا تقدر بثمن، خصوصا وقد زينه المترجم بحواشي عديدة تكملة لبحث ناقص وايضاحا لشيء غامض وأنا أقترح على سماحة رئيسنا الجليل الاستاذ عبدالعزيز بن باز أطال الله بقاءه وأدام في سماء المعالى ارتقاءه أن يقرأ هذا الكتاب، وأن يأمر بطبعه ونشره لتعم فائدته جميع طلاب العلم من المسلمين وغيرهم. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين. املاه ضحوة يوم الجمعة الحادى والعشرين من صفر سنة ١٣٩٤هـ.

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله المرتضى ونبيه المجتبى محمد وآله وأصحابه الطاهرين وعلى من اتبعهم باحسان إلى يوم الدين.

وبعد: - فان من نعم الله على الناس أنه لم يتركهم بعد ما خلقهم حيارى يتيهون في ظلمات البر والبحر بدون هدي ولا كتاب منير، بل أرسل إليهم من أنفسهم رسلاً ليرشدوهم إلى الحق، وينقذوهم من الضلال. وكان آخرهم رسولنا المصطفى محمد ﷺ وقد أكمل الله به الدين ورضي الاسلام ديناً إلى يوم القيامه وأنتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد ما تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وضمن الله تعالى حفظ الاسلام ورعايته إلى يوم القيامة فخلق علماء جهابذة في كل عصر يتبعون سنة النبي الكريم ويحيون ما اندرس منها ويبينون للناس معالم الهدى والرشد ويردونهم إلى السنة النبوية بعد ما غفلوا وجهلوا فقد قال الله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وقال رسول الله ﷺ «إن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]

ومازال علماء الحق ودعاة الرشد يبذلون جهودهم لحماية عقيدة الاسلام وشريعته إلى يومنا هذا فيردون كيد الكائدين وانحراف الزائغين ويذكرون الغافلين. وكان من هولاء المجددين المجاهدين الامام شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب التميمى رحمه الله فقد ولد في عصر انتشرت فيه الضلالات ونسيت العقيدة الاسلامية الصحيحة.

ولما رأى محمد بن عبدالوهاب ان الشر قد اشتدت شوكته وضعف أهل الحق وجبنوا، قام بتوفيق من الله سبحانه وتعالى يردعلى الضلالات وينير مصابيح الهدى

---

(١) سنن ابى داؤود مع شرحه عون المعبود ١١/ ٣٨٥

فى دياجير الظلمات. ولكن الأمة الاسلامية التى كانت قد خرجت ترفع لواء التوحيد فى يوم من الأيام قد نسيت رسالته الخالدة فحاربته وقاومتة عن جهل وضلال.

ولقد أوذى محمد بن عبدالوهاب أشد الايذاء وعانى أشد المصائب والمحن ولكن مازال يستمر قدماً فى طريقه غير مبال بمخالفة ذوي الاهواء واستفزازات أهل المطامع حتى تبين الحق وتجلى. ورجع عدد كبير من الناس إلى تلك المحجة البيضاء التي تركهم عليها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وعم فى العالم الاسلامى نور الهدى والرشد واستيقظ المسلمون من سباتهم. حتى بدت تباشير النهضة الاسلامية الشاملة التي نشاهدها فى العالم الاسلامى وحتى قامت تلك الدولة الاسلامية التي طبقت الشريعة الاسلامية في هذا العصر وأصبحت نموذجا للآخرين وردت عمليا على كثير من الاوهام والشبهات التي كانت تثار الفينة بعد الفينة من أعداء الاسلام.

ولما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هكذا. ولما كانت نتائج هذه الحركة الاسلامية تبلغ هذا المدى، كان حقا على المسلمين عامة وعلى طلبة العلم خاصة أن يعرفوها ويقدروها حق قدرها ويقدموها لسائر الناس ويدفعوا عنها التهم والافتراءات التي مازالت تثار من جهة بعض الطامعين في الجاه والمال من العلماء والجهال.

وكانت هذه هي العوامل التى حفزتني الى دراسة سيرة هذا الداعية المجاهد وحركتنى إلى معرفة رسالته وطريقته في الدعوة والاصلاح. ولقد درست الكثير من الكتب التي الفت للبحث في سيرته ودعوته فرأيت ان كتاب الاستاذ مسعود عالم الندوى رحمه الله يمتاز من بين هذه الكتب بعدة مزايا: -

١ - إن المؤلف لا تربطه بالدعوة واصحابها أى رابطة وطن أو نسب فقد ألفه نصراً للحق وأداء للواجب بعيدا عن مركز الدعوة ونائيا عن اصحابها، ملتزماً التجرد والإنصاف في كل القضايا التي ناقشها وبحثها.

٢ - إنه اطلع على كثير من الكتب التي ألفت فى الردعلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب والطعن فى سيرته ودعوته وكذلك درس الكثير مما كتب في الرد على الكتب المذكورة وفي الدفاع عن الدعوة وصاحبها. وهكذا تمكن من تكوين آراء صائبة وسديدة وقلما يتسنى ذلك لغيره.

٣ ـ إنه اطلع على كثير مما كتبه السائحون والمؤرخون الاوربيون في هذه الدعوة وصاحبها وعرف موقفهم منها حسب مصالحهم المادية والسياسية ففتح بابا جديدا للبحث والتحقيق ودخل فيه فأتى بمعلومات لا تكاد توجد لدى غيره.

وكانت هذه هى المميزات ـ وكثير غيرها ـ التى دعتني إلى أن أقدم هذا السفر القيم إلى القارىء العربي. فاستعنت بالله العلي العظيم وبدأت أترجم الكتاب بالعربية رويداً رويداً حتى أكملته بفضل الله وكرمه.

وسيجد القارىء الكريم في هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته وأنها سيرة اسلامية مثالية ودعوة اسلامية خالصة. إنها دعوة تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الرقي والمجد والازدهار كما كانوا في القرون الأولى. إنها دعوة دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين وإن محمد بن عبدالوهاب لم يبتدع شيئاً من عنده ولا خرج عن عقيدة المسلمين التي اتفق عليها أئمة الإسلام كلهم.

نعم ـ قد كانت هناك شبهات اثيرت حول الدعوة والداعية في أيامها الأولى من قبل ذوى الأهواء والمضلين. وكانت هذه الشبهات والإفتراءات قد أضلت كثيراً من المسلمين في البلدان الإسلامية فوقعوا فى شك وارتياب من هذه الدعوة الكريمة.

لكن ـ والحمدلله ـ سحب الافتراءات قد تقشعت والظلمات قد تبددت. وقدوضحت الدعوة جلية نقية لكل ذى عينين وانتشرت رسائلها وكتبها فى جميع أنحاء العالم. فما بال بعض الناس لا يزالون يرددون ما ورثوا عن آبائهم ومشائخهم وقد تبين زيفه وخطؤه.

وأنا أدعو كل من يحمل في قلبه غيرة على الإسلام والمسلمين أن يدرس هذه الدعوة الكريمة التى أيقظت المسلمين وأن يدفع كل الشوائب العالقة بأفكاره عن هذه الحركة الاسلامية الخالصة. فإن الجهل والضلال لا زالا فاشيين فى كثير من طوائف المسلمين. ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تمر الآن بمرحلة خطيرة جداً في تاريخها ونحن بجهلنا وانحرافنا واختلاف كلمتنا نساعد الأعداء أكثر من مكايدهم ومكرهم عرفنا أم لم نعرف.

فلنستيقظ من سباتنا ولنراجع افكارنا ونصححها مستنيرين بنور الكتاب الكريم

والسنة النبوية ثم ندعو اليها سائر الناس. ولا نجاة للمسلمين إلا بهذا. ولا وحدة للمسلمين إلا بهذا.

فلنتمسك بكتاب الله ولنسر على السنة النبوية ونسأل الله التوفيق والسداد.

تنبيهات:

١ ان المؤلف رحمه الله نقل كثيراً من النصوص والاقتباسات من المراجع العربية والانجليزية. أما النصوص العربية فقد رجعت إلى مصادرها في الغالب وأثبتها بحروفها في الترجمة. ولكن النصوص الانجليزية لم أظفر بمصادرها إلا قليلاً ولذلك اضطررت إلى أن أترجم المعانى التى أوردها المؤلف في الأصل.

٢ ـ للمؤلف تعليقات كثيرة وقد ترجمتها كما كانت وقد أضفت بعض التعليقات من عندى حينما اقتضى الأمر. وكتبت كلمة «المترجم» في نهايتها وبهذا يمكن التفريق بين تعليقاتي وتعليقات المؤلف رحمه الله.

٣ ـ لقد أثبت أرقام الصفحات والسنين كما وجدتها مكتوبة في الأصل إلا ما تبين لي أنه تصحيف في الطبع ـ وهو نادر جداً ـ وذلك لأنه من المستحيل تقريباً أن يعود المترجم إلى كل المصادر التي ذكرها المؤلف وفى الطبعات نفسها ويقابل عدد الصفحات والسنين ولكن أرجو من القارىء الكريم أن ينبهني إذا عثر على خطأ من هذا القبيل وله جزيل الشكر.

وختاماً ـ أشكر جميع أساتذتي ورفقائي الذين ساعدوني فى إنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالذكر منهم أستاذي العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الذى قد أنفق كثيراً من أوقاته الثمينة واستمع إلى الترجمة من أولها إلى آخرها وأفادنى بكثير من الفوائد المهمة التى لا تكاد توجد عند غيره. فجزاه الله عني وعن المسلمين كل خير.

قسم الدراسات العليا الشرعية
جامعة الملك عبدالعزيز بمكة

عبدالعليم البستوي
٢٥/ صفر سنة ١٣٩٤هـ

محمد بن عبد الوهاب

مُصلح مَظلوم ومُفترى عليه

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

ما أعجب صنع الله في هذا الكون. لقد اراد الكاتب أن يكتب في حركة التجديد والامامة التي قام بها السيد أحمد الشهيد رحمه الله وأحوال المتبعين لخطواته ولكن ظهرت سيرة شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب.

وبيان هذا الحادث العجيب أن طالبين من دار العلوم لندوة العلماء أرادا (سنة ١٩٣٥) أن يرتبا تاريخ حركة التجديد والامامة التي قام بها الشهيدان أحمد البريلوى واسماعيل الدهلوى رحمهما الله تعالى رحمة الابرار الصالحين المجاهدين من عباده - فتصدى أحدهما لسيرة السيد أحمد واراد الآخر أن يبدأ عمله من مشهد بالاكوت.

لقد بدأ كل منهما في عمله. فأما المجتهد الجرىء والمخلص المجاهد فقد ألف سيرة الشهيد البريلوي (سنة ١٩٣٩م) وأعنى بهذا صديقي المخلص الأستاذ السيد ابا الحسن على الحسنى الندوى - أستاذ التفسير والأدب في دار العلوم ندوة العلماء وقد وصل كتابه الي أيدي أولى الفضل وصدرت له طبعتان في مدة قصيرة[٢].

وأما الثاني (المؤلف) فقد وجد عقبات فى كل خطوة. فقد كانت المعالم قد اختفت.. والذين رأوا أوعرفوا كانوا قد ناموا نومة سرمدية. والذين سمعوا مازالوا يهابون حتي الآن. لكن القلم المسافر لم ينس منزله فقد ظهرت نماذج البحث الأولية في مجلة «الضياء» (شعبان سنة ٥٤هـ) بعنوان «الحركة الوهابية السياسية»[٣] وفى مجلة «الهلال»

(٢) وهوفى لغة أردو. (المترجم)

(٣) يقصد السياسة الشرعية الإسلامية كما كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين والحمدلله فإن الدولة السعودية منذ عصر الشيخ رحمه الله وحتى يومنا هذا مازالت تحكم بشريعة الله دستورها هوكتاب الله وسنة رسوله وستظل على هذا المنهج بإذن الله تعالي ونسأل الله أن يمدها بالتوفيق والتأييد. (المترجم)

الصادرة فى بتنة بعنوان «الوهابية : حركة دينية وسياسية» وحظيت بالقبول والرضا في المحافل المختصة.

وفى خلال البحث مر ذكر الحركة الوهابية ـ كما يقال في الغالب ـ في نجد أكثر من مرة. وعثرت على إفتراءات وإتهامات لم أستطع ان أصبر عليها. وأكبر خطأ وقع فيه الصديق والعدو هو الزعم بأن حركة التجديد والامامة للشهيد أحمد إنما هي فرع للحركة الوهابية فى نجد. لا شك أن مأخذ الحركتين واحد، وهدفهما واحد والذين قاموا بهما كانوا من رافعي لواء الكتاب والسنة. وكل منهما كان مجاهدا متحمسا ولكن هذه حقيقة لا تجحد ان أحدهما ليست له أي علاقة ـ بعيدة أو قريبة بالآخر أعني أن أحدهما لم يستفد من آراء الآخر. فقد كانت تلكما الدعوتان كل منهما بعيدة عن الأخري وفي أحوال خاصة نشأت وترعرعت. ومع اتحادهما فى الأصل ـ اي دعوة الرجوع الى الكتاب والسنة ـ تظهر انطباعات محلية خاصة في كل من الدعوتين. وتختلف كل منهما عن الاخرى في كثير من الأمور الفرعية.

وقد قلت آنفا اني قد مررت على إفتراءات حول دعوة التجديد النجدية فلم استطع أن أصبر. وهكذا اضطر هذا العاجز أن يرتب الكتاب على قسمين. وان هذه الصفحات في سيرة شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب النجدى ودعوته هى المجلد الأول لذلك الكتاب المقترح. والمجلد الثاني سيكون فى حركة التجديد والامامة فى الهند من إستشهاد السيد أحمد (١٨٣١م ـ ١٢٤٦هـ) إلى سنة ١٨٧١م وأستعرض فيه الاعمال والجهود والخدمات استعراضا دقيقاً.

(٢)

وهنا أريد ان أوضح أمرا وهو أننى لا أقصد حينما أدون تاريخ الوهابية النجدية أو الوهابية الهندية أن أشعر الناس ان الحق قد انحصر في اتباع أحد هاتين الجماعتين أو أني أرى هاتين الجماعتين مدرسة خاصة أو مذهبا خاصا كالمدارس الفكرية الأخرى دينية كانت أو أدبية ـ يمكن ان يزعم هذا بعض الدعاة الخاملين أو الاتباع المتشددين ولكننى أرى ان التحزب يلحق بالاسلام والمسلمين اشد الضرر والحق عندى هو

اتباع الكتاب والسنة فقط. فلا أرى الرشد والهداية ملكا لجماعة فقهية أو مدرسية[٤] أو وطنية. إن الحق ليس ملك يمين نجد ولا الهند اشترته. فان تعاليم الله ورسوله ﷺ واضحة جلية والذى يتبعها اتباعا صحيحا يفوز بالرشد والفلاح.

وإني حينما أرتب تاريخ هذه الجماعات في نجد أو في الهند وأبرز معالمها الدارسة أقصد فقط أن أقدم سيرة مصلحين شهيرين في القرن الثاني عشر والثالث عشر وأتباعهما ولا أرى أيضا ان هناك مصلحين فقط في هذه القرون. ففي الهند الشاه ولى الله الدهلوى (١١١٤ - ١١٧٦هـ) وفي طرابلس محمد بن على السنوسي (١٢٠٢هـ - ١٧٨٧م) لهما شأن عظيم في التجديد والاصلاح. قد يقول قائل ان حركة السيد أحمد كانت صدى لدعوة الشاه ولى الله ولكن حتى بعد تسليم هذه الفكرة فان الطابع الخاص والتفردات الخاصة للسيد احمد لا تزال باقية. وكذلك جمال الدين الافغانى والامير عبدالقادر الجزائرى هما موضع حب لجماعة كبيرة - وبحق - في لون آخر من الاصلاح والتجديد.

وكذلك لا أرى أن هاتين الجماعتين في نجد أو في الهند معصومتان عن كل خطأ أو زلل. أما الغلو والتشدد في أهل نجد فحتى الاصدقاء يشكون منهما[٥] وكل ما أقول انهما كانتا جماعتين مخلصتين قامتا لله ولم تألوا جهدا في سبيل اعلاء كلمة الله فى حدود المساعى البشرية. فعلينا أن ندرس اعمالهما. اما مجرد الاقتناع بما يسمع أو بدعاية الاعداء والمشايخ الجهال والمتصوفه فإنه ليس من شيمة طلاب الحق.

واني قد اجتنبت - قدر الامكان - ابداء رأيي في الكتاب. وقد حاولت أن ارتب الاحوال والافكار على اساس من المراجع المعتمدة بما يمكن من البحث والتحقيق. فإن نجحت فبتوفيق من الله وإلا فلا يستبعد من طالب حقير أن يقع في بعض

---

(٤) أى أنني لا أري الحق محصورا فى تقليد الائمة الاربعة ولا فى اتباع شيوخ ديوبند أو الازهر أو الندوة ولا أرى القيادة وراثة لبيت أو بلد.

(٥) قصده بالتشدد والغلو تشددهم فى التوحيد وهم في ذلك على حق لان الاسلام الذى بعث الله به نبينا محمداً ﷺ هو اشد الاديان فى العقيدة واسهلها وأيسرها فى الشرائع. ولا يحسن ان يسمى ذلك غلوا وتشدداً. (المترجم)

الاخطاء والاوهام. وفي الأخير ابتهل إلى الله ان يرزقني الاخلاص في النية والعمل ويشرفني بقبول هذا العمل المتواضع.[٦].

(٣)

لقد بدأت في ترتيب الكتاب الذي بين يديك في شوال سنة ١٣٥٩ هـ (نوفمبر سنة ١٩٤٠م) إلا أن الاشغال لم تسمح لى أن اخصص له وقتا كثيرا. ولكن العمل مازال مستمرا رويدا وتم مخطط الكتاب فى نوفمبر سنة ١٩٤١م. ولكن لم اجترىء على ان اكمل المسودة بسبب القلة فى المراجع وكلما كتبت شيئا ثم اطلعت على مصادر اخرى اضطررت إلى كثير من الاصلاح والتغيير. ولكن مع ذلك ومع كثير من البحث والتحقيق لم أعثر على بعض الكتب المهمة واللازمة من المراجع وسأذكرها في باب المصادر.

وأقدم جزيل الشكر من أعماق قلبى إلى اولئك الاصدقاء والاكابر الذين ساعدوني بالاخبار عن المراجع أو تهيئتها واخص بالذكر منهم الدكتور عظيم الدين ببتنه. والبر وفسور حسن عسكرى ببتنه، والاستاذ عبدالرحمن الكاشغرى بكلكتا، والاستاذ محمد داؤد الغزنوى بلاهور، والدكتور الشيخ محمد عناية الله بلاهور، والدكتور محمد حميدالله بحيدر آباد، والاستاذ شرف الدين واولاده ببومبائى. والاستاذ عبدالمجيد الحريرى ببنارس، والبر وفسور محمد اكبر الندوى بجامعة كلكتا. والحكيم الحافظ يوسف حسن خان ببتنه. اشكرهم جزيل الشكر واراه واجبا علي فلولا مساعدة هؤلاء الاكابر كان من الصعب على الحصول على كثير من الكتب النادرة أو المفقودة.

ومن الضرورى أن اذكر هنا عالما نجديا قد أرسل إلى سلام المحبة حينما سمع عن هذا الكتاب في بومبائي. ثم تجشم السفر إلى بتنه بطريق بنارس وشرف بيتى بنزوله

---

(٦) انتهت هنا مقدمة المؤلف. وما بعده كان فى صورة تنبيهات زائدة على المقدمة ولكنني جعلته مع المقدمة لعلاقته بها (المترجم)

مدة يومين. وهو الشيخ محمد عمران بن محمد عمران من سكان الرياض بنجد وكان رجلا متعلما من المتوسطين الا أنه من الذين تربوا بتعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن نجد فنفس الاتباع للسنة والتقوى والحماس والعمل الذي كنا نسمع أنه من مميزات هذه الجماعة. وعلى أقل تقدير ففي الهند نادراً ما رأيت مثله. . وقد استفدت منه كثيراً وخاصة في تعيين سني وفاة علماء نجد المتأخرين عن ذاكرته وبجزم تام. إلا أنني قد بينت ما اعتمدت فيه على روايته فى مواضعه.

وأرجو من القارىء الكريم أن تكون الأمور التالية على بال منه أثناء مطالعة الكتاب وسأكون شاكراً:

١ ـ قد اكتفيت بذكر اسم المصنف أحياناً وذلك اجتناباً من التطويل بذكر المصادر ويمكن تعين الكتب في باب المراجع.

٢ ـ قد حاولت قدر الإمكان التوفيق بين التواريخ الهجرية والميلادية. ولكن اكتفيت بذكر السنة الميلادية مع السنة الهجرية حينما رأيت صعوبة في تعيين اليوم والشهر.

٣ ـ حينما أذكر كلمة «شيخ الإسلام» أو «الشيخ» بدون اسم خاص فالمراد منه هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وكذلك من آل الشيخ أولاده وأحفاده مع أن كتب الجماعة تستعمل لقب شيخ الاسلام للامام ابن تيمية رحمه الله.

٤ ـ لم التزم الحرفية في الترجمة من العربية أو الأنجليزية إلا اننى حاولت ان اعبر عن المفهوم صحيحاً كاملاً عن الأصل.

٥ ـ من الممكن الوهم أو الخطأ في نطق الاعلام الانجليزية فإن وجد خطأ من هذا القبيل فأرجو التنبيه. وإن اي تصحيح من أى نوع كان اقبله بشكر.

مسعود عالم الندوي

بتنه: ٨ جمادى الأولى ١٣٦١هـ

الباب الأول

الدّاعية: حياته وخدماته

الجزيرة العربية أيام ازدهار المسلمين

«لقد شاهدت الصحراء العربية آلافاً من تقلبات الليل والنهار ولكن لم تكن هناك حادثة أهم من هذه الحادثة حيث بهرت هذه الرمال المظلمة عيون العالم بأجمعه بعدما استنارت بنور شمس ساطعة (أى البعثة النبوية). وأقامت معالم النور في جميع أنحاء الدنيا. ولكن بمجرد ما فرغت من تنوير الجبال والصحارى وإضاءة البر والبحر، اختفت من عيون الناس وذهب روائها، لماذا؟

لأن الأمم التى اقتبست من هذه الأنوار زعمت أن بريقها ولألآءها لا يمكن أن يبهر عيون العالم أمام لمع هذه الرمال الصحراوية. فخير لها أن تبقى مظلمة خامدة»[٧]

كان الحجاز قد فقد مكانته القيادية في عصر بنى أمية. فقد جعله ساسة دمشق زاوية للسدنة وأبناء المشايخ وعلى أثر ذلك قضى سيف أبي مسلم الخراساني على نصيب العرب السياسي (١٣٢هـ) والحكومة العباسية التى قامت على هذا الأساس تحولت إلى ملكية عجمية درجة بعد درجة.

ظهرت قوة الأتراك في عصر المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٨٢م) حتى اعتلوا على العرش وامتلكوا الدولة.

سادت عشرات من الدويلات بعيداً وقريباً ثم بادت.

ولكن الرجل العربي المسكين لم يكن له أي نصيب في هذه التقلبات.

وفي عصر ازدهار المسلمين هذا أسست مدارس العلم فى بغداد وقرطبة. نبعت ينابيع الرشد والهدى في جوامع الأزهر والزيتونة والقرويين. فتح الأتراك قسطنطينية وزلزل سليمان الأعظم (٩٢٦ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦م) أسوار فينا. دوخ المغول أرض الهند. ولكن الجمّال العربي مازال يتنعم بنوم لذيذ في صحرائه.

---

(٧) السيد سليمان الندوى، مجلة معارف عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤م.

حكم الأتراك العثمانيون قروناً على الحجاز وقدموا قرابين تبلغ الآلاف والملايين وخصص القسم الاكبر من محاصيل مصر لخدمة الحرمين. عينت رواتب كبيرة للسدنة ولكن لم يفض أي نبع للعلم في وادي العرب الذي هو غير ذى زرع. وراجت اللغة التركية في المكاتب.

الله أكبر! حكومة خليفة المسلمين وتسيطر في مهبط الوحي لغة لا تمت إلى لغة القرآن بصلة، ان في ذلك لعبرة.

وما أكثر أعاجيب هذه الدنيا وما أكثر ألا عيب الملك والسيادة. نعم! بقيت اللغة التركية هي اللغة الرسمية والضباط هم أتراك. أما العرب فلم يبق لهم شغل إلا سدانة القبور والاستجداء أو قطع الطرق على غرار أيام الجاهلية الأولى.

محمد بن عبدالوهاب

وأخيراً لما غشي الظلام العالم مرة أخرى، ترك المسلمون كتاب الله وسنة رسوله واتخذوا مئات من الآلهة دون الله الواحد وصاروا ينادون ويدعون البدوي والرفاعي في مصر، وعبدالقادر الجيلاني فى العراق والهند وابن عباس في مكة والطائف وابن علوان فى اليمن[٨]. وأصبحوا يخضعون ويتذللون أمام الاشجار والأحجار.

عندما وصل الأمر إلى هذا الحد طلعت شمس الهدى والرشد من واد غير ذى زرع ورمال الارض العربية التي كانت قد اشتهرت بطيب العرار والخزامي[٩] قد فاح فيها طيب التوحيد وكلمة الحق حتى عطرت العالم بأسره. وأريد بهذا شيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب ـ رحمه الله ونور ضريحه ـ الذي أعاد إلى الاذهان دروس التوحيد ـ التي

(٨) تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد للصنعاني ص: ٢ ـ ٥.

(٩) ورد ذكر العرار والخزامى، بكثرة فى الكلام العربي. وقد ذكر محمود شكري الالوسي (م ١٣٤٢هـ) عدة أبيات من هذا القبيل فى تاريخ نجد ص: ٨ ـ ٩.

كانت قد نسيت ـ بجهده المتواصل وعمله الدائم وبلغ رسالة الحق والصدق إلى حيث وصل صوت هذا الرجل المجاهد.

العالم الإسلامي عند ولادة ابن عبدالوهاب

بلغ العالم الاسلامي إلى دركه الاخير فى الانحطاط الفكري عند نهاية القرن الثامن الهجري فقد كانت أبواب الاجتهاد والفكر قد أغلقت منذ زمان وكان العلماء يتدارسون متون المتأخرين وحواشيهم وكانت الحالة في الناحية العملية اسوأ واسوأ ولكن بلغ هذا الانحطاط في بداية القرن الثاني عشر الهجرى إلى حد يتأسف منه الكفار ويتحيرون حينما يقارنون بين حالتهم وحالة المسلمين في عصر الصحابة قال الكاتب الأمريكى استودارد (Lothrop Stoddard) : ـ

«أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء. فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشوراً من الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الادعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم فى الحج إلى قبور الاولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور. وغابت عن الناس فضائل القرآن. فصار يشرب الخمر والافيون في كل مكان وانتشرت الرذائل وهتك ستر المحرمات على غير خشية ولا استحياء.

ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الاسلام. فصار الحج المقدس الذى فرضه الله على من استطاعه ضرباً من المستهزءات.

وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الاسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبده الأوثان[١٠]».

(١٠) حاضر العالم الاسلامي (ترجمة عجاج نويهض) ص: ٣٤.

هذه صورة صورهـا معلق كافـر ولكن الخطـوط والآثـار التى تظهر في هذه الصورة للمسلمين أليست صحيحة اليوم إلى حد كبير؟ وكما يرى الامير شكيب ارسلان «لو أن فيلسـوفـاً نقـريسيـاً من فلاسفـة الاسـلام أومؤرخا عبقرياً بصيراً بجميع أمراضه الإجتماعية أراد تشخيص حالته فى هذه القرون الاخيرة ما أمكنه أن يصيب المحز وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الامريكى استودارد[11]».

وإن لم يثقل عليك طول الكلام فاسمع حكاية أخرى لشقاءك بلسان معلق غربى آخر:

«قد بردت عواطف المسلمين فى القرن الثامن عشر وما يسمى بالخليفة كان قد فقد قوته. حتى أن أهل النواحي الجنوبية ما كانوا يعترفون بسيادته. وأهل اليمن كانوا قد خلعـوا نيره منـذ قرون. وأشـراف مكـة كانـوا متحمسـين لمخـالفـة رئيسهم أكثر من النصارى. أما وحدة الاتجاه التي ترى الآن ما كانت يشعر بها في تلك الأيام إلا قليلاً. المركز الروحي في مكة كان واقعاً في حبل التنعم والتلذذ المادي وتستطيع أن تجد عطفاً وشفقة على كل شيء إلا على الزهد والورع، مع أنهم كانوا يشاهدون فتح النصارى للهند بأعينهم. وكانت الجيوش الكافرة تطوي فراش الأتراك. ولكن العرب قليلاً ما يشعـرون بهذه الحـوادث. أمـا الغضب والنقمة الموجودان اليوم على فرنسا وبريطانية وروسيـا فقـد كانـا مفقـودين بتـاتـاً في تلك الأيـام. واذا عدم الغضب إنعدم الحماس فكيف بالدعوة إلى الاسلام.

وخلاصة القول أن الاسلام كان متجهاً إلى الانحطاط. أما النهضة التى وصلت تياراتها إلى أفريقيا والصين في القرن التاسع عشر المسيحى فقد كان من المستحيل أن يتوقعها أحد في ذلك الوقت.[12]

نجد قبل ابن عبدالوهاب

لقـد رأيت لمحـة قصـيرة لحالـة العـالم الاسـلامى والديار المقدسة بالحكايات التي

---

(١١) أيضاً.

(١٢) هو غارث Penetration of Arabia وقد ألف الكتاب فى سنة ١٩٠٤م.

سبقت ولكن حالة نجد ـ قلب الجزيرة العربية ـ كانت أسوأ واسوأ. وأقل ما يمكن أن يقال أن أهل نجد كانوا قد جاوزوا الحد فى الانحطاط الخلقى. فلم يكن عندهم أي اعتبار للخير والشر في مجتمعهم وكانت العقائد الوثنية قد تمكنت في القلوب بمر القرون حتى ان كثيرا من الناس كانوا يظنون هذه الخرافات نموذجاً صحيحاً للدين. وما كان عندهم أي استعداد للتزحزح عما وجدوا عليه آبائهم خطأ أو صوابا.

وفي الجبيلة (وادى حنيفة) كان يعبد قبر زيد بن الخطاب. وفى الدرعية كانت توجد بعض القبور والقباب وتنسب إلى بعض الصحابة وكانت مراكز للتعبد الجاهلي من الدهماء. وفي وادى غبيرة كانت قبة ضرار بن الازور سوقا للبدع والاوهام. والقلم قاصر عن بيان ما كان يعمل الشباب والفتيات مع شجرة قديمة فى بليدة الفداء فقد كانت النساء العاقرات يباشرن هذه الشجرة لطلب الاولاد. وكان غار على مقربة من الدرعية ترتكب عنده أكبر الفواحش المخزية وهلم جرا.[١٣]

كل هذا كان باسم الدين والأشخاص المعدودون الذين كانوا يملكون بعض النصيب من الفقه والحديث ما كانوا يجدون في انفسهم قوة تحدوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهل كانت اغلبية علماء نجد خارجة عن عداد علماء العالم الآخرين ـ !!

أما الحالة السياسية فقد كانت أفسد وأسوأ. كانت نار الحرب الأهلية متأججة فى جميع أنحاء نجد. كان بنوخالد مسيطرين على شمالى نجد (جبل شمر) في قبيلة طى

---

(١٣) ورد ذكر البدع السائدة فى نجد فى جميع الكتب التي الفت فى تاريخه ومن اراد التوسع فليراجع الكتب التالية: ـ

١ ـ روضة الافكار والافهام لمرتادحال الامام وتعدد غزوات ذوي الاسلام تأليف الشيخ حسين بن غنام (م ١٢٢٥هـ) ص: ٧ ـ ١٦.

٢ ـ عنوان المجد فى تاريخ نجد تأليف عثمان بن بشر النجدى (م ١٢٨٨هـ) ص: ٦ وهذان الكتابان هما الأم والأصل في تاريخ نجد.

٣ ـ الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لسليمان بن سحمان ص: ٩ ـ ٤٧ وأيضا تبرئه الشيخين الإمامين له ص ١٦١ ـ ١٦٣.

٤ ـ Arabia لفلبي ص: ٤ ـ ٥.

ومرجع فلبي وابن سحمان هو كتاب ابن غنام.

والحسا والذي يظهر ان امارة العيينة كانت تعترف بسلطان بني خالد. وفي الدرعية كانت قبيلة عنزة ترسخ أقدامها. وفي منفوحة على قرب من الدرعية قامت أمارة دواس. ونجد مع صغره وضيق أطرافه كان مفرقا بين دويلات وامارات صغيرة عديدة.[١٤]

ولادة محمد بن عبدالوهاب:

في هذه الايام المظلمة والاحوال السيئة فتح محمد بن عبدالوهاب عينيه. وولد في بيت معروف بالعلم في مدينة العيينة.[١٥] وذلك في سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م)[١٦] فكان جده سليمان بن على بن مشرف من أشهر العلماء في عصره وكان مركزا ومرجعاً للعلماء

---

(١٤) فلبي ص: ٤ - ٦

وليس من السهل فهم جغرافية العرب وخاصة نجد لأنه لا يوجد هناك تقسيم بالولايات والمديريات كما يوجد في بلادنا وحتى قبل هذا العصر ما كانت توجد هناك وحدة سياسية تذكر وبالاجمال فان بلاد نجد منقسمه إلى ثلاث نواح كبيرة.

١ - الناحية الشمالية الغربية وتسمى شمر ومن مدنها الشهيرة حائل والقصر.

٢ - الناحية الشمالية الشرقية وتسمى القصيم ومن مدنها الشهيرة عنيزة وبريدة.

٣ - الناحية الجنوبية وتسمى العارض ومن أشهر بلادها الرياض. وهي الآن عاصمة المملكة العربية السعودية وتسمي ناحية العارض «بجبل اليمامة» أيضا. وهذا في الأصل اسم الجبل والناحية التي تقع حولها تسمي «وادى حنيفة» أو «اليمامه» وتقع مدينة العيينة مسقط رأس شيخ الاسلام «والدرعية» مركز دعوته في هذا الوادى. وهما كالقلب في نجد. وللتوسع براجع دائرة المعارف الاسلامية كلمة «Arabia» (المجلد الأول ص: ٣٧١) أو «نجد Nejd» (المجلد الثالث ص: ٨٩٣ - ٨٩٦).

(*) لا تعرف مدينة تسمى «القصر» وأما القصيم فيقع في الناحية الشمالية الغربية (المترجم)

(١٥) العيينة بضم العين وهو تصغير للعين ويقال لها الآن أيضا «بار الشيخ».

(١٦) ابن غنام ١/ ٣٠ وابن بشر ١/ ١٣٨، ومن الكتاب المتأخرين ذكر أحمد زيني دحلان تاريخ الولادة سنة ١١١١هـ (الدرر السنية ص: ١٣٨) خلاصة الكلام ص: ٢٢٩) وذكر الأمير شكيب أرسلان (حاضر العالم الاسلامي ٤/ ١٦١) ١١١٦هـ وكلاهما خطأ وهكذا هيوجس (Huges) في كتابه «Dictionary of Islam» (ص: ٦٥٩) وولفر ولفرد في «A Piligrimage to Najd» (ملحق ص: ١٢٥) وزويمر في كتابه «Thecradlo of Islam Arabia,» وغيرهم قد ذكروا ولادته في سنة ١٦٩١م وهو غلط فاحش. وقد أخطأ هوغارث أيضا إذ ذكرها في سنة ١٦٩٦م. وأتباعاً لهذه المراجع قد يخطىء أصحابنا أيضا.

ولـه كتـاب مشهـور في المنـاسـك وذكر صاحب السحب الوابلة ان الحنابلة في الغالب يعتمدون على هذا الكتاب في باب المناسك[١٧].

وكان عمه ابراهيم بن سليمان عالماً جليلاً أيضاً وابنه عبدالرحمن (م ١٢٠٦هـ) كان فقيهاً وأديباً ووالد الشيخ وهو عبدالوهاب بن سليمان (م ١١٥٣هـ) كان ذا باع طويل في الفقـه وبقي قاضيـاً مدة طويلة في العيينـة وحـريملاء. وسليمان بن عبدالوهاب (م ١٢٠٨هـ) كان صاحب علم عظيم وكذلك كان ولده عبدالعزيز (م ١٢٦٣هـ) وكان موجـوداً في حريمـلاء عنـد الغـارة المصـريـة فى سنة ١٢٣٦هـ وحبس وذاق أنواعاً من المصائب وأحرقت مكتبته ونهبت أمواله[١٨].

نشأته:

كان محمد بن عبدالوهاب منذ نعومة أظفاره بارزاً متفوقاً في الذكاء وقوة الحفظ وقد حفـظ القـرآن الكـريم وعمـره أقل من عشر سنين. ثم درس كتب الفقه الحنبلي على والـده وطـالـع كتب الحديث والتفسير بكثرة في صغره. وقد أعجب والده عبدالوهاب بذكـاء هذا الـولـد الطـامـح ومـواهبه ويقول إنه قد استفاد من ذكاء ابنه البارع وسعة اطلاعه أيام تدريسه. وكان الشيخ عبدالوهاب متأثراً جداً بولده حتى أنه كان يقدمه

---

(١٧) ونسبه الكامل هكذا

محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف الخ وتوجد تراجم عدة أشخاص من هذا البيت فى كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة «مخطوط فى المكتبة الشرقية ببتنه» وهم:

١ ـ سليمان بن علي بن مشرف ص: ١٠٣.

٢ ـ ابراهيم بن سليمان بن علي ص: ٨، ٩.

٣ ـ عبدالوهاب بن سليمان بن علي وسليمان بن عبدالوهاب وعبدالعزيز بن سليمان (م ١٢٦٣هـ) ص: ١٧١، ١٧٢.

٤ ـ عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب بن مشرف (م ١١٢٥هـ) ص: ١٧٢.

(١٨) عنوان المجد ١/ ٢٣٦.

للإمـامـة مع صغـره. تزوج وهـو صغـير السن ثم أدى فريضة الحج وأقام شهرين فى المـدينـة المنـورة ثم رجع إلى العيينة واشتغل في طلب العلم من والده ونسخ المذكرات والكتب العلمية حتى إنه كان يكتب عشرين صفحة فى جلسة واحدة[١٩].

في سبيل العلم:

كانت القدرة الالهية قد وهبت ابن عبدالوهاب قلبا مرهف الحس شديد التأثر وكان يتألم أشـد الألم لما يرى حولـه من الحـالـة البائسة للقرى والمدن فى نجد وكان العلماء في حالـة سيئـة فضـلا عن العـوام. وقـد أخـذ محمـد عن وَالـده عبدالوهاب كل ما كان يستطيـع. وكـان والـده من كبـار علماء نجـد ولم يأل جهـداً فى تعليمٍ ولده ولكن كيف يمكن لمجدد المستقبل ومصلحه أن يرتوي غرفتين من الماء. وكان قد تشرف بحج بيت الله الحـرام وكـانت مركـزية الحجاز قد أثرت في نفسه وحينما فكر فى طلب العلم قصد الحجـاز. وحينـما كان الشـاب الطـامـح فى العشرين من عمره خرج يجول ويصول في الفيافي طلباً لليلى العلم وتوجه إلى الحجاز[٢٠].

حج بيت الله وزار المسجد النبوي مرة ثانية ثم حضر مجالس العلماء وانقطع لطلب العلم واستفـاد بالخصـوص بصحبـة الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف أحد العلماء المشهورين من المجمعة في بلاد نجد وكان قد سكن في جوار الرسول عليه الصلاة والسلام[٢١].

وتستطيـع أن تعـرف جلالـة قدر الشيـخ عبـدالله بن ابـراهيم النجـدى ثم المـدني واخلاصه من هذه الرواية التي رواها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. قال:

---

(١٩) ابن غنام: ١/ ٣٠.

(٢٠) هذه قصة سنة ١١٣٥هـ تقريباً.

(٢١) كان الشيخ عبدالله بن ابراهيم من الفقهاء المشهورين فى زمانه. سافر إلى الشام واستفاد بعالمه الحنبلي الشهير الشيـخ أبـو المـواهب الحنبـلي (م ١١٢٦هـ) وكـان ابنه ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم (م ١١٨٥هـ) من العلماء المعروفين أيضاً وكتابه «العذب الفائض فى شرح ألفية الفرائض» من الكتب المشهورة. (السحب الوابلة ـ ص ١١، ١٢).

«كنت عنده يوماً فقال لي: تريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة؟

قلت: نعم.

فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة وقال: هذا الذى اعددنا لها[٢٢].

وتعرف بالشيخ محمد حياة السندي (م ١١٦٥هـ) بوساطة الشيخ عبدالله بن ابراهيم نفسه وكان من اساتذة الحديث المعتمدين في المدينة وصار ابن عبدالوهاب من تلامذته الخواص ومكث عنده زمناً طويلا[٢٣].

ويذكر في هذا الصدد تتلمذ ابن عبدالوهاب على العالم الشامى الشهير الشيخ علي الداغستاني (م ١١٩٩هـ) ولكن العقل يستبعده[٢٤] وكذلك ورد في بعض الكتب ذكر استفادته من المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي المدني (م ١١٩٤هـ) إلا ان السنين والاحوال تشهد بعكس هذا بالاضافة إلى سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة[٢٥].

وقد ذكر الاستاذ المحترم السيد سليمان الندوي ان الشاه ولى الله الدهلوى (م ١١٧٦هـ) وشيخ الاسلام رحمهما الله قد استفادا من منبع واحدأى المسجد النبوي[٢٦]

---

(٢٢) عنوان المجد ١/ ٧.

(٢٣) عنوان المجد ١/ ٢٥ وسلك الدرر ٤/ ٣٤

(٢٤) كان الشيخ علي الداغستاني يحتل مكاناً عالياً فى علماء دمشق. أقام مدة فى المدينة وروى عن الشيخ محمد حياة السندي واستفاد منه عشرات من الناس. ولد فى سنة ١١٢٥هـ ورحل إلى المدينة النبوية وطلب العلم ومكث مدة ثم رجع سنة ١١٥٠هـ (سلك الدرر ٣/ ٢١٥) وعلى هذا فيكون صغيراً جداً أثناء اقامة الشيخ فى المدينة ولذلك استبعد استفادة الشيخ منه. وقد ذكر هذا من المعاصرين محب الدين الخطيب (الزهراء رجب ٤٥هـ) ومحمد حامد الفقى (أثر الدعوة الوهابية فى الاصلاح الديني ص: ٤٧).

(٢٥) لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه على الشيخ سليمان الكردي وتفرد بذكره أحمد زيني دحلان فقط. (الدرر السنية ص: ٣٥-٤٢) وبكل قوة. ولكن كتابه هذا - وكذلك كتابه خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام - مليء بالأخطاء بل الافتراءات حتى أن القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التى لا تضر شيئاً. ثم إن السنين تشهد بخلافه. فمحمد بن سليمان الكردي توفي سنة ١١٩٤هـ عن عمر سبع وستين سنة (سلك الدرر ٤/ ١١١، ١١٢) وهكذا تكون ولادته فى سنة ١١٢٧هـ تقريباً ويكون صغير السن أيام طلب الشيخ وتتلمذه عليه بعيد.

(٢٦) مذهب سلاطين نجد معارف نوفمبر سنة ٢٤.

ولا شك فى وحدة المدرسة (المسجد النبوي) مع وحدة المصدر الحقيق اي الكتاب والسنة إلا اننا لا نعلم وحدة الاساتذة.

ذكر لبيب البتنونى طلبه العلم في مكة المكرمة لكن لا تؤيده اي رواية صحيحة معتمدة. توجه الشيخ من المدينة النبوية إلى البصرة ودرس على الشيخ محمد المجموعى الحديث واللغة ولازم صحبته. ويروي ابن بشر عن استاذه عثمان بن منصور الناصرى ان اولاد الشيخ محمد المجموعي ايضاً كانوا ذوي باع طويل فى العلم[٢٧].

وكان يريد الشام أيضاً[٢٨] لكن قلة الزاد حالت دون همه هذا فرجع إلى حريملاء (نجد) بطريق الاحساء حيث انتقل والده فى سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م من العيينة.

في ميدان الدعوة:

كان ابن عبدالوهاب مولعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ صغر سنه. وصارت البدع تقلق باله منذ دراسته الابتدائية في الفقه والحديث في العيينة. وكلما وجد عملاً يخالف أصول الدين حاول أداء فريضة النهي عن المنكر

توجه إلى الحديث بعد ما استفاد فى المدينة النبوية من محمد حياة السندى وعبدالله بن ابراهيم بن سيف النجدي ثم رفع بصره ونظر حواليه فرأى العالم مغطى في رداء أسود من الضلال وحسبما عرفنا أن الشيخ أول ما رفع صوته بانكار الاستغاثة كان في تلك الايام وعيل صبره حينما رأى أعمال الجهلة عند قبر الرسول الكريم ﷺ. وذات

---

(٢٧) عنوان المجد ص ١/ ٨.

(٢٨) أما مرغليوث فقد تجاوز الحد (دائرة المعارف الاسلامية ٤: ١٠٨٦، ١٠٨٩) فى الافتراءات والاكاذيب، حيث يقول: تزوج في بغداد وقد ماتت وتركت ألفين.. زار كردستان وهمذان، وقم، واصفهان وأقام هناك.

كذلك برائجس (Abrief History of Wahhaby P. 7) وهيوجز (ص: ٦٥٩) وزويمر (ص: ١٩٢) وبالغريف (٤: ٣٦٣) ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق وبعضهم جمع بينهما. ولكن الحقيقة أن شيخ الاسلام لم يجد فرصة التجاوز عن البصرة ولا نجد دليلا على سفره إلى بغداد أو الشام أو مصر.

مرة كان واقفاً عند الحجرة النبوية وكانت سوق البدع نافقة أمامه إذ مر عليه أستاذه الشيخ محمد حياة السندي فسأله الشيخ: ماذا تقول فى هؤلاء؟
فأجاب الاستاذ: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون[٢٩].

وازداد هذا الشعور في البصرة فصار ينهى عن المنكر بلا خوف. ونتيجة لذلك عانى أنواعاً من المشقات وفي الاخير اضطر إلى أن يترك البصرة. وزيادة على ذلك عذب الشيخ محمد المجموعي أيضاً لاجل صلته به وعطفه عليه.

طرده الاشقياء في وقت الظهيرة وكان يتقدم في هذه الحالة النكدة إلى الزبير[٣٠] حتى جف حلقه من شدة العطش الى أن جاءه رجل صالح (وكان يملك حميراً يكريها) يسمى أبا حميدان فساعده وسقاه وأركبه على حماره حتى أوصله الى الزبير[٣١]. وكانت هذه مراحل أولية وأعمالا تمهيدية للدعوة الاساسية.

فلما رجع إلى حريملاء صمم على استئصال البدع ونشر التوحيدوالاخلاق وأسس دعوته على تحقيق التوحيد وركز على اخلاص العبودية لله تعالى فقط أياً كان نوعها. وكان شعاره إعلاء كلمة الله.

وليس من لعب الاطفال التصدي لإصلاح أخلاق فسدت من القرون الطويلة وكان يريد أن يوجد عواطف الصلاح والشفقة في البدو بدلاً من عادات السرقة وقطع الطرق والخداع والنهب.. كانت غايته اصلاح عقيدة الجهال واقامتهم بباب الاله الحقيقي بدلاً من الآلهة الباطلة والقبور والقباب. ولا يتجرأ على هذا كل من هب ودب. هذا عمل يقتضي الايمان الخالص والعزيمة الصادقة ويظهر من خلال تلك المصائب الشديدة التي عاناها الشيخ في هذا السبيل والمشقات التى استقبلها صابراً ضاحكاً مبتسماً إنه كان متحلياً بهذه الأوصاف حق التحلي.

---

(٢٩) عنوان المجد ١ : ٧.

(٣٠) الزبير: قرية كبيرة قرب البصرة عمرت باسم الزبير بن العوام رضي الله عنه. وأهل هذه القرية معروفون باتباع السنه حتي الآن.

(٣١) عنوان المجد ١ : ٨.

دعـا إلى التـوحيد وحاول النهي عن الخضوع لغير الله والاستغاثة بالقبور والاولياء واتخاذ عباد الله الصالحين آلهة يعبدون.

واتخذ خطوات عملية للقضاء على البدع التي دخلت في الطريقة المسنونة في زيارة القبـور ـ ولا تسـأل بعـد هذا ـ فقـد تدفقت سيـول المخـالفات وبدأ الأعزاء والأقرباء يؤذونـه حتى ان الـوالـد نفسه ما أعجبه هذا الصنيع. وكان الشيخ يراعى كل المراعاة أدب الـوالـد واحـترام الأستـاذ ولكن الخطوات المتقدمة لم تتراجع. تجاوز الايذاء كل الحـدود ولكن جبـل الصبر والعزيمة لم يتزحزح عن مكانه. ومع كل العقبات والموانع مازال يستمر في دعوته واشتهر أمره في جميع مدن العارض وحريملاء والعيينة والدرعية والرياض وغيرها وبدأت تعاليمه تنتشر.

كانت الدعوة مستمرة ـ ولكن سيرها كان بطيئاً بسبب برودة الوالد[٣٢] وتوفي الوالد في سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م فاشتدت الدعوة. وبدأ يدعو الناس إلى اتباع السنة ونبذ البـدع جهـراً على رؤوس الأشهـاد وتأثـر به بعض أهـل حريمـلاء فصـاروا من أشد منـاصـريـه ومسـاعـديه وبدأوا يحضرون دروس الشيخ ويستفيدون من مواعظه وألف الشيخ «كتاب التوحيد» فى هذه المدة[٣٣].

فى العيينة سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م

خطت الـدعـوة خطـواتهـا الاولى وحينـذاك أحس الشيـخ أنه من الصعب نجاح الدعوة في حالة الفوضى هذه. ففي كل ناحية أمير[٣٤] حتى في حريملاء نفسها قبيلتان تتنـاحـران للرئـاسة[٣٥]وفي مثل هذه الاحوال كان من الصعب اتخاذ أي خطوة مؤثرة.

(٣٢) ذكر محمد حامد الفقي (ص: ٥١) أن الشيخ عبدالوهاب كان محايداً.

(٣٣) روضة الافكار: ١/ ٣٦

(٣٤) نظراً للسهولة فى الأمور الادارية كانت البلاد تقسم فى أربعة أقسام في العصر العثماني ولاية ولواء وقضاء وناحية. وكانت العارض من النواحي ذكرها الألوسي باسم «ناحية العارض».

(٣٥) ذكرت فى عنوان المجد (١ : ٩) فتنة بعض العبيد الذين كانوا يريدون قتل الشيخ. والكتب الأخرى التي ذكرت هذه القصة مأخذها فى الغالب هو هذا.

فصمم العزم على توحيد بلاد نجد كلها تحت راية واحدة. وكان يعرف كل المعرفة أنه ليس من السهل نشر الدعوة في البلاد القاصية والدانية في مدة قصيرة إلا بحماية أمير ذى قوى ونفوذ[٣٦] وهذه هي الافكار التي دعته إلى مكاتبة أمير العيينة عثمان بن معمر. ولما وجد الأمير مستعداً لقبول الحق انتقل بنفسه إلى العيينة فأكرمه الأمير كل الاكرام وعظمه كل التعظيم. وتزوج الشيخ بجوهرة بنت عبدالله بن معمر فتوطدت العلاقات أكثر فى الظاهر. ولكن الشيخ كان يحمل غاية وهدفاً معيناً ومحدداً فالعلاقات الشخصية والقبلية قد تكون وسيلة للوصول إلى ذلك الهدف والغاية ولكنها ليست غاية. عرض الشيخ دعوته على أمير العيينة وفسر له معنى التوحيد وطلب منه العون والمساعدة في هذه المهمة الجليلة.

وكلمات الشيخ هذه جديرة بأن تحفظ وتذكر.

«إني لارجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله تعالى وتملك نجداً وأعرابها.»[٣٧] قدم هذا العرض إلى عثمان بكل صدق واخلاص ولكن مع الاسف لم يستطع أن يثبت على هذا فذاق عاقبته الوخيمة وأخيراً انتقلت هذه النعمة من العيينة إلى الدرعية.

وعلى كل حال فقد وعد عثمان بن معمر بالمساعدة والنصر واعتماداً على نصرته بدأ

---

(٣٦) ولا يخفى على العاقل البصير أن القوة المادية لها أهمية عظيمة فى نشر الدعوات والافكار مع القوة المعنوية والحجج والبراهين. فان أى دعوة إذا لم تكن لديها من القوة ما يحميها ويذود عنها سرعان ما تتكالب عليها قوى الشر والطغيان حتى تستأصل خضراءها. وتظهر هذه الأهمية من قوله تعالى: «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز». وكذلك قوله تعالى: «وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً». (الاسراء: ٨١) قال قتادة: فيها ان نبي الله ﷺ لا طاقة له بهذا الامر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولاقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لاغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم، قال ابن كثير: وهو الارجح لانه لابد مع الحق من قهر من عاداه وناوأه.. وفى الحديث «ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» (تفسير ابن كثير ٢ : ٦٤) «مترجم».

(٣٧) عنوان المجد ١ : ٩

الشيخ يصدع بدعوته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكروآن لأهل العيينة أن تخشع قلوبهم لقبول الحق رويداً رويداً.

وفى هذه المدة تصدى الشيخ للقضاء على بعض مراكز البدع ونجح في مهمته هذه. فقد كانت هناك بعض الأشجار تعظم في هذه الناحية فقلعها من أساسها.[٣٨]

وكان يوجد قبر باسم زيد بن الخطاب رضى الله عنه[٣٩] كان استشهد يوم اليمامة كان هذا القبر فى الجبيلة وعليه قبة فهدمها ولم يكن هذا أمراً هيناً حينذاك. ويذكر ابن بشر قصة هدم القبة فيقول:

«فقال لعثمان: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى.

فقال: دونكها فاهدمها.

فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا. ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي.

---

(٣٨) كانت فى بلاد نجد عدة أشجار تعبد من دون الله. وذكر الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار نقلا عن ابن غنام: كان فى بليدة الفدا ذكر النخل المعروف بالفحال يقصده الرجال والنساء ويفعلون عنده من المنكر ما يأباه الدين والذوق والعقل ويعملون بين يديه من أعمال العبادة ما لا يصلح عمله إلا لله وحده.

فالرجل المضيق عليه في الرزق والمكروب والمريض يطلبون إلى الفحال أن يوسع الرزق ويفرج الكرب ويشفى المرض.

والمرأة التى لم يتقدم اليها خاطب تتوسل إليه فى خضوع وتقول له: «يا فحل الفحول ارزقني زوجاً قبل الحول» فإذا أتمت ابتهالها إليه انصرفت إلى الشبان تغريهم فإذا تزوجت أحدهم خيل اليها أن ذلك من عمل فحل الفحول.

وكذلك قدسوا «شجرة الطرفية» تقديساً كبيراً فإذا ولدت المرأة ذكراً علقت عليها حبلا أو قطعة من نسيج رجاء أن تطيل الطرفية عمره فكان الرائى إذا أبصرها لا يكاد يبصر الاغصان والأوراق والساق. بل يظن الرائي أول وهلة أن ما يرى ليس إلا كومة من الحبال وقطع النسيج لكثرتها. (محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص: ٢٠ ـ ٢١ الطبعة الثانية) «المترجم».

(٣٩) زيد بن الخطاب هذا هو أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان من جملة الشهداء الذين استشهدوا في معركة اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ. وكانت هذه القبة احدى مراكز البدع والوثنية تشد إليها الرحال للاستغاثة والنذر والذبح وغير ذلك «المترجم».

فساعده عثمان بنحو ستمائة رجل. فلما قربوا منها ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوهم. فلما رآهم عثمان علم ما هموا به فتأهب لحربهم وأمر جموعه أن تتعزل للحرب. فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها.

ذكر لي أن عثمان لما أتاها قال للشيخ: نحن لا نتعرضها. فقال: أعطوني الفَأس فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها ثم رجعوا فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاءهم ما يحدث بسبب هدمها فأصبح في أحسن حال[٤٠]».

هذا بيان حادثة واحدة ولكن كانت هناك عقبات على كل خطوة فالجهال والعلماء والمشائخ كلهم كانوا منغمسين في ظلمات البدع. كان صوت محمد بن عبدالوهاب وجهده هو الذي رفع لواء الحق بعد ظلمات وضلالات دامت قروناً طويلة، وعرفت البشرية تعاليم الاسلام الصحيحة.

أمر الشيخ عثمان بن معمر بإحياء الصلوات مع الجماعة وعينت عقوبات للمتخلفين. وكان الامراء يأخذون أنواعاً من الضرائب والرسوم فرفعها الشيخ ونفذ الزكاة فقط. وكان هذان عملين جيدين عملهما عثمان بن معمر وتسبب فيهما الشيخ. إلا أن الأعداء يطعنون فيهما أيضاً ويبغونهما عوجاً.

وفي العيينة بدأ الشيخ يؤلف رسائل الدعوة المتسلسلة التي استمرت إلى وفاته وصار له بعض الأنصار في الدرعية فكان يرشدهم ويوجههم من العيينة[٤١].

الدعوة تنفى من العيينة

كادت الدعوة أن تتكلل بالنجاح في العيينة وكادت مهمة الاصلاح أن تكتمل ولكن ظهرت بادرة شر ـ وما قدر كان ـ إلا أن آلافاً من الخيرات كانت مختفية وراءها.

«أتت امرأة إلى الشيخ واعترفت عنده بالزنا والاحصان وتكرر منها الاقرار فسأل عن عقلها فإذا هي صحيحة العقل وقال: لعلك مغصوبة. فأقرت واعترفت بما

(٤٠) عنوان المجد ١: ٩، ١٠

(٤١) روضة الافكار ١: ٢٠٠

يوجب الرجم فأمر بها فرجمت ـ وأول من تقدمت يده إلى الحجر كان عثمان[٤٢]».

أثارت هذه الحادثة المفاجئة بلبلة فى الاطراف والنواحي وخاصة في محافل المتعودين بالجرائم فامتعضوا أشد الامتعاض وبلغ الوشاة والنمامون ذلك إلى سليمان بن عريعر الحميدي أمير الاحساء والقطيف وحرضوه على معاداة الشيخ وكان هذا الرجل منحرف المزاج خليعاً متهتكاً وكان من المتوقع تماماً عن أمثال هؤلاء أن يغضبوا ويثوروا على حادثة الرجم. وقال له القائلون: إن هذا الرجل ابن عبدالوهاب يريد أن يسلب عنك حريتك. وكان الكلام مؤثراً فوقع في قلبه فكتب إلى أمير العيينة عثمان بن معمر مهدداً:

«ان هذا المطوع[٤٣] الذي عندك قد فعل وفعل... وقال اقتله فإن لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا فى الاحساء[٤٤]».

وكان المبلغ كبيراً أى الفاً ومائتي دينار سنوياً عدا الامتعة والأموال. فوقع عثمان فى حيرة وغلب طمع الدنيا على حماية دعوة التوحيد ولعل الدعوة لم تكن قد رسخت فى قلبه بعد ولعله ما كان يعرف تلك النعم التي تنزل على من يقوم بنصرة الحق.

وفي هذه الحيرة والاضطراب أخبر الشيخ برسالة أمير الاحساء. فأراد الشيخ أن يطمئنه وحاول تفهيمه بيقين الواثق. وإليك كلمات الشيخ هذه كما أوردها ابن بشر:

«إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت اليه كلمة لا اله الا الله وأركان الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان انت تمسكت به ونصرته فان الله سبحانه يظهرك على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك[٤٥]».

بذل الشيخ كل جهوده فى اقناعه ولكن اذا سيطر على القلوب خوف زوال الدنيا فلا تؤثر حينذاك أي موعظة ولا تنجح أي نصيحة. خجل عثمان أول الامر بنصيحة

---

(٤٢) روضة الافكار ٢: ٢٣. عنوان المجد ١: ١٠

(٤٣) المطوع: هو الفقيه أو العالم فى لغة أهل نجد وجمعه مطاوعة وفى جماعة الاخوان الجديدة ايضاً تسمى جماعة الدعاة بالمطاوعة.

(٤٤) عنوان المجد ١: ١٠

(٤٥) عنوان المجد ١: ١٠

الشيخ الموقرة المبشرة فأحجم ولكنه لم يستطع أن يصبر فأرسل إلى الشيخ مرة أخرى قائلا:

«ان سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم والمروءة ان نقتلك فى بلادنا، فشأنك ونفسك وخل بلادنا[٤٦]».

ارسل إليه هذه الرسالة واخرجه من العيينة مع جندي يسمى فريدا الظفيري وقصة هذا النفي محزنة مليئة بالعبر. حر صحراء العرب والشيخ يمشي امامه راجلا ليس في يده الا مروحة ووراءه فريد راكباً على الفرس وحسبما يروي ابن بشر كان ابن معمر أوعز اليه أن يقتله. الشيخ يمشي ويردد قول الله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» ولم يخاطب الجندي طول الطريق ولما بسط يده ليقتله امسكته قوة غيبية كما حدث هو بنفسه وغلب عليه الفزع والهلع وفر راجعاً على أعقابه الى العيينة. لقد ادهشته قوة الصدق ورأى حياته في خطر فعلا[٤٧].

في الدرعية سنة ٥٨ ـ ١١٥٧هـ

توجه الشيخ الى الدرعية بعد ما جاوز حدود ابن معمر ووصل هناك وقت العصر فنزل أولا في بيت عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم العريني ثم انتقل إلى بيت أحد

---

(٤٦) عنوان المجد ١: ١٠

(٤٧) يظهر من هذه الرواية أن عثمان بن معمر قد تنكر للشيخ ودعوته أو أنه لم يكن مخلصاً فى نصرة الدعوة بل كان يرجو عرض الدنيا ولكن هذه رواية تفرد بها ابن بشر وسكت عنها الآخرون ويقول الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار إن ابن بشر أيضاً قد رجع عن روايتها فى المبيضة وابطلها. ففى كتاب (عنوان المجد) لابن بشر ج ١ ص: ١٥ طبعة مطبعة الشبندر ببغداد سنة ١٣٢٨هـ التى أشرف على تصحيحها العلامة الشيخ محمد بن مانع ما نصه: (واعلم رحمك الله انى قد ذكرت فى المبيضة الاولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وفرسانه وانه أمر بقتل الشيخ فى الطريق وغير ذلك. ثم تحقق عندى أن ليس لها أصل بالكلية فطرحتها من المبيضة) «محمد بن عبدالوهاب لاحمد عبدالغفور عطار ـ الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص: ٥٨»
وبعد ما ثبت أن ابن بشر رجع عن رواية هذه القصة فالظاهر أن ابن معمر لم يرفى نفسه قدرة على الدفاع عن الشيخ ودعوته فأحب أن ينتقل الشيخ إلى بلد آمن ولما كانت القدرة الإلهية قد سجلت هذه المناقب للأمير محمد بن سعود وأولاده اختار الشيخ الدرعية ونزل فيها. والله أعلم (المترجم).

تلامذته أحمد بن سويلم . ولما بلغ الخبر إلى أمير الدرعية محمد بن سعود حضر إليه مع اخوته مشاري وثنيان، وكلهم عاهد الشيخ على الطاعة والنصر[٤٨] .

هذه الرواية الموجزة مأخوذة من ابن غنام أما ابن بشر فقد فصل هذه الحادثة التى لها أهمية خاصة في سيرة الشيخ التبليغية . وبعد رواية ابن غنام نذكر رواية ابن بشر أيضاً :

«واما الشيخ فإنه سافر إلى الدرعية فوصل إلى اعلاها وقت العصر فقصد إلى بيت محمد بن سويلم العرينى فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ واسكن جأشه وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً[٤٩]» .

مساعدة الامير محمد بن سعود

نزل الشيخ في بيت ابن سويلم فصار مركزاً لدعوة التوحيد وبدأ الناس يؤمونه متسترين واستفاد أهل العلم بالخصوص ولكن هذه الحالة ما كانت مرضية فأراد الشيخ أن يتصل بالامير فكلم اخوته مشاري وثنيان فكلما أولاً زوجة الامير موضى بنت أبى وهطان وكانت امرأة ذكية متدينة فأثنوا على الشيخ وذكروا علمه وفضله وحثوها على الاتصال بالامير . وشاء الله أن يتأثر قلب موضى بعلم الشيخ وفضله فقالت للأمير .

«ان هذا الرجل أتى اليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته[٥٠]» .

كان الامير محمد بن سعود معروفاً بأخلاقه النبيلة من قبل دعوة الشيخ فقد تأثر بكلام زوجته واستقر في قلبه حب الشيخ وسارع إلى لقائه بعد ما ذكر له فاستقبله بكل محبة وتعظيم . فعرض عليه الشيخ أهم أصول دعوته (معنى لا إله الا الله ، الامر

(٤٨) روضة الافكار ٢ : ٤

(٤٩) عنوان المجد ١ : ١١

(٥٠) عنوان المجد ١ : ١١

بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد) وألقى خطبة موجزة ذكر فيها المساوىء الموجودة في أهل نجد ولفت نظره إلى اصلاحها فتأثر الامير ونطق قائلا:

«يا شيخ! ان هذا دين الله ورسوله الذى لاشك فيه وابشر بالنصرة لك ولما امرت به والجهاد ممن خالف التوحيد ولكن اريد أن اشترط عليك اثنين:

١ ـ نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان اخاف ان ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

٢ ـ ان لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم في وقت الثمار اخاف ان تقول لا تأخذ منهم شيئاً.

قال الشيخ:

أما الاولى: فابسط يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأما الثانية: فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها.

فبايع الامير على يد الشيخ وعهد بالامر بالمعروف والنهي عن المكر وأظهر الاستعداد للعمل بالكتاب والسنة وجرى هذا في سنة ١١٥٧هـ أو سنة ١١٥٨هـ[٥١].

وما أن بايعه الأمير حتى بدأ الناس يأتون إليه زرافات ووحدانا يستفيدون من علمه ويجددون ايمانهم. وانتقل من العيينة إلى الدرعية أصحابه وتلاميذه الاقدمون وكان منهم بعض أقرباء الأمير عثمان بن معمر نفسه.

الجيل الاول

كان الناس ينجذبون إلى الشيخ من أيام قيامه في العيينة إلا أنهم كانوا قد قضوا مدة طويلة تحت ظلمات البدع فكانوا يتلكأون في الاذعان للحق ولكن اقامته في

---

(٥١) يذكر ابن غنام موجز هذه الامور فى حدود سنة ١١٥٧هـ حيث يقول: «كانت هذه الأمور فى حدود سنة سبع وخمسين بعد المائة والالف من الهجرة (٢ : ٤) وأما ابن بشر فيذكر تاريخ انتقاله إلى الدرعية سنة ١١٥٨هـ (١ : ١٥) وبقية التفاصيل مأخوذة من عنوان المجد (١ : ١١، ١٢).

الدرعية وسمعة الأمير محمد بن سعود الطيبة قد هيأتا للدعوة أرضاً صالحة وقد وصلت إلينا بفضل ابن غنام بعض أسماء أولئك السعداء الذين لبوا هذه الدعوة بكل حماسة في بدايتها وابتلوا في سبيل ذلك بالمحن والبلايا. وأول من يذكر من الوجهاء والاعيان هم اخوة محمد بن سعود الثلاثة: مشارى، وثنيان، وفرحان[٥٢].

وامتاز من أهل العلم أحمد بن سويلم وعيسى بن قاسم.

ومن ناحية الوجاهة والتأثير العام يذكر محمد الحزيمي وعبدالله بن دغيثر وسليمان الوشيقيرى ومحمد بن حسين. وكما يقول فلبي:

«هؤلاء هم فرسان الوهابية البواسل وتذكر أسماءهم باحترام حتى الان وأولادهم يعتبرون جديرين بكل تكريم واحترام في القصر الملكى» (ص: ١٢، ١٣)

ابن معمر وندامته علي صنيعه

لقد اضطرب ابن معمر حينما بلغت اليه أخبار انتشار الدعوة وقبولها المتزايد يوما بعد يوم فندم على فعلته الاولى وحضر إلى الشيخ واعتذر اليه وطلب منه العودة إلى العيينة فأجابه الشيخ بصراحة.

«ليس هذا إلى. إنما هو إلى محمد بن مسعود فان أراد أن أذهب معك ذهبت وإن أراد أن أقيم عنده أقمت. ولا استبدل برجل تلقاني بالقبول غيره إلا أن يأذن لى.»[٥٣]

---

(٥٢) ان بيت الامير محمد بن سعود وأهله كلهم قد أبلوا بلاء حسناً فى سبيل الدعوة والجهاد فيما بعد ولكننا نتكلم الآن في الدعوة فى حياة الشيخ. وقد امتاز فى هذا الصدد ثنيان بن سعود (م سنة ١١٨٦هـ) ومشارى بن سعود «م سنة ١١٨٩هـ» أما مشارى فقد قدم مساعدات ضخمة لأخيه وقد أظهر ابنه حسن بن مشارى براعة سيفه في الحروب.

وأما ثنيان بن سعود فكان زاهداً عفيف النفس وهو وان كان قد حرم من بصره ولكن بصيرته كانت نافذة. والحقيقة أن محمد بن سعود قد استعد لمساعدة الشيخ بإشارة منه. «روضة الافكار ١: ٩٤، ١٠٥، وعنوان المجد ٢: ، ١٠»

(٥٣) عنوان المجد ١: ١٣.

ولما سمع منه هذا الجواب الصريح ذهب الى مضيفه محمد بن سعود واستأذنه ولكنه لم يكن راضياً بأن يبعد عن بيته هذه النعمة بأي ثمن.

في ميدان العمل

كانت الدرعية قرية صغيرة قبل أن يأتي اليها الشيخ وكانت سوق الجهل نافقة فيها فأقام الشيخ حلقات للوعظ والدرس وبدأ يعلم القادمين اليه علم الكتاب والسنة من الصباح إلى المساء. وكان يجعل جل اهتمامه الامور اللازمة المهمة فى دعوته ـ دعوة التوحيد واخلاص العبادة لله ـ ويرسخها في قرارة النفوس. وقد أظهر شخصه الجذاب ودعوته الصادقة أثرهما العاجل. وكان من فوائد مجالس الوعظ والتذكير أن تقشعت سحائب «ما ألفوعليه آباءهم». وصار الناس ينظرون إلى خرافات التقاليد والعادات بمنظار الكتاب والسنة فقط.

وان جاذبية هذه المجالس بدأت تجذب العطاش إلى العلم من البلدان النائية إلى الدرعية وكانت الأرزاق قليلة ولذلك كان هؤلاء الطلبة يعملون أو يحترفون بحرفة في الليل لكى يحصلوا على قوتهم الذى يقيم أودهم أما النهار فقد كانوا وقفوه لسماع آيات الله وأحاديث رسوله المصطفى ﷺ. وبسبب كثرة التلاميذ وضيافتهم كان الشيخ مديناً دائماً. ولكن الدعوة كانت تزداد توسعاً وانتشاراً يوماً بعد يوم وان سلسلة القادمين ما كانت تكاد تنقطع[٥٤].

اتساع الدعوة

كان اهل الدرعية من أنصار الدعوة منذ أن دخلها الشيخ ولكنهم ما كانوا ليكتفوا بهذا فقط بل كانوا يدعون امراء نجد وأهل نواحيه إليها ويخبرونهم بدعوتهم ويرغبونهم فيها. وقد واجهوا مخالفات واتهموا باتهامات وافتريت عليهم افتراءات ولكن الحق

(٥٤) عنوان المجد ١ : ١٣، ١٥.

مازال يرتفع ويدوى وبدأت ثمراته تظهر بعد حين فقد بايع أمير العيينة في السنة الثانية من قيام الشيخ (سنة ١١٥٨هـ أو ١١٥٩هـ) وعاهد على اقامة الحدود الشرعية. وجاء أهل حريملاء أيضاً بعد أيام قلائل وبايعوا أيضاً.

ومن ناحية أخرى كانت مساعدات الأمير محمد بن سعود تنهال عليه انهيالا فقد كان يأتي بجميع أموال الزكاة والخمس ويلقيها بين يدى الشسيخ يتصرف فيها كيفما يشاء وكان الشيخ ينفقها في سبيل الله بلا تردد ولا إقتار. والأمير محمد بن سعود وكذلك ولي عهده عبدالعزيز بن محمد بن سعود(م سنة ١١٧٩هـ/ ١٨٦٥م الذي تولى الامارة بعد وفاة والده في سنة ١١٧٩هـ) ما كانا يحركان ساكناً إلا بعد استشارة من الشيخ وإذن منه. ولكن الشيخ كان ورعاً زاهداً فلم يكن يدخر حبة واحدة من هذه الاموال بل كل ما يجيء إليه ينفقه في سبيل الله. قال ابن بشر:

«وكان الشيخ رحمه الله لما هاجر إليه المهاجرون تحمل الدين الكثير في ذمته لمؤنتهم وما يحتاجون إليه وفي حوائج الناس وجوائز الوفد اليه من أهل البلدان والبوادى وذكر له أنه حين فتح الرياض كان في ذمته اربعون الف نجدية فقضاها من غنائمها[٥٥].

واستمرت سلسلة الديون والانفاق فى سبيل الله إلى فتح الرياض. وأما بعد فتح الرياض[٥٦] فقد اطمأن الشيخ بنجاح دعوته إلى حد ما ففوض الأمور كلها إلى الأمير عبدالعزيز وتخلى من أمور بيت المال ووجه كل عنايته وجهوده إلى التعليم والتدريس. ولكن عبدالعزيز ما كان يتصرف إلا بإذن من الشيخ واشارة منه.

الدعوة خارج حدود نجد

كانت دعوة الشيخ محصورة في نواحي نجد حتى الآن ولكنها كانت دعوة عامة فما كان نجد وحده يحتاج إلى اصلاح، بل العالم الاسلامي كله كان في غاية الانحطاط ولكن بداية الاصلاح تكون من البيت فلذلك كان من الطبيعى أن تكون العيينة

(٥٥) عنوان المجد ١: ١٥

(٥٦) فتح الرياض فى ربيع الآخر سنة ١١٨٧هـ أو بعده (يونيو سنة ١٧٧٣م) عنوان المجد.

وحريملاء والدرعية والعارض المراكز الاولية لدعوة الشيخ. ولكن من حين أن ظهرت بوادر الحياة في هذه النواحي وسع الشيخ نطاق دعوته وكتب رسائل تبليغية إلى علماء البلاد النائية وامرائها وقضاتها وحرضهم على قبول دعوته ولكن قليل من لبى هذه الدعوة فى بدايتها وأما الاكثرون فقد استهزؤ ا وسخروا فمنهم من رماه بالجهل ومنهم من زعم أنه ساحر واتهموه بإتهامات وافتروا عليه افتراءات كان الشيخ منزهاً عنها.

ومن أبرز الملبين للدعوة والمؤيدين لها عالم صنعاء المجتهد الأمير محمد بن اسماعيل (م سنة ١١٨٢هـ) ولما بلغته دعوة الشيخ أنشأ قصيدة بليغة تلقاها العلماء بالقبول ومطلعها:

سلامى على نجد ومن حل في نجد وان كان تسليمى من البعد لا يجدي

وفي هذه القصيدة مدح للشيخ وثناء عليه وذم للبدع ورد شديد على عقيدة وحدة الوجود وأمور أخرى نافعة جداً[٥٧]

---

(٥٧) لقد نالت هذه القصيدة رواجاً عظيماً بين دعاة التوحيد من العلماء والطلاب وضاق بها ذرعاً أعداء التوحيد فى كل مكان وزمان حتى أن أحدهم تصدى للرد عليها فقال قصيدة مطلعها:

سلام بكسر السين لا فتحها نهدى لمن حل فى صنعا ومن حل فى نجد

ولما سمع بها أستاذنا العلامة الدكتور محمد تقى الدين الهلالي - ولم يسمع إلا مطلعها - رد عليها بقصيدة رائعة تحتوى على تسعة وأربعين بيتاً. وهذه بعض أبياتها:

سلام بكسر السين فى قصفة الرعد إلى عابد الأوثان فى السهل والنجد

تعمهم طرا وتختص مارقا تصدى بلا علم لهجو أولى المجد

وأعنى بذا «البيتي» من حل طيبة كما درج الشيطان فى جنة الخلد

إلى أن وصل إلى ذكر الشيخ محمد عبدالوهاب فقال:

وثانيهما الشيخ الإمام محمد بدا فى ربى نجد ضياء لمستهد

فجدد دين الله بعد دثوره فزال ظلام الشرك والفتنة المردي

بدعوته عادت شريعة أحمد إلى عهدها الماضى فيا لك من عهد

وكـان من أعظم أسبـاب فرح الأميـر محمـد بن اسمـاعيل[٥٨] أنه كان يظن نفسه منفرداً في هذا الميدان. كما يظهر من شعره هذا:

لقـد سرنـي ما جاءنـى من طريـقـه وكنت أرى هذى الطـريقـة لي وحـدي

وقد فرح الشيخ بقصيدة الأمير اليمني وتشجع بها واشار إليها في بعض رسائله[٥٩].

وقـد خالف الشيـخ أخـوه سليمان بن عبدالوهاب (م سنة ١٢٠٨هـ) وكان قاضياً فى حريملاء وخلفاً عن أبيه فألف رسائل في الرد عليه مملوءة بالأكاذيب وكما يقول

وحطـم أوثـانـاً وأوجـد دولـة من الـعـرب بعـد الـضـيم والأسـر والجهـد

فاكـرم بهـا من دعـوة أحـمـديـة فضـائـلهـا جلت من الـحـصـر والـعـد

قلاهـا عداة الـحـق من كل أمـة وكـادوا لهـا كيـداً عظـيـمـاً بلا حد

وحـاربـهـا منـهـم جيـوش كثـيـرة وأبـدت من الـعـدوان ما لم تكـن تبـدي

فأكـرم رب الـنـاس بالـنـصـر حزبـه فولـت جيـوش الـبـغي بالـخـزى والطـرد

وذى سنـة الـجـبـار فى كل من بغـوا على حزبـه يمـنـون بالـقـصـم والـرد

(المترجم)

(٥٨) كان الامير محمـد بن اسمـاعيـل الصنعـاني مجتهداً مطلقاً إماماً فى عصره ولد فى ليلة الجمعة ١٥ جمادى الأخـرة سنـة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م في كحـلان وتوفى فى ليلة الثلاثاء ٣ من شعبان سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م. وقـد تقـدم ذكـر رسـالتـه المـوجزة فى التوحيد «تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد» وسنذكرها فيما بعد أيضاً. ولمؤلفـاتـه يراجـع بروكلمان، ملحق ٢ : ٥٥٦ ولترجمته يراجع البدر الطالع ٢ : ١٣٣ ـ ١٣٩ وعنوان المجد ١ : ٥٣ ـ ٥٦.

(٥٩) ابن غنام ٢ : ٤، ١ : ٥٦، ٥٨.
هذا وقـد أجـاد الامـام الصنعـاني في قصيـدته وأحسن فى عرض العقيدة الاسلامية الصحيحة والدفاع عنها ومدح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مدحاً عظيماً. وما أجمل هذه الأبيات:

قفـى واسألـي عن عالـم حل سوحـهـا به يهـتـدي من ضل عن منـهـج الـرشـد

ابن غنام إنما خالفه «حسداً وغيرة» وألف الشيخ أيضاً رسائل فى الرد على ما كتبه الا

محمد الهادى لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدى

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر فى الحق منهم ولا ورد

وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الطرد والرد

سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل يا ذا عن الرد

وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الادلة فى النقد

وقد جاءت الاخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى

وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي

لقد سرني ما جاءنى عن طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد افترى بعض أعداء التوحيد قصيدة على لسان الإمام الصنعاني وأدخلها فى ديوانه وزعم أنه رجع عن هذه القصيدة. وقد احتوت هذه القصيدة المزورة وشرحها على أمور لا يتصور صدورها عن أي طالب علم فضلا عن إمام عظيم كالصنعاني. وذلك ككلامه عن أهل الردة مانعى الزكاة فى عصر أبى بكر رضي الله عنه والمختار بن أبى عبيد الثقفى والجعد بن درهم وانكاره للاجماع. وزعم هذا المفتري أنه أكثر النقل عن الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مع أن كلامه فى النظم وشرحه مناقض تماماً لما ذكره ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله. وأما كلامه عن الوثنيات المنتشرة فى بعض طوائف المسلمين فهو مخالف تماماً لما ذكره الصنعاني نفسه فى كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» وهو الذى يجعل الباحث المنصف يحكم بأن هذه القصيدة المزورة وشرحها لا تصح نسبتها إلى الإمام الصنعانى رحمه الله. فان كان الصنعاني رجع عن القصيدة النجدية فهل رجع عن دعوته ورسالته أيضاً وقد ناضل من أجلها طوال حياته؟.

ولو سلمنا أن الصنعاني رجع عن القصيدة النجدية وتأثر بتلك الشائعات والافتراءات التى كانت تذاع وتشاع عن دعوة التوحيد تنفيراً للناس فهذا لا يضر شيئاً الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولا دعوته وذلك لأن دعوته مدعمة بالكتاب والسنه وهي دعوة جميع الانبياء والمرسلين الذين بعثوا للناس وإذا كانت الدعوة مستنبطة من الكتاب والسنة النبوية فهى ليست فى حاجة إلى تأييد العلماء بل أن العلماء هم أنفسهم فى حاجة إلى تأييدها ونصرتها وهذا واجب يحتمه عليهم الاسلام. وللتفصيل في هذا الموضوع يرجع إلى كتاب «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» سليمان بن سحمان رحمه الله.

هذا، وقد قام الاستاذ الفاضل أبوبكر زهير الشاويش صاحب المكتب الاسلامى فى بيروت بتحقيق القصيدة النجدية للامام الصنعاني وطبعها فى صورة رسالة طبعة أنيقة جذابة فجزاه الله خير الجزاء. ولو أضيفت إليها قصيدة الدكتور الهلالي لصار النفع أعم وأتم. (المترجم)

ان الله تعالى قد هداه فى آخر الأمر فرجع إلى أخيه تائباً[٦٠].

«رجع إلى أخيه بالدرعية تائباً سنة ١١٩٠هـ فأحسن اليه الشيخ وأكرم مثواه» وتوجد رسالة سليمان بن عبدالوهاب مطبوعة بإسم «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» وأعداء التوحيد يتشدقون بذكر هذه الرسالة ولكنهم يذوبون خجلا وحياء عند ذكر رجوع سليمان وتوبته.

لقد بلغت مخالفة سليمان بن عبدالوهاب أشدها وفى تلك السنة جمع الشيخ المسلمين من الاطراف والنواحي وألقي عليهم خطبة شرح فيها دعوته بصورة واضحة صريحة.

وسنذكر مباديء الدعوة والموافقة عليها أو المخالفة مفصلة فيما بعد والغرض هنا ذكر عموم الدعوة وشمولها. فالمتعطشون للعلم يرحلون إلى الدرعية أفواجاً. ورسائل الشيخ فى الدعوة والتوجيهات كانت تنتشر في كل ناحية.

ابن دواس وأعداء آخرون

لقد كان دهام بن دواس[٦١] أمير الرياض يبتلي الموحدين فى الرياض ومنفوحة بأنواع المصائب والمحن وما كان لهم أي ذنب سوى أنهم انخرطوا في سلك دعوة التوحيد واتبعوا الشيخ فى دعوته. ولفتت اعتداءاته انتباه الشيخ والامير محمد بن سعود منذ السنة الثالثة من اقامته فى الدرعية (سنة ١١٥٩هـ) فاضطر الشيخ إلى أن يأذن

---

(٦٠) ابن غنام ٢ : ١٠٨

(٦١) لقد كان دهام دنيء الطبع، قاسي القلب، متوحش الخلق غضب مرة على امرأة فأمر أن يخاط فمها وغضب على رجل ذات مرة فأحضر بين يديه فقطع قطعة من فخذه وأمره أن يزدردها نيئة ولما لم يستطع ضربه ضرباً مبرحاً حتى طلب أن تشوى له فشويت فابتلعها وهو يكاد يلفظ نفسه الاخير وبينما كان يشرب قهوة الصباح فى بيته إذ سمع رجلا يدعو إلى الله فأرسل زبانيته ليأتوا به فقطع لسانه بيده. وكان دهام هذا عبداً لاحد عبيد أمير الرياض الاسبق ولكنه تسلط على الامارة بحيلة ومكر وخبث وللتوسع فى معرفة هذا يرجع إلى روضة الافكار ص: ٨٩، ٩٠ تحقيق الدكتور ناصر الدين الاسد. (المترجم)

لاتباعه فى المقاومة والدفاع وحينذاك قام الأمير محمد بن سعود واخوانه وأبناؤه ونكلوا بالمعاندين واستمرت الحروب مدة طويلة.

واستمرت المناوشات مع أمير الرياض دهام بن دواس احدى وثلاثين سنة تقريباً. ومازالت القوتان تتحاربان من سنة ١١٥٩هـ إلى ١١٨٧. وفي اواخر سنة ١١٨٧هـ بلغ الخبر إلى ابن دواس أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود قد هجم على المدينة فترك البلد وولى هارباً واستولى الأمير عبدالعزيز على الرياض قلب نجد استيلاء كاملا[٦٢].

وفى هذه المدة خرجت جيوش أخرى مجاورة إلى ميدان المبارزة وشنت هجوماً على مراكز أهل التوحيد وغدر عثمان بن معمر حاكم العيينة مراراً[٦٣].

ولما رأى الاعداء أن قوة الشيخ وأتباعه من أهل نجد لاتزال تزداد وتنموا يوماً فيوماً التجأوا إلى استعمال الاساليب الدنيئة فاتهم سليمان بن محمد بن سحيم الشيخ بتهم وافترى عليه مساوىء عديدة وأرسل إلى مدن الخليج والاحساء وغيرها وقد رد الشيخ على رسالة من هذه الرسائل رداً مفصلاً. وسنتكلم فيما بعد في أنواع الافتراءات وأجوبتها. واشترك مع أدعياء العلم والعمل فى هذه الافتراءات أصحاب العروش

---

(٦٢) فلبي Arabia ص: ١٣ ـ ٢٥.

(٦٣) وكان من هؤلاء الهاجين عريعر بن دجين أمير الاحساء وكان من ألد أعداء التوحيد فكان يقتل كل من ظفر به من الموحدين ويغير على مدنهم وقراهم كلما سنحت الفرصة. ولكن كل هذا لم يثلج صدره ولم يقر عينه وكانت شعلة العداوة متأججة في قلبه فرأى أن يهجم على الدرعية نفسها ويتخلص من هذا الخطر الذي أقض مضجعه. خرج عريعر بن دجين فى سنة ١١٧٨هـ وقد جمع كيده من كل ناحية واستنفر كثيراً من أهل القرى والمدن وتوجه نحو مركز الدرعية فى جيش ضخم وكلما مر على قرية أو قبيلة قدموا له ولاءهم وخرج كثير من أهل القلوب المريضة عن اتباع الشيخ والأمير محمد بن سعود لما رأوا هذه الجيوش الجرارة وعدتهم وعتادهم ظنوا أن الدرعية سوف تنقلب إلى أساطير بين عشية وضحاها.

وصل عريعر إلى الدرعية وحاصر المدينة حصاراً كاملا وطال الحصار ولكن المدينة كانت محصنة مادياً ومعنوياً. فالذين كانوا يدافعون عنها ما كانوا يدافعون عن مدينة واحدة ولكنهم كانوا يدافعون عن العقيدة التي هي قوام حياتهم ومفتاح نجاحهم وكانوا يستميتون في سبيل الله. فكانت الجنود المرابطة فى أبراج السور تقضي على كل من تجرأ على التقدم نحو المدينة واستمر هذا الحصار عشرين يوماً أو أكثر وأنزل الله الرعب والفزع فى قلب العدو فجزع وجبن وولى خائباً خاسراً ونجت الدرعية ونجا أهلها من شرهم والحمدلله أولا وآخراً (المترجم)

والقصور من الامراء والحكام على النواحى وذلك للحفاظ على مراكزهم وعروشهم[٦٤].

ولكن مع كل هذه العقبات والموانع مازال نطاق الدعوة يتوسع أكثر فأكثر وخرج المطاوعة من الدرعية وانتشروا في بلاد نجد كلها حتى تجلت سنة محمد بن عبدالله (فداه أبى وأمي ﷺ) فى قلب الجزيرة على الاقل في صورتها الحقيقية.

الوفـــاة:

توفى الشيخ في شوال أوذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ (يونيو أو يوليو سنة ١٧٩٢م) بعد ما اشتغل فى الدعوة والارشاد مدة خمسين سنة متوالية. وكان رجلاً عجيباً زاهداً

---

(٦٤) ابن غنام ١: ٢٧، ٢٨، ١٦٧، ١٤٢.

وكان أعداء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوة التوحيد على ثلاثة أنواع.

١ ـ قسم من أدعياء العلم الذين نسوا عهد الله وتركوا تلك المحجة البيضاء التي تركهم عليها رسول الهدى ﷺ فرأوا الحق باطلا والباطل حقاً وغيروا عقائد الإسلام الصافية بالبدع والوثنيات فرأى هؤلاء عاراً عليهم أن يفوز محمد بن عبدالوهاب بهذا الاقبال وتظهر للناس أباطيلهم. كيف وكان فيه قضاء على مراكزهم وأرزاقهم وعلى أكاذيبهم التى طالما تبجحوا بها عند العامة والدهماء وأعلنوا بغير خجل ولا حياء أنهم هم القائمون بأمر الله والمحافظون على دين الله.

٢ ـ وقسم آخر من العلماء الذين كانوا أحسن حالا من الذين تقدم ذكرهم ولكنهم اغتروا بسيل تلك الاتهامات والافتراءات وتأثروا بها افترى عليه أهل الاطماع والاهواء من الاكاذيب فلم يتثبتوا فى الأمر ولم يحققوا في المسألة وردوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتهموه بكل تلك التهم التى كانت تذاع من قبل المبطلين بدون علم ولا تحقيق.

٣ ـ والقسم الثالث هم أولئك الامراء والحكام الذين كانوا يسيطرون على قريات وبليدات في بلاد نجد وغيرها فكانوا يتنعمون برغد العيش على حساب الارامل واليتامي والملهوفين والضعفاء من رعيتهم ويعيثون في الارض فساداً. فرأى هؤلاء أن الدعوة الاسلامية الصحيحة إن بقيت فى سيرها فسيأتى يوم من الايام حتما تطأ فيه خيل محمد بن سعود عروشهم وقصورهم.

وهكذا اتفق الاعداء فاستل أدعياء العلم سيوف التكفير والتفسيق والاخراج عن الملة وجلب أصحاب الدويلات خيلهم ورجلهم وجرب كل طاقته وسعى قدر استطاعته فى القضاء على دعوة التوحيد ولكن الله كان بالمرصاد فانتصر الحق وزهق الباطل ـ ألا أن حزب الله هم الغالبون. (المترجم)

في الدنيا وما فيها. وقليل من الناس من حظي بمثل هذا القبول فى حياته[٦٥].

وقال تلميذه ابن غنام مرثية مطلعها[٦٦]:

---

(٦٥) ابن غنام ٢: ٧٤ وابن بشر ١: ٩٥.

وقد أخطأ المؤرخون الآخرون الغربيون منهم والشرقيون فى تاريخ الوفاة أيضاً. وعلى سبيل المثال يراجع بروكلمان (ملحق ٢: ٥٣٠) ومرغليوث (دائرة المعارف الاسلامية ٤: ١٠٨٦) ولبيب البتنوني (الرحلة الحجازية ص: ٨٦).

(٦٦) روضة الافكار: ١٧٥.

ومن أبيات هذه القصيدة المبكية: ـ

لقد كسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء فى الخدود وادمع

امام أصيب الناس طرا بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع

واظلم أرجاء البلاد لموته ... وحل بهم كرب من الحزن مفظع

شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى فى الترب واراه بلقع

وكوكب سعد مستنير سناؤه ... وبدر له فى منزل اليمن مطلع

وصبح تبدى للأنام ضياؤه ... فداجى الدياجي بعده متقشع

الى أن قال:

لقد وجد الاسلام يوم فراقه ... مصابا خشينا بعده يتصدع

وطاش ذووا الاسلام والفضل والنهى ... وكادت له الارواح تترى وتتبع

وطارت قلوب المسلمين بموته ... وظنوا به أن القيامة تقرع

فضجوا جميعاً بالبكاء تأسفاً ... وكادت قلوب بعده تفجع

وفاضت عيون واستهلت مدامع ... يخالطها مزج من الدم مهيع

بكته ذوو الحاجات يوم فراقه ... وأهل الهدى والحق والدين أجمع

(المترجم)

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع

وذكر محمد حامد الفقي مرثية للقاضي محمد بن علي الشوكاني[٦٧] (م سنة ١٢٥٠هـ) مطلعها[٦٨]:

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي ... وأصمي بسهم الافتجاع مقاتلي

مزية عظيمة

لقد حدث في التاريخ الاسلامي أكثر من مرة أن برز رجال ولكنهم سرعان ما

---

(٦٧) هو الامام العلامة المجتهد القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ولد فى نهار الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٤هـ وتوفى فى ليلة الاربعاء ٢٧ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠هـ. نشأ وترعرع فى أحضان والده ودرس على كثيرين من جهابذة العلم فى عصره وتفقه على مذهب الامام زيد وبرع فيه ثم اشتغل بعلم الحديث وذاق حلاوته وتألم بما رأى حوله من التفرق والانتشار فى صفوف المسلمين مع أن كتاب ربهم واحد ونبيهم واحد فسرعان ما خلع ربقة التعصب المذهبي وصار يأخذ بالدليل حيثما وجد وعمل به وأفتى فغضب عليه قصار النظر من المتعصبين وتحاملوا ولكنه مازال يسعي ويدعو إلى توحيد صفوف المسلمين ونبذ التفرقات المذهبية والبدع والخرافات التي غزت المسلمين فألهتهم عن سبيل الرشاد وله من المؤلفات ما يقارب مائة وأربعة وستين كتاباً. وقد أحصاها الاستاذ ابراهيم هلال فى كتابه «ولاية الله والطريق اليها» ومن هذه الكتب تفسير فتح القدير، ونيل الاوطار فى شرح منتقى الاخبار، والقول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد، والتحف في عقائد السلف، وشرح الصدور فى تحريم رفع القبور وغيرها. «المترجم».

(٦٨) ومن أبيات هذه القصيدة:

مصاب به الدنيا قد أغبر وجهها ... وقد شمخت أعلام قوم أسافل

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز أدراك الفعول الأفاضل

إمام الهدى ما حي الردى قامع العدى ... ومروى الصدى من فيض علم ونائل

محمد ذو المجد الذي عز دركه ... وجل مقاماً عن طوال المطاول

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل

أثر الدعوة الوهابية فى جزيرة العرب ص: ٧٩، ٨٠ «المترجم».

ارتـدوا رداء دعـاوى باطلة كالمهـدويـة أو المسيحية . وكانت نتيجة لازمة لهذا انهم ألحقـوا أضـراراً جسيمة بالاسلام بدلا من أن يفيدوه . ولكن تعليمات شيخ الاسلام وأتباعه بعيدة كل البعد من هذه التوهمات المردية والاخطار المهلكة وإني أعتبر هذا نجاحاً باهراً لهذه الدعوة وقد حاول بعض أدعياء العلم[٦٩] نسبة بعض التهم من هذا القبيـل إليهم ولكن أتبـاعـه وخلفاءه كانوا معلنين ومخلصين فى عقيدتهم ولذلك لم تضـرهم هذه الافتـراءات شيئـاً . ومـع أن الاعـداء بذلـوا جهـوداً عظيمـة ولكن كل جهـودهم ذهبت ادراج الـريـاح ولم ينجحـوا فى اخراج أي تهمة من مؤلفات داعية التوحيد في البلاد النجدية ورسائله . فكتبه واضحة كما ان الواحد مع الواحد يساوي اثنين وهى تشهد على جرأة مؤلفها وصدقه . وعلى سبيل المثال اقرأ كتاب التوحيد كامـلا من أولـه إلى آخـره لا تجـد فيـه أى غموض ولا تجد ادني شائبة من التصوف والتـوهمـات والابحـاث البعيـدة التي لا طائـل تحتها ولا ترى فيه أي أثر للاستدلال الفلسفي ولا السفسطة اليونانية فهو بعيد كل البعد من كل هذه الترهات .

مزية أخرى

كان محمد بن عبدالوهاب عالماً محضاً ولكن كان ذا نظر ثاقب بعيد المدى لقد شاهد ثمرات[٧٠] دعوته في حياته ثمرات دنيوية وثمرات دينية . فقد فتحت بلاد نجد

---

(٦٩) تراجع «الدرر السنيه» ص: ٤٦ لاحمد زيني دحلان.

(٧٠) لقد ذكر ابن بشر أن الشيخ كان يحمد الله حمداً كثيراً ويشكره على تلك النعم العظيمة التى أسداها إليه ربه من العلم والفضل والورع والقيام بتصحيح عقائد المسلمين والنجاح فى هذه المهمة العظيمة وكان كثيراً ما كان يلهج بقوله تعالى «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي فى ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين»
ويتمثل بهذه الابيات:

بأي لسـان أشـكـر الله انـه ... لذو نعـمـة قد أعـجـزت كل شاعـر

حبـانـي بالاسـلام فضـلا ونـعـمـة ... علي وبـالـقـرآن نور الـبـصـائـر

كلها في حياته وأمير نجد واهله كلهم كانوا مستعدين للجهاد بأرواحهم وحياتهم على اقدامه فى كل لحظة. وكانت كل عظمتهم التي اكتسبوها إنما جاءت من قبل استجابتهم لدعوة الشيخ. فالمجاهدون وعامة الناس ما كانوا يعرفون احداً غيره وكانوا مولعين به فلو اراد ان يأخذ لاولاده نصيباً في الحكومة لاخذ ولو اراد ان يملك

وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادى يوم كشف السرائر

وليس معنى هذا أنه كان يأخذ عقيدته من تقليد ابن حنبل رحمه الله ولكن الامام ابن حنبل صار رمزاً وعلامة لعقيدة أهل السنة والجماعة بسبب تلك المواقف العظيمة التي وقفها عند الفتن والانحرافات حينما زلت أقدام كثير من أهل العلم والفضل فعقيدة أحمد بن حنبل هى عقيدة جميع الأئمة والعلماء من الاولين والآخرين - والحمدلله فإن الأئمة رحمهم الله لم يختلفوا فى شيء من أمور العقيدة، فهم كلهم على عقيدة الصحابة والتابعين التي تعلموها من رسول الهدى ﷺ وإنما اختلاف الأئمة فى الأمور الفرعية. وكان من أهم أسباب اختلافهم أن بعضهم لم تبلغه بعض الادلة مع أنها قد وصلت إلى غيره ولذلك أكدوا كلهم أشد التأكيد على تلامذتهم على أن يكون همهم اتباع الدليل من الكتاب والسنة ويضربوا بقولهم عرض الحائط إذا وجدوه خلافاً لما ثبت عن الرسول ﷺ. فقال الامام أبو حنيفة رحمه الله.

«إذا صح الحديث فهو مذهبي» وقال: لا يحل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه. وقال: حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتى بكلامى فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً. وكذلك قال: إذ قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول فاتركوا قولي.

وقال الامام مالك رحمه الله:

«إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه». وكذلك قال «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

وقال الامام الشافعي رحمه الله:

«أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»

وقال الامام أحمد رحمه الله:

«لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الاوزاعي ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا»

(راجع كتاب «صفة صلاة النبي» للمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني)

ولكن الاسف كل الاسف على المتأخرين من الاتباع والذين انحرفوا عن طريقة الأئمة وأعرضوا عن أقوالهم هذه وصاروا يتبعون أهوائهم ويتسترون بالأئمة فقالوا أقوالا وعملوا أعمالا نسبوها إلى الأئمة مع أنهم برءاء منها فإلى الكتاب والسنة أيها المسلمون! - فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا.

(المترجم)

زمام الحكم في يده لملك ولكنه مازال متنحياً عن هذه المسئوليات كلها. والامير محمد بن سعود وخلفه الامير عبدالعزيز ما كانا يحركان ساكناً إلا برأي من الشيخ واشارة. ولا يريدان هذا. وكل أموال الغنائم كانت تلقى تحت أقدام الشيخ ولكن هذا الرجل الصالح لم ينشغل بها عن مهمته الاصلية. فلم يزل يعمل عمله وكان يتدخل فى أمور الدولة عندما كانت الحاجة تقتضي ذلك ومن حين أحس أن الدعوة قد قويت وتأصلت ابعد نفسه عن إدارة الحكومة واموال الغنائم. وكان من نتائج هذا الزهد أن أولاده أيضاً مازالوا يشتغلون بخدمة الدين بعيدين عن الجاه الدنيوي إلى يومنا هذا. وقد مرت مائة وخمسون عاماً ولكن لم يحدث ان خاصم أولاده آل سعود في التاج والعرش في يوم من الأيام.

أولاده وأحفاده

لقد جاوز تلامذة الشيخ المستفيدون من دروسه ووعظه كل حدوحصر حيث أنه لا يمكن لنا احصاؤ هم. وماذا ترى فى كثرة وعموم تلك الاثمار اليانعة التي اجتنتها قوافل الناس المتتابعة طوال خمسين عاماً أو أكثر!! واذا حاولنا أن نقتصر على ذكر تلامذته فقط تعوقنا قلة التراجم والسير ولذلك نكتفى من تلامذته بذكر أولاده وأحفاده فقط الذين يلقبون الآن ـ بحق ـ بآل الشيخ وهذا هو نسبهم.

لقد كان الشيخ سعيداً حظيظاً حيث ترك وراءه خلفاء يتبعون سنة النبي ﷺ ويشتغلون في تدريسها والدعوة إليها حسب منهجه. وأروع من هذا وأسر أن هذه السلسلة لم تنقطع إلى يومنا هذا. ففي هذه الآونة أيضاً يفوق أولاده في العلم والعمل فى جميع بلاد نجد.

كان الشيخ كثير العيال. وتوفى بعض أولاده فى حياته ولكنه ترك عند وفاته أربعة أولاد: حسين، عبدالله، علي، ابراهيم[٧١].

(٧١) ذكر الاستاذ أمين سعيد من أولاده (ص: ١٨٢) أسماء عبدالعزيز وحسن.

أما حسن، فهو والد الشيخ العلامة والحبر الفهامة عبدالرحمن بن حسن صاحب كتاب «فتح المجيد في شرح

يقول ابن بشر:

«لقد رأيت لهؤلاء الاربعة العلماء الاجلاء مجالس ومحافل في التدريس فى الدرعية عندهم من طلبة العلم من أهل الدرعية وأهل الآفاق الغرباء ما يفضي لمن حكاه إلى التكذيب.

ولهؤلاء الاربعة المذكورين من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم وكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم من الغرباء ونفقتهم من بيت المال. يأخذون عنهم فى العلم كل وقت[٧٢]».

١ ـ حسين:

وهو أكبرهم وخليفة الشيخ في الحقيقة وكان قاضياً في الدرعية وإماما في جامع الدرعية. توفي سنة ١٢٢٤هـ[٧٣]. وله عدة أولاد نبغوا في العلم والعمل والذين سماهم ابن بشر منهم هم: علي، حمد، حسن، عبدالرحمن، وعبدالملك.

كتاب التوحيد» وكتاب «قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين» وغيرهما وقد خلف عبدالرحمن بن حسن ذرية كثيرة. ومن أولاده سماحة المغفور له مفتى المملكة الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبداللطيف وابنه الشيخ ابراهيم بن محمد وزير العدل حالياً.

وأما عبدالعزيز: فلم أجد له ترجمة. ولكني رجعت إلى سماحة الشيخ ابراهيم بن محمد رئيس ادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد بالرياض فأحال الى الشيخ اسماعيل الانصاري وإليكم ما أفادني به الشيخ: أما الشيخ عبدالعزيز بن مجدد القرن الثانى عشر شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب فلم أقف من أخباره إلا على ما وجدته فى جواب العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن لجمعان بن ناصر حول روايته عن مشايخه ونصه: (وحضرت عليه أي على شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب ـ عدة مجالس كثيرة فى البخاري وقراءة ابنه الشيخ عبدالعزيز رحمه الله فى سورة البقرة من كتاب ابن كثير (ج ٢ من مجموعة الرسائل النجدية ص ٢٠ طبعة المنار وكتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر للشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدى الحنبلي ص: ٤٦) وهذا الوصف من الشيخ عبدالرحمن لعبدالعزيز بأنه شيخ دلالة واضحة على أنه من كبار العلماء.

(٧٢) عنوان المجد ١ : ٩٢.

(٧٣) عنوان المجد ١ : ١٤٣.

كان علي أكبرهم وأعلمهم ولذلك فوض القضاء فى حياة أعمامه. ومازال يتولى القضاء فى عهود عدة من الامراء. وهم سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨هـ - ١٢٢٩هـ/ ١٩٠٣م - ١٨١٤م) وعبدالله بن سعود (صلب سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م) وتركي (قتل سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) وفيصل بن تركي (م سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٦٥م)

وأما حمد فتوفي في أيام طلبه.

والحسن كان قاضياً في الرياض أيام تركي بن عبدالله وكان حاذقاً في الفقه توفى في حداثة سنه ولم يعمر طويلا فلبى داعي الأجل سنة ١٢٤٥هـ.

وأما عبدالرحمن فتولى القضاء في عهد كل من تركي وفيصل وكان ذا باع طويل في الفقه والتفسير والنحو.

وأما عبدالملك بن حسين فكان قاضياً في الحوطة أيام الفيصل.

وقد استفاد عبدالرحمن، وحسن، وعبدالملك أبناء حسين كلهم من الشيخ عبدلرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (سيأتي ذكره فيما بعد).

ومن الذين تتلمذوا على الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام من أحفاد حسين بن شيخ الاسلام هم حسين بن حمد بن حسين بن شيخ الاسلام (قاضي حريق في عهد الفيصل) وحسين بن علي (بن حسين) بن شيخ الاسلام (قاضي الرياض في عهد الفيصل) وعبدالله بن حسن بن حسين بن شيخ الاسلام.

٢ - عبدالله:

أما الولد الثاني للشيخ هو عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كان من العلماء الاجلاء المصنفين وكان خليفة شيخ الاسلام بعد وفاة حسين بن محمد وكان قد اعترف بمكانته العلمية في حياة حسين بن محمد. وكان مع الامير سعود بن عبدالعزيز حينما دخل مكة في سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. والرسالة التى نشرها الامير سعود عن عقائد جماعته كانت بقلم عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هذا. وكان موجوداً فى الدرعية أثناء غارة ابراهيم باشا سنة ١٢٣٢هـ ولما شاهد همجية الجيوش المصرية وتدميرها لم يستطع أن يصبر فاستل السيف وبرز إلى ميدان القتال.

يقول ابن بشر:

«فشهر سيفه عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وانتدب واجتمعوا عليه. . . الخ[٧٤]» ثم قاتل ببسالة نادرة وجرأة عظيمة والغالب أنه اعتقل وارسل إلى مصر وتوفى هناك[٧٥].

وقتل اثنان من أولاده عند الاستيلاء على الدرعية وهما سليمان بن عبدالله وعلى بن عبدالله. وكان سليمان عالماً جليلا وكان قاضياً في الدرعية فى حياة والده وكذلك تولى امارة مكة أيضاً في عصر الامير سعود مدة. وكان قد عهد إليه تدريس البخارى في مجلس الامير سعود بن عبدالعزيز وكان هذا منزلة علمية عظيمة.

وعبدالله بن شيخ الاسلام نفسه كان يلقي الدروس من تفسير الطبري وابن كثير وقد حضر ابن بشر هذه الدروس[٧٦]. وتظهر من وصفه أهمية هذه الدروس والمجالس العلمية فقد ذكر طريقته في التعليم والتحديث بكلمات طيبة جداً. كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر الأمر الذى جعل دحلان يصفه بأنه كان أشد تعصباً من والده[٧٧].

---

(٧٤) عنوان المجد ١ : ٢٠٦.

وتمام هذه القصة البطولية كالتالي بلسان ابن بشر: -

«واجتمعوا عليه أهل البجيرى ونهضوا على الترك من كل جانب كأنهم الاسود. وقاتلوا قتالا يشيب من هوله المولود فأظلمت البجيرة كأنها الليل. وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيل. فأخرجوهم منها صاغرين وقتلوا من الترك عدة مئات، حتى قال لي بعض من حضر ذلك لو حلفت بالطلاق أني من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلا على رجل مقتول لم احنث. فدخل الترك بعد هذا الفشل. وصار فى قلوبهم منهم وجل. ثم أرسلوا إلى الباشا وطلبوا الصلح فاجابهم إليه بعد ما كان آبيا - ولان لهم بعد ما كان قاسياً. (المترجم)

(٧٥) يذكر ابن بشر جرأة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص: ٢٢٩) إلا أنه ساكت عن عبدالله. وقول آخر لابن بشر يدل على أنه لم يستشهد يقول:

«وكان من أولاد عبدالله المذكور ابناً يسمى عبدالرحمن ونفى إلى مصر معه في صغره وقد بلغني أنه يقيم الآن في رواق الحنابلة فى الازهر والطلبة يترددون اليه وفيه ذوق علمي» ١ : ٩٣

(٧٦) عنوان المجد ١ : ١٧٠، ١٧٦، ٢٠٩، ٢١٠.

(٧٧) خلاصة الكلام ص: ٢٢٩.

التعبير بالتعصب عما عليه الامام عبدالله ووالده شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب مجانب للصواب فإنهما بريئان من التعصب وإنما هما متبعان للكتاب والسنة داعيان إليهما يشهد بذلك كل من وفقه الله وإيراد المؤلف لكلام دحلان من باب بيان الأشياء بأضدادها فحقد الاعداء على رجل من أجل دعوته وجهاده يدل على منزلته وفضله «الناشر».

وكان قد ألف شرحاً لكتاب التوحيد إلا أنه لم يتمه كما ذكر ابن بشر[٧٨]. وقد تتلمذ على والده وعلى الشيخ أحمد بن ناصر بن معمر (م سنة ١٣٢٥هـ) والشيخ حسين بن غنام (م سنة ١٢٢٥هـ) وقد قتل في أواخر سنة ١٢٣٣هـ بطريقة مؤلمة وحشية وسنفصل الكلام فى ذلك فيما بعد.

وله كتاب غير هذا وهو «كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق» وهو مطبوع طبع في سنة ١٣١٩هـ وهو الآن بين يدي وخير شاهد على سعة علم مؤلفه وطول باعه. وذكر بروكلمان كتابين آخرين له (ملحق ٢ : ٥٣٢).

وهما: ١ ـ أوثق عرى الايمان

٢ ـ المسائل

ولم اطلع عليهما. ولكن توجد رسالة فى مجموعة التوحيد المكية (ط سنة ١٢٤٣) بقلم الشيخ سليمان بن عبدالله في جواب مسائل مهمة. ولعلها هي ما ذكره بروكلمان من رسالة «المسائل».

واستشهد علي بن عبدالله بن شيخ الاسلام في سنة ١٢٣٤هـ في مكان قرب الدرعية وكانت له يد طولى في الحديث والتفسير وقد ألف أيضاً شرحاً لكتاب التوحيد[٧٩].

والولد الثالث لعبدالله بن شيخ الاسلام هو عبدالرحمن بن عبدالله وكان عالماً معروفاً.

وتوجد بعض الرسائل الصغيرة لحسين بن شيخ الاسلام وكذلك بعض الفتاوى في المكتبة الشرقية في بتنة[٨٠].

---

(٧٨) وقد أكمله الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام كما صرح بذلك فى مقدمة فتح المجيد (مؤلف) وطبع شرحه هذا عدة طبعات بعد ما أكمل الناقص منه وهو قريب جداً من كتاب فتح المجيد المذكور ويسمى «تيسير العزيز الحميد» أما فتح المجيد فهو تهذيب له واختصار مع زيادات أخرى هامة وإكمال لما فاته وهكذا صار فتح المجيد كتاباً مستقلا بذاته. (المترجم)

(٧٩) عنوان المجد ١ : ٩٣, ٢٠٥.

(٨٠) يراجع Handlist رقم: ٢٦٢٥ (مؤلف).

وكان الأولى أن يذكر هذا فى ترجمة الشيخ حسين بن شيخ الاسلام ولكن هكذا وجدت الاصل (المترجم).

٣ ـ علي بن شيخ الاسلام:

كان عالماً جيداً نابغة يضرب به المثل في الزهد والورع وكان ذا ملكة عظيمة في الفقه والتفسير. عرض عليه القضاء لكنه أبى من شدة زهده وورعه وتوفى أولاده كلهم في صغرهم إلا محمد بن علي بن شيخ الاسلام فقد نشأ وترعرع وصار عالماً نحريراً.

٤ ـ ابراهيم بن شيخ الاسلام:

والولد الرابع لشيخ الاسلام هو ابراهيم اشتهر في التدريس ودرس عليه ابن بشر كتاب التوحيد فى صغره (سنة ١٢٢٤هـ) ولم يتول القضاء.

ومن أجل تلامذة الشيخ حفيده عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام وهو من علماء نجد الفائقين توفى والده فى حياة الشيخ. تتلمذ على جده في صغره ودرس على أجل تلامذة الشيخ أمثال أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (سنة ١٢٢٥هـ) وعبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري (م سنة ١٢٣٧هـ). والشيخ عبدالرحمن بن حسن هو مجدد علمي لآل الشيخ وقد اعترف بمكانته في العلم منذ البداية. كان قاضياً فى الدرعية أيام الامير سعود بن عبدالعزيز (م سنة ١٢٢٩هـ) والأمير عبدالله بن سعود (صلب سنة ١٢٣٤هـ). وهو من اولئك العلماء الاربعة الذين كان يحتج بعلمهم في آل الشيخ بعد وفاة الشيخ حسين بن شيخ الاسلام في سنة ١٢٢٥هـ وكانوا يتولون القضاء فى العاصمة الدرعية[٨١].

كان قد سافر بل نفى إلى مصر (سنة ١٢٣٣هـ) عند الاستيلاء على الدرعية. ولما استقرت الاحوال وعادت الامور إلى نصابها رجع إلى نجد سنة ١٢٤١هـ وبذلك نفقت سوق العلم مرة أخرى لقد فاز واستفاد من دروسه مئات من الناس منهم عشرات من بيت شيخ الاسلام نفسه[٨٢]. تولى القضاء في عهد تركي بن عبدالله (م

---

(٨١) عنوان المجد ١ : ٩٣. والاساطين الاربعة الذين سبق ذكرهم يعتبر ون مستحقين للتعظيم والاحترام بالترتيب التالي: عبدالله بن الشيخ، علي بن حسين بن الشيخ، عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ، سليمان بن عبدالله بن لشيخ.

(٨٢) عنوان المجد ٢ : ٢٠، ٢٥، ٢٦.

سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) وفيصل بن تركي (م سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٥م). وكان مرجعاً للخاصة والعامة عهدت إليه مسئولية التدريس في المجالس الخاصة للامير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (م سنة ١٢٤٩هـ) وكان يدرس في الغالب من تفسير ابن جرير. وتولى التدريس والارشاد في عهد فيصل بن تركي أيضاً. ولقد كان صيت الاساطين الاربعة ذائعاً قبل الاستيلاء على الدرعية. ولكن بعد استقرار الاحوال من جديد لم يبق إلا عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ وعلي بن حسين بن الشيخ. وذلك في عهد الأمير تركي بن عبدالله. ونرى أسماء عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ وعبدالملك بن حسين تردد كثيراً مع عبدالرحمن بن حسن وعلي بن حسين في عهد الأمير تركى وفيصل[٨٣]. إلا أننا نرى ذكر عبدالرحمن بن حسن بالخصوص فقط في أواخر أيام فيصل بن تركي (بعد سنة ١٢٥٦هـ). وفى نهاية أيام فيصل نجد ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن يتولى القضاء والتدريس. وقد عمر علي بن حسين بن الشيخ طويلا والغالب أنه توفي فى أواسط عهد فيصل سنة ١٢٦٠هـ.

وعلى كل حال فقد كان الشيخ عبدالرحمن بن حسن من أحق الناس احتراما وتعظيما فى أواخر أيام فيصل بن تركي. فقد ألف ابن بشر كتابه في سنة ١٢٧٠هـ وأنهاه بذكر حوادث سنة ١٢٦٧هـ. وكان حيا إذ ذاك. وقدلقيه[٨٤] بالجريف (W. Gifford Palgrave) أثناء رحلته في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م فى الرياض مع ابنه عبداللطيف، لكنه وهم إذ ظن أنه عبدالله بن الشيخ. توفي (الشيخ عبدالرحمن بن حسن) سنة ١٢٨٥هـ بعد ما عمر طويلا.

لقد ذكر ابن بشر عدة من مصنفاته ورسائله. وقد أكمل شرح كتاب التوحيد الذي تركه سليمان بن عبدالله بن الشيخ (م سنة ١٢٣٢هـ) ناقصاً. وقد طبع مراراً بإسم «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد[٨٥]».

وله كتاب آخر غير فتح المجيد وهو باسم «قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» وهو مطبوع، وهو حواش على كتاب التوحيد ولقد أكثر الأستاذ محمد حامد الفقي الذي أشرف على الطبعة الجديدة لفتح المجيدمن النقل في حواشي

---

(٨٣) عنوان المجد ٢: ٦٥، ٧٣، ٨٨. (٨٤) Narrative of a years journey through central and eastern Arabia 1-379

(٨٥) وعندى الآن طبعته الجديدة وقد طبعت فى مصر بدقة فى التصحيح واهتمام بالغ.

فتح المجيد من قرة عيون الموحدبن. له رسالة مختصرة منقولة في عنوان المجد[٨٦] وكذلك نقل ابن بشر عدة من مكاتيبه.

وتوجد له ثلاث رسائل في مجموعة التوحيد المكية:

١ ـ رسالة في جواب الجهمية «من ص: ٣٢ إلى ١٦٩»

٢ ـ رسالة في حكم موالاة أهل الاشراك «من ١٥٧ إلى ١٦٩»

٣ ـ بيان الحجة في الرد على صاحب اللجة «من ٢٠٥ إلى ٢٥٢»

وقد قتل من أبنائه محمد بن عبدالرحمن بن حسن عند الاستيلاء على الدرعية مثل بقية أهل بيته[٨٧].

وخلفه عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وكان قد سافر إلى مصر في صغره عند الاستيلاء على الدرعية. تتلمذ على والده وغيره من أهل العلم ورجع إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ وجاء بعدد كبير من الكتب. وصار يساعد والده منذ قدومه فشاركه في الامور العلمية وفي أعمال الدعوة.

ونرى عبدالرحمن بن حسن مدرساً وواعظاً في مجالس فيصل بن تركي (م سنة ١٢٨٠هـ) إلى سنة ١٢٦٢هـ ثم برز ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن فهو المقدم في كل ناحية من قضاء وتدريس وإمامة. وابن بشر معجب بدروس تفسيره ويمدحها أشد المدح[٨٨]. وقابله بالجريف سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، وسنه إذ ذاك كان حوالي أربعين. وكان قاضياً في العاصمة الرياض[٨٩]. وله رسالة سماها «منهاج التقديس والتأسيس في الرد على المبطل داؤد بن سليمان بن جرجيس» وسيأتي الكلام على هذه الرسالة فيما بعد. ورسالة أخرى موجزة مطبوعة في مجموعة الهدية السنية «٢٨ ـ ٤٠» ذكر فيها ترجمة موجزة لشيخ الاسلام. لم نعرف سنة وفاته بالتحقيق ولكن روى عالم سائح نجدي أنه توفي سنة ١٣٠٤هـ[٩٠].

والولد الآخر للشيخ عبدالرحمن بن حسن هو اسحاق بن عبدالرحمن بن حسن ولم

---

(٨٦) عنوان المجد ٢: ٢٣، ٢٦.

(٨٧) عنوان المجد ٢: ٢٠٨.

(٨٨) عنوان المجد ٢: ١٢١ ـ ١٢٢.

(٨٩) بالجريف ١: ٢٧٩.

(٩٠) وهو الشيخ عمران بن محمد بن عمران من سكان الرياض بنجد.

أجـد له ذكـراً في كتب الـتراجم ولكنني عرفتـه بطريقة عجيبة. وهي أنني ذهبت إلى وطني في شوال سنـة ٥٩ «اوجـاوان ـ بتنـة» وبدأت أستعرض بعض الكتب البالية في مكتبة بيتي فعثرت على نسخة من كتاب «صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان» وكان مكتوباً في الصفحة الاولى من الكتاب بخط عربي خالص:

«في ملك الحقير الفقير اسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد النجدي الحنبلي عفا الله عنهم».

ولا تسأل عن فرحي واغتبـاطي حينـذاك ـ ! وبعـد تصفـح بعض الأوراق وجدت ملاحظـة طويلة مكتـوبـة بنفس الخـط تدل على غزارة علمـه وتوجد ملاحظة أخري موجـزة في وسـط الكتـاب أيضـاً. ويوجد ختم في بداية الكتاب تحت الاسم وتقرأ منه فقط كلمة «اسحاق» بوضوح.

ولا أدري كيف وصل هذا الكتاب إلى بيتي؟ والغالب أن جدي «من الأم» الشيخ عبـدالصمـد «م سنـة ١٣١٨هـ» كانت له علاقـة به، لأن الشيخ عبدالصمد كان من علماء أهـل الحـديث الأفـاضـل وكـانت له علاقات وطيدة أخوية مع أشهر علماء أهل الحديث في زمانه وبعد البحث والتنقيب تبين لي أن الشيخ اسحاق بن عبدالرحمن بن حسن كان قد سكن في الهنـد واستفـاد من الشيـخ السيـد نذير حسين الدهلوي[٩١] «م سنة ١٣٢٠هـ».

---

(٩١) هو العلم الشامخ والحبر الكامل مجدد السنة النبوية في القارة الهندية السيد نذير حسين بن جواد علي بن السيد أحمد شاه الدهلوي. ويصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أربعة وثلاثين جيلا. ولد في قرية «بلتهوا» من ولاية بيهار في الهند سنة ١٢٢٠هـ ونشأ في صغره على حب الفروسية والسباحة ثم تعلم شيئاً من الأمور الابتدائية على والده ثم انتقل إلى «بتنة» عاصمة العلم في ولاية بيهار والتقى هناك بزعماء حركة التجديد والاصلاح الإمامين الشهيدين أحمد بن عرفان والعلامة محمد اسماعيل رحمهما الله فازداد شوقاً إلى العلم وحماساً للدفـاع عن الاسـلام فأراد أن يسـافـر إلى دهلي عاصمـة الحكـومـة والعلم في ذلك الزمان فخرج من بتنة سنة ١٣٣٧هـ وسنه إذ ذاك سبع عشرة سنة مع رفيق له. فكانوا يمشون على أرجلهم بسبب قلة الزاد وعدم المركب فاضطروا على الوقوف والمكوث في المدن في الطريق عدة مرات فمكث مدة في بناس وكذلك في الله آباد وغيرهما حتى وردوا مدينة دهلي بعد ست سنوات وذلك في سنة ١٢٤٣هـ، فدرس أولا على عدة أساتذة ثم انتقل إلى حلقـة الشيـخ اسحـاق الـدهلوي خليفة الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي، ولازمه مدة ثلاثة عشر عاماً. وكـان مع ملازمتـه لأستـاذه كثـير المطـالعـة واسع المعلومات. ولما سافر شيخه إلى مكة سنة ١٢٥٨هـ خلفه في

والنواب صديق حسن خان «م سنة ١٣٠٧هـ[٩٢] والشيخ محمد بشير السهسواني (م

التدريس ودرس العلوم المختلفة إلى سنة ١٢٧٠هـ ثم تخصص لتدريس علوم القرآن والسنة فقط فلم يزل يدرس العلوم الشرعية قرابة خمسين عاماً ولقب بشيخ الكل.

درس عليه آلاف من جهابذة العلم وزعماء الدعوة الاسلامية أمثال العلامة المحدث عبدالرحمن المباركفوري صاحب تحفة الاحوذي والشيخ شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود والشيخ محمد بشير السهسوانى صاحب صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان والشيخ ثناء الله الامرتسرى فاتح قاديان. وغيرهم خلق كثير. ولقد انتشرت أنواره العلمية فعمت بلاد الشرق كلها ودرس عليه من نجد الشيخ اسحاق بن عبدالرحمن بن حسن والشيخ علي بن القاضي والشيخ عبدالله بن سعد بن عبدالعزيز مديهش والشيخ سعد بن عتيق وغيرهم. ومن السودان الشيخ عبدالله بن ادريس الحسيني وعدد كبير من أبناء كابل وياغستان وبخارا وسمرقند وغزنة وقندهار وخوقند والحبشة وغيرها.

ولا شك أن الشيخ نذير حسين الدهلوي رحمه الله هو مجدد السنة النبوية فى القارة الهندية وغيرها فانتشر تلامذته في جميع البقاع حاملين لواء التوحيد والسنة وعددهم لا يحصى وعدد مؤلفاتهم لا يحصر، وفتحوا مئات المدارس وقاموا بحركة إسلامية صحيحة لا يوجد لها نظير إلا نادراً وإن آثار التوحيد واتباع السنة النبوية التي نراها فى القارة الهندية في هذه الايام فى كل ذلك يرجع الفضل إلى هذا الإمام العظيم. وقد عذب كثيراً فى سبيل نشر التوحيد والدعوة الى السنة النبوية فسجن فى راولبندى سنة ١٨٦٤م بتهمة الوهابية وبقي في السجن مدة سنة كاملة وسافر إلى الحج سنة ١٣٠٠هـ فسعى النمامون إلى الباشا فى مكة المكرمة فاتهمه أعداء التوحيد بأنه وهابى ومعتزلي ويبيح شحم الخنزير ونكاح العمه والخالة وقدموا اليه رسالة باسم «جامع الشواهد فى اخراج الوهابيين من المساجد» ولكن الباشا لما علم بحقيقة الحال أكرمه ايما تكريم ورجع الاعداء خائبين.

توفي الشيخ نذير حسين الدهلوي رحمه الله فى يوم الاثنين شهر رجب سنة ١٣٢٠هـ/ اكتوبر ١٩٠٢م بعد ما عمر مائة سنة.

لم يشتغل الشيخ فى تأليف الكتب لأنه كان مهتما بتأليف الرجال فخرج الفطاحل الذين لا تعد ولا تحصى مؤلفاتهم. وقد ألف كتاباً واحداً وهو «معيار الحق» بين فيه أهمية السنة النبوية ودعا إلى اتباع القرآن والسنة وترك الخلافات والتعصبات التي أنهكت المسلمين، وله بعض الفتاوى فى ثلاثة مجلدات وهى مطبوعة متداولة «يرجع إلى تراجم علماء حديث هند ص: ١٣٦، وهندوستان مين أهلحديث كي علمي خدمات ص: ٢١ للنوشهروى، وتاريخ اهلحديث ص: ٤١٧ للشيخ محمد ابراهيم مير سيالكوتى» (المترجم)

(٩٢) هو ملك العلماء وعالم الملوك الحجة المحقق والعلامة النحرير محي السنة النبوية وناشرها فى بلاد العرب والعجم السيد صديق حسن القنوجي البخاري. ويصل نسبه أيضاً إلى حسين السبط بن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بعد اثنين وثلاثين جيلا كما ذكر فى كتابه «ابقاء المنن بإلقاء المحن»

وكان والده تلميذاً للشيخ عبدالعزيز المحدث الدهلوي «رحمه الله» ومن اتباع السيد أحمد بن عرفان الشهيد «رحمه الله» زعيم حركة التجديد والاصلاح في القارة الهندية.

ولد فى سنة ١٢٤٨هـ في مدينة «قنوج» ولما بلغ الخامسة من عمره توفى والده. فرباه عدة من أصدقاء والده.

سنة ١٣٣٦هـ[٩٣]).

تعلم العلم فى عدة من المدن وعلى عدة من الاساتذة فى بلده وفى كانفور وفرخ آباد وفى الاخير ورد دهلي ودرس على المفتى صدر الدين الدهلوى وأخذ اجازة فى علم الحديث من عدة من فطاحل العلماء منهم الشيخ زين العابدين بن محسن بن محمد السبعي الانصارى. والشيخ عبدالحق البنارسى تلميذ الامام الشوكانى والشيخ يحيى بن أحمد بن حسن الحازمى والشيخ حسين عرب وغيرهم.

لقد جال فى عدة من المدن وعمل عدة أعمال ثم استقر فى الاخير في مدينة «بوفال» سنة ١٢٧٦هـ. وتزوج بملكة بوفال «شاهجهان بيكم» وهكذا فتح الله عليه سبيل الخير فخدم العلم وخاصة السنة النبوية خدمة لا يكاد يوجد لها نظير، فاشترى عدداً كبيراً من الكتب النادرة بأثمان باهظة جداً وطبعها ووزعها فى العالم الاسلامى كله وأنفق على هذا مئات الآلاف من الروبيات. ومن هذه الكتب فتح الباري بشرح صحيح البخارى. وتفسير ابن كثير ونيل الاوطار وغيرها وطبعت لاول مرة فى الهند.

وكان له مندوبون في بلدان العالم الإسلامى لتوزيع ما يقوم بطبعه من الكتب من مؤلفاته ومطبوعاته. ففى مصر كان مندوبه أحمد أفندى العشى. والشيخ أحمد البابي الحلبي وفى الاسكندرية حبيب أفندى عزروزي. وفى بيروت «بشارت أفندى الشداق» وفى جدة «طاهر أفندى مشاط» وفى القسطنطينية «سيد أحمد بن ناصر» وفى عدن «عبدالله حسن علي رجب بك». وفى البصرة «عيسى بن قرطاس» وفى بغداد «عبدالقادر بك حشمت» وفى تونس «سيد محمد العربى» وغيرهم.

وهكذا نشر أنوار العلوم وأهمها فى القارة الهندية وفى سائر العالم الاسلامى وبقى فى الحكومة أربع عشرة سنة ملأها عدلا ونوراً وعلماً. ثم عزل عنها بسبب الوشاة والنمامين من أعداء السنة والتوحيد واتهم لدى الحكومة الانجليزية المستعمرة بأنه يحرض الناس على الجهاد وينشر المذهب الوهابي.

وتوفى رحمه الله فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧هـ وترك وراءه عدداً حافلا من المؤلفات يتجاوز عددها على مائتين وعشرين كتاباً، وفى سائر العلوم الاسلامية وأكثرها فى علم التفسير والحديث والتوحيد والفقه، ومن أهمها «فتح البيان في مقاصد القرآن، عون البارى في حل أدلة البخاري، والسراج الوهاج فى شرح مختصر مسلم بن الحجاج للمنذرى، ونيل المرام في شرح آيات الاحكام، والروضة الندية، والتاج المكلل، وابجد العلوم، والدين الخالص وغيرها»

«يرجع إلى تراجم علماء حديث هند ص: ٢٤٠، وهندوستان مين اهلحديث كي علمى خدمات ص ٢٦ لابى يحيى امام خان نوشهروي» (المترجم).

(٩٣) هو العلامة الكبير المحدث الفقيه النحرير الشيخ محمد بشير الفاروقي ـ نسبته إلى الفاروق عمر رضى الله عنه ـ

وفى هذه الأيام امتاز من علمأء هذا السليل المبارك الشيخ محمد[٩٤] بن عبداللطيف بن عبدالرحمن. وله رسالة ألفها فى سنة ١٣٣٩هـ توجد فى مجموعة الدرر السنية وسنه الآن يقارب الثمانين حسب رواية الشيخ عمران بن محمد.

وقد ذكر محمد حامد الفقي أسماء عالمين معاصرين من هذا البيت في مقدمته على كتاب فتح المجيد، وهما عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في المملكة العربية

ولد في حوالى سنة ١٢٥٠هـ وتعلم على عدة اساتذة افضلهم شيخ الكل الامام نذير حسين الدهلوى رحمه الله ثم عين مدرساً للغة العربية والفارسية فى كلية «سينت جونس» بأكره. وفي سنة ١٢٩٥هـ استدعاه الملك العلامة النواب صديق حسن خان رحمه الله وفوض اليه برئاسة المدارس الدينية فى امارة بوفال فبقى هناك مدة طويلة. ولما توفى النواب صديق حسن رحمه الله أراد مغادرة الامارة ولكن الملكة أبت عليه إلا أن يبقى هناك. فكان يلقى درساً كل أسبوع في قصر الملكة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بكل جرأة وصراحة ولما توفيت الملكة في سنة ١٣١٩هـ رجع إلى دهلي فأحله شيخه الامام نذير حسين محله ليكون خلفاً له. توفى رحمه الله في دهلي سنة ١٣٢٦هـ.

كان رحمه الله آية فى العلم والورع وكثرة المطالعة وسعة المعلومات وكان محققاً متبعاً للكتاب والسنة يفتي ويعمل بما يراه حقاً وصواباً حسب الادلة. وله عدة مؤلفات، منها: القول المحقق المحكم فى حكم زيارة الحبيب الاكرم وكذلك «القول المنصور» و (اتمام الحجة على من اوجب الزيارة كالحجه) وهى مناقشات جرت بينه وبين الشيخ ابى الحسنات عبدالحى اللكنوى. ولما جاء للحج ناقش المفتي أحمد زيني دحلان في آرائه البدعية ووساوسه نحو دعوة التوحيد وتصحيح العقيدة الاسلامية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ولما رجع من الحج ألف كتابه الشهير (صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان) وله كتب أخرى مطبوعة وغير مطبوعة.
(المترجم)

(يراجع: تراجم علماء حديث هند للنوشهروى ص: ٢١٩ ومقدمة صيانة الانسان ص ١٣)

(٩٤) هو العالم الجليل الشيخ محمد بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب. ولد بمدينة الرياض سنة ١٢٨٢هـ ونشأ بها. قرأ القرآن في حياة والده ثم درس على اخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ محمد بن محمد وغيرهما من علماء وقته. ولقد فوضت اليه عدة مناصب دينية فتولى قضاء مدينة شقراء. وبعثه الملك عبدالعزيز سنة ١٣٣٩هـ إلى عسير وغامد وزهران للدعوة إلى الله فى هذه البلاد وتولى القضاء فى الرياض. توفى رحمه الله يوم الاحد ثاني جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧هـ فى الرياض.
(المترجم)
(مشاهير علماء نجد ص: ١١٧ للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ)

السعودية والشيخ محمد بن ابراهيم بن عبداللطيف[٩٥].

(٩٥)هما عالمان جليلان من ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. أما الاول فكما يقول صاحب كتاب «مشاهير علماء نجد وغيرهم ص: ١٢١ ـ ١٣١ هو صاحب السماحة العلامة الفاضل الجليل الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن بن الشيخ حسين بن الشيخ علي بن حسين بن شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. ولد هذا العالم الشهير ببلدة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر محرم لحرام سنة ١٢٨٧هـ. فنشأ وترعرع في أحضان والده وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات وأخذ العلم عن جهابذة عصره ولما طال باعه في العلم وبلغ المنزلة العليا من المعرفة عين إماماً لمسجد الامام عبدالرحمن الفيصل ثم أُرسل للتعليم الى هجرة الارطاوية ورافق جلالة الملك فيصل رحمه الله في حرب عسير وكان قاضياً للجيش مع الملك عبدالعزيز رحمه الله حينما دخل مكة المكرمة وعين إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام ثم رئيساً للقضاة بالحجاز. توفي رحمه الله يوم السبت ٧ رجب ١٣٧٨هـ ورثاه عدد كبير من العلماء والفضلاء.

وأما الثاني فهو العلامة الجليل المحدث الاصولي الفقيه الشيخ محمد بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في حياته رحمه الله. ولد في مدينة الرياض ١٧ محرم سنة ١٣١١هـ ودرس على كبار العلماء أمثال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ حمد بن فارس وغيرهم وتخرج على يديه أفواج من العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله. والشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلميه والافتاء والدعوة والإرشاد. انتقل رحمه الله إلى دار الاخرة وهو يتحمل مسئوليات تنوء بها العصبة من اولى القوة ومن أهمها رئاسة الافتاء والاشراف على الشئون الدينية ورئاسة الجامعة الاسلامية ورئاسه رابطة العالم الاسلامي وغيرها.

توفي يوم الاربعاء ٢٤ رمضان ١٣٨٩هـ. (مشاهير علماء نجد ص: ١٣٤ ـ ١٤٦) «المترجم»

الباب الثانی

فی مُدارات الحکم

كل ما حدث في نجـد وأرجـائهـا من الاصلاحات الطيبة فى حياة شيخ الاسلام أو بعد وفاته إنما كان نتيجة لدعوته واخلاصه. والحقيقة أنه لم يقم فقط بانقلاب فى أهل نجد وعقائدهم وأخلاقهم بل لقد غيرها من العقب إلى الرأس. ومن حسن حظه قد وجـد أمـراء مجاهـدين أمثال محمد بن سعود (م سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م) وعبدالعزيز بن محمـد بن سعـود (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م إلـى ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) وسعـود بن عبـدالعـزيـز (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م إلى ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) الـذين لم يألوا جهداً فى انجاز مهمته.

ولقد التصق اسم آل سعود بدعوة الشيخ ولذلك نحب أن نقدم من تاريخ آل سعود باختصار تلك الاجزاء التى ترتبط ارتباطاً خاصاً ومباشراً بالدعوة.

محمد بن سعود[1]

من حين نشأت الـدعـوة وتـرعـرعت أرسـل الأمير محمد بن سعود «م ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م» وفـدا إلى الحـرمـين وقـد طلب هذا الـوفـد من الشـريف سعـود بن سعيد «١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م» إلى ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م» اذنـاً عامـاً للحـج وتكلم مع علماء

(١) التاريخ السياسي لنجد خارج عن نطاق بحثنا ولكننا نبرز تلك النواحى التى تتعلق علاقة مباشرة بدعوة الشيخ. وللاطلاع على تاريخ نجد أو تاريخ آل سعود بتفصيل يرجع إلى الكتب التالية: -

١ - عنوان المجد لابن بشر.

٢ - عجائب الاثار للجبرتي ج ٣، ٤

٣ - تاريخ نجد للالوسي ص: ٩٠، ١٠٤.

٤ - حاضر العالم الاسلامي (مع تعليقات شكيب ارسلان) ٤: ١٦١، ١٧٢

٥ - دائرة المعارف الاسلامية (مقالة ابن سعود)

٦ - العربية (Arabia) فلبي. وهو مفصل جداً.

وكتب أمين الريحاني أيضاً معروفة ومتداولة بالعربية والانجليزية. وسنذكر كتباً أخري فى باب المراجع ان شاء الله.

الحرمين فى المسائل المختلف فيها. ولكن «فقهاء الحرم» عاملوه معاملة مؤلمة جداً فقد اعتقل رجال الوفد وتمكن بعضهم أن ينجو بنفسه بعد صعوبات.

منع أهل نجد من الحج

هذه رواية دحلان الذي لا توجد في أي من كتابيه[٢]. تواريخ صحيحة ولا دونت الحوادث والوقائع بصدق وأمانة ولم تعين السنوات أيضاً. وعلى كل حال فأقل ما يعرف من هذا ان أهل نجد كانوا قد منعوا من الحج من قبل هذا. وابن بشر لم يذكر في حوادث سنة ١١٦٢هـ سوى قوله:

«فى سنة ١١٦٢هـ اعتقل شريف مكة سعود بن سعيد الحجاج النجديين ومات بعضهم[٣]».

لقد ظهرت دعوة شيخ الاسلام بعد سنة ١١٥٧هـ واشتهرت بعد سنه ١١٦٠هـ ولذلك فليس من المعقول أن حجاج نجد قد منعوا قبل سنة ١١٦٢هـ من زيارة البيت الحرام. ويظهر لنا من هذه القرائن ان حادث المنع عن الحج قد أتى بعد قصة اعتقال الحجاج هذه. ولم يزل مستمراً سوى فترات معينة خاصة فقد تشرف عدد كبير من علماء نجدو عوامهم بزيارة بيت الله في سنى ١١٨٣هـ، ١١٨٥هـ، ١١٩٧هـ. ولكن الاذن في كل مرة كان مؤقتاً. ولم يجد أهل نجد فرصة للحج والزيارة «بحرية» إلا بعد استيلاء عبدالعزيز على الحرمين[٤] وهذه هى التفاصيل:

عبدالعزيز بن محمد بن سعود

لقد توفي الامير محمد بن سعود أيام كانت الدعوة فى شبابها وخلفه ابنه عبدالعزيز

---

(٢) الدرر السنية ص: ٤٤ وكتابه الآخر هو خلاصة الكلام فى امراء البلد الحرام.

(٣) عنوان المجد ١ : ٢٣.

(٤) دخل عبدالعزيز بن محمد بن سعود فاتحاً مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م

بن محمد بن سعود[٥] وكما يقول مرغليوث لقد أرسل وفداً إلى مكة في سنة ١١٧٩هـ «١٧٦٦م» واستقبل الوفد بحفاوة واضافه الشريف[٦] وأكد الوفد لعلماء مكة أن عقائدهم ليست منفصلة عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

---

(٥) لقد زعم بعض الكتاب أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان ابن بنت شيخ الاسلام (فلبي ص ٤١، ٤٣ وقاموس الاسلام ص: ٦٦) ولكن هذا ليس بصحيح. ويقول عامة المؤرخين إن بنتا لشيخ الاسلام كانت تحت الأمير محمد بن سعود. ولكن شيخ الاسلام استوطن الدرعية فى سنة ١١٥٧هـ فلابد أن يكون هذا الزواج بعده، مع أننا نعرف من جهة أخرى بطرق موثوق بها أن الامير عبدالعزيز كان قد بلغ الرشد فى سنة ١١٦٠هـ فقد ذكر الشوكاني (البدر الطالع ص: ٢٦٣) ان ابنه سعود بن عبدالعزيز كان قد ولد فى سنة ١١٦٠هـ أو١١٦٣هـ ولذلك فلو سلمت المصاهرة بين شيخ الاسلام والامير محمد بن سعود مع سكوت ابن بشر وابن غنام عن هذه القرابة فعبدالعزيز بن محمد بن سعود لا يمكن أن يكون ابن بنته.

وبالعكس من ذلك يزعم برانجس (Bridges) أن عبدالوهاب (؟ ابن عبدالوهاب) نفسه كان قد تزوج بنت محمد بن سعود «ص: ١٠٧» ويكتب أيضا أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود تزوج بنت عبدالوهاب (؟ ابن) وقد ولد من بطنها سعود بن عبدالعزيز فالله أعلم بما هو الصحيح؟

(٦) الانجليز والمؤرخون الاوروبيون كلهم يسمون حاكم مكة (Grand Sharif) شريف الكبير ويسمون أفراد البيت الأخرين «شريف» فقط. أما فى العربية فتستعمل كلمة «شريف» للمنتسبين إلى الحسنين رضى الله عنهما عامة. إلا أن «شريف مكة» لا يطلق إلا على حاكم مكة ولمعرفة تاريخ الاشراف يمكن مراجعة كتاب دحلان «خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام» مع أنه لا يوثق به كثيراً.

وقد ذكر لبيب البتنونى أيضاً موجزاً لتاريخ أشراف مكة فى كتابه «الرحلة الحجازية» (ص: ٨١، ٨٣) وهناك باب يحتوى على معلومات عن حكومة مكة فى كتاب (Travel in Arabia) الذى ألفه برك هارت (١: ٤٠٥، ٤٤٤) وكذلك باب موجز في كتاب (Histery of Arabia) لهو غارث. وإليك اسماء الاشراف الذين يتعلقون بهذه الحركة مع سنى ولا يتهم:

١ ـ مسعود بن سعيد سنة ١١٤٦هـ
٢ ـ مساعد بن سعيد سنة ١١٦٥هـ
٣ ـ جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢هـ
٤ ـ مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣هـ
٥ ـ عبدالله بن سعيد سنة ١١٨٤هـ
٦ ـ أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤هـ
٧ ـ عبدالله بن حسن سنة ١١٨٤هـ
٨ ـ أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤هـ
٩ ـ سرور بن مساعد سنة ١١٨٦هـ
١٠ ـ عبدالمعين بن مساعد سنة ١٢٠٢هـ
١١ ـ غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢هـ
١٢ ـ يحيى بن سرور سنة ١٢٢٨هـ

هذه رواية مرغليوث. أما ابن غنام وابن بشر وفلبى فلم يذكروا وفداً في سنة ١١٧٩هـ ولا ندري من أين أخذه مرغليوث وبعد سكوت ابن غنام وابن بشر فلا يمكن الاعتماد على ماذكره مرغليوث وروايات أحمد زيني دحلان (الدرر السنية ص: ٤٤) أيضاً متعارضة جداً في هذا الباب ولا يمكن الوثوق بها.

أول حج بعد المنع

وفي سنة ١١٨٣هـ وقعت مناوشة بين الموحدين وفرقة من قبل اشراف الحجاز واعتقل رئيس الفرقة الشريف منصور فأطلق الأمير عبدالعزيز سراحه بدون فدية ولقد ترك صنيعه هذا أثراً طيباً وفي مقابل ذلك أذن لهم شريف مكة بالحج وانتهز الفرصة عدد كبير من الموحدين. قال ابن غنام.

«فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة[٧]».

ومع أن قرار الاذن لم يمتد إلى سنين أخرى إلا أنه قد انفتح باب المحادثات والمفاوضات بسبب ذلك.

أول وفد نجدي

قال ابن غنام:

وفيها (أي في سنة ١١٨٥هـ ١٧٧٩م) أرسل الشيخ وعبدالعزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كاتبهم وراسلهم وطلب منهم أن يرسلوا فقيهاً وعالماً من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون اليه من الدين ويحضر عند علماء مكة فأرسل إليه الشيخ عبدالعزيز الحصين وكتب معه إلى شريف مكة رسالة.

واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحيى بن صالح الحنفي وعبدالوهاب ابن

(٧) روضة الافكار ٢: ٩١.

حسن التركي مفتى السلطان وعبدالغنى بن هلال وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها.

«الاولى: ما نسب الينا من التكفير بالعموم. والثانية: هدم القباب التي على القبور. والثالثة: انكار دعوة الصالحين للشفاعة... فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الاقرار إسراع وتفوهوا بأن هذا دين الله وقالوا هذا مذهب الامام المعظم وانصرف عنهم عبدالعزيز مبجلا مكرم[٨]».

وابن بشر أيضاً يذكر قصة هذا الوفد[٩] ولكن بايجاز ولقد فصل الكلام فيه فلبي ولكن مصدره على الغالب هو روضة الافكار لابن غنام وانه خلط بين حج سنة ١١٨٣هـ «١٧٦٩م» ووفد سنة ١١٨٥هـ «١٧٧١م» مع أن ابن غنام ذكر كلا منهما منفصلا عن الآخر.

وكان رئيس هذا الوفد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين وهو من خواص تلامذة شيخ الاسلام وكان موضع ثقة كاملة له. وقد أرسله رئيساً على الوفد إلى مكة مرتين. وكان يتولى منصب القضاء في عهود الامير عبدالعزيز «م ١٢١٨هـ/١٨٠٣» وسعود بن عبدالعزيز (م ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) وعبدالله بن سعود (صلب ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م) بعد وفاة الشيخ. ولقد عامله ابراهيم معاملة سيئة جداً عند الاستيلاء على الدرعية سنة ١٢٣٤هـ وشدد عليه في الكلام[١٠] وكان اذ ذاك قد ضعف جداً. وهكذا تكون نشوة الفتح والاستعلاء الدنيوى. ولكنه والحمدلله لم يقتل مثل الآخرين وتوفى فى ١٢ رجب سنة ١٢٣٧هـ (ط ابرايل سنة ١٨٢٢م)[١١]

---

(٨) روضة الافكار ٢: ٩٢، ٩١: وزاد الاستاذ محمد حامد الفقي على ذلك (ص: ٧٥) «فما كاد هذا الشيخ يبلغ مكة... حتى ثار آل مساعد على عمهم أحمد الشريف وانتزعوا من يده ولاية مكة بالقوة وأخرجوه منها جزاء استقدامه هذا العالم النجدى ووضعوا مكانه على مكة شريفاً آخر. والذي يغلب على الظن كثيراً أن ليد علماء السوء أثراً فى هذا الثورة على الشريف أحمد.» ولا أدري ما هو مأخذه؟

(٩) ١: ٥٩.

(١٠) عنوان المجد ١: ١٩١.

(١١) ولمعرفة المزيد من الاحوال وتفصيل التلامذة يراجع عنوان المجد ١: ٩١، ٩٤، ٢٣٢، ٢٣٣.

الجدب والاذن العام للحج

قال ابن غنام :

«وفيها (سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٥م) أهدى عبدالعزيز حرسه الله تعالى علي سرور والي مكة المشرفة خيلا وركاباً وكرمه بذلك وشرفه وقصده بذلك التشريف والاكرام واهدائه ذلك النفيس الذى هو اجل الحطام الرخصة لأهل الدين والاسلام في أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذي منعوه من سنين وكانوا على قضائه متوجدين فجاء الامر منه في ذلك بالرخصة فشمر المسلمون وانتهزوا الفرصة فحجوا ذلك العام وكانو نحو ثلاثمائة من الأنام[١٢] .

وابن بشر سكت عن هذه القصة تماماً . أما فلبي فقد فصل الكلام في الاستئذان ونتائجه وقال فى الجدب الذي عم في سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٥م .

«ولكن مع ذلك (يشير إلى تلك الجهود التي بذلها الأمير عبدالعزيز) قد منى العرب كلهم بمصائب عظيمة بسبب هذا الجدب الذي استمر طوال سنتين ولكن الجدير بالذكر أن الشريف لما أبلغ الأمير الوهابي برفع الحظر المفروض على النجديين وأخلى سبيلهم إلى الحج لم يستفدمنه سوى ثلاثمائة رجل[١٣] وذلك بسبب القحط . وهذا الاذن الثاني ذو أهمية خاصة في تاريخ العرب في تلك الأيام فقد كان سرور قد انفصل تماماً عن حكومة الخليفة المزعومة فى قسطنطينية وكان قد بدأ يشن الغارة على حدود عسير ونجد وكان يريدمن منع النجديين من الحج أن يظهر قوته عليهم ولكن الوهابيين أبوا أن يذعنوا له . وفي مقابل ذلك بدأوا يتعرضون لقوافل الحجاج العراقية والفارسية التى كانت تمر من بلادهم ولم يكن في وسع الشريف سرور أن يضمن حمايتهم وكانت النتيجة أن باشا العراق منع القوافل من الخروج وذلك لأن حكومة

---

(١٢) روضة الافكار ٢ : ١٣٤ .

(١٣) يظهر من كلام فلبي أن الشريف سرورا (١١٨٦ - ١٢٠٢) قد رفع الحظر عن الحج بنفسه لكن رواية ابن غنام تثبت ان الاذن كان بناء على طلب من الامير عبدالعزيز. أنظر كلامه «وقصد بذلك التشريف والاكرام . . . الرخصة لاداء أهل الدين والاسلام فى أداء واجب الافتراض» الخ .

فارس كانت تعتبر الباشا البغدادي مسئولا عن المتاعب التى كان يلقاها الحجاج فى الصحراء. وكانت موارد اهل الحجاز تنحصر في تلك الايام على هذه القوافل التى كانت ترد عليهم من طريق البر. ولما ضاق الشريف ذرعاً من تجار مكة والمدينة اضطر إلى تحسين علاقاته مع الحكومة النجدية. ولم يجد مناصاً سوى الخضوع. ولما أرسل الحاكم الوهابي هدايا الخيل والإبل إلى الشريف فى أيام الجدب ظهر لجميع الناس أن العلاقات قد تحسنت[١٤]» إلا أن الاذن أيضاً بدا مؤقتاً[١٥]

وفد نجدي ثان

توفى الشريف سرور فى سنة ١٢٠٢هـ وتولى الأمر بعد ذلك عبدالمعين بن مساعد وخلفه غالب بن مساعد وهو الشريف غالب الذي وقعت فى عهده المعارك بين أهل نجد والحجازيين والمصريين. وحسبما يرويه المؤرخون فقد كان ينوي اجتناب هذا الصراع إلا أن العلماء حالوا دون كل هدنة.

ومهما كان الأمر فان أقوى دليل على تفهمه للأمور أن الشريف غالباً (١٢٠٢ - ١٢٢٨هـ) بعد مدة سنتين فقط من توليه للامارة طلب من الامير عبدالعزيز عالماً يستطيع أن يتكلم في دعوة شيخ الاسلام. وقد لبي الأمير عبدالعزيز هذه الدعوة فرحاً مسروراً واختار الشيخ عبدالعزيز الحصين لهذه المهمة (وهو الذي كان رئيس الوفد الاول) وكتب شيخ الاسلام رسالة بيده ذكر فيها الادلة بكل تفصيل مع الاشارة إلى الوفد الاول وأن علماء مكة قد اطمأنوا اليهم فى ذلك الوقت. واستقبل الشريف غالب الشيخ عبدالعزيز الحصين استقبالا طيباً وكلمه طويلا واعترف بأهميته وصدق أدلته إلا أنه تراجع عن رأيه بعد ما أغواه العلماء المحليون. وحذره «فقهاء الحرم» بأنه إن أطاع

---

(١٤) Arabia : ٣٨، ٣٩.

(١٥) ذكر ماردقان «ابن سعود: دائرة المعارف الاسلامية» ان غالبا كان قد سحب هذا الاذن في سنة ١٢٠٢هـ. وعامة المؤرخين يذكرون ان الاذن في كل مرة كان مؤقتاً ولم تزل أحكام منع النجديين من الحج مستمرة حتى بدأت الحرب سنة ١٢٠٥هـ. (الرحلة الحجازية: ٦٨).

ابن سعود فسوف يفقد امارته ووقع هذا الامر في قلب الشريف غالب ومنعه الفزع من الامارة النجدية عن قبول الحق ولقد ذاق العالم الاسلامي كله مرارته. وألح عليه الشيخ عبدالعزيز أن يجتمع مع جماعة من علماء مكة ويناقشهم فى المسائل المختلف فيها بصراحة ووضوح إلا أن العلماء لم يرضوا بهذا وأعلنوا بالحرف الواحد: ـ

«هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك فطار لبه وارتعش قلبه[١٦]» ولو أن «فقهاء الحرم» أخذوا جانب الحزم والتعقل وتجنبوا هذه المعاملة المتهورة وتم التفاهم بين الشريف غالب والأمير عبدالعزيز لحقنت دماء المسلمين الغالية.

والعجب أن ابن بشر لم يذكر هذا الحادث المهم.

وفد نجدي ثالث

وبعد ما خاب الوفد الثاني في مهمته ابتدأت المناوشات بين الجانبين. وبدأ بها غالب بنفسه في سنة ١٢٠٥هـ (١٧٩١م) واستمرت هذه الاشتباكات مدة طويلة تخللتها مهادنات. وفي خلال هذه المدة استمرت الجيوش النجدية في توسيع نفوذها فى بقية أنحاء الجزيرة العربية حتى هجموا على جزيرة العمائر قرب الاحساء فى سنة ١٢١١هـ ورجعوا غانمين[١٧] ولما رأى الشريف غالب هذا الازدياد فى القوة النجدية بادر إلى المفاوضات مرة أخرى. وكتب إلى الامير عبدالعزيز كتاباً طلب فيه أن يرسل عالماً نجدياً يستطيع أن يعرض مذهب الموحدين على أهل مكة. وكان الوفدان السابقان قد ذهبا في حياة شيخ الاسلام ومعهما مكتوب من شيخ الاسلام وجاءت مطالبة الوفد الثالث بعد ما توفي الشيخ «سنة ١٢٠٦هـ» ولكن مع ذلك سارع الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى استجابته ولم يكن هناك شيء أحب إليه من الدعوة إلى الله. واختار لهذه المهمة أحد تلامذة الشيخ الأجلاء وهو الشيخ حمد بن ناصر بن

(١٦) روضة الافكار ٢: ١٦٣.

(١٧) عنوان المجد ١: ١١٠.

عثمان بن معمر. ولما فرغ الشيخ حمد بن ناصر ورفقاؤه من الطواف قدموا هدايا الامير عبدالعزيز إلى الشريف واستقبلوا استقبالا ودياً. واستمرت المناقشات عدة أيام مع علماء مكة. وفي الاخير قدمت أسئلة عديدة إلى الشيخ حمد بن ناصر وطلب منه ان يكتب اجوبتها فأجاب عنها مفصلا ومبرهناً بالادلة. وقد طبعت هذه الأجوبة في رسالة سميت «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب[١٨]» وتكلم في هذه الرسالة بالخصوص على مسئلتين وهما: الشفاعة والاستغاثة وتكفير تاركي الصلاة وقتالهم. وسنتكلم فيما بعد بالتفصيل في هذه المواضيع ولذلك لا أرى التعرض بموضوع بحث هذه الرسالة.

وكانت هذه المناظرة في شهر رجب سنة ١٢١١هـ في مجلس حافل أمام الشريف غالب. وعلق ابن غنام على هذه المناظرة في حوادث سنة ١٢١١هـ: -

«انهم اعترفوا باستقامة حججه ولكن مع ذلك جحدوا - الخ».

وقد نقل ابن غنام الرسالة بكاملها[١٩] وذكر فلبي أيضاً[٢٠] جميع ما جرى في هذا الوفد والمناظرة. والعجب أن ابن بشر سكت أيضاً عن ذكر هذا الوفد.

ومن المناسب هنا ان اذكر كلمات في شأن رئيس الوفد حمد بن ناصر بن معمر فكان يتشرف بتتلمذه على شيخ الاسلام مثل رئيس الوفد الاول والثاني الشيخ عبدالعزيز الحصين (م سنة ١٢٣٧هـ) وزيادة على ذلك كان قد استفاد من أخيه سليمان بن عبدالوهاب (م سنة ١٢٢٥هـ) وقد تولى القضاء في الدرعية مدة طويلة وكان الأمير سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨ - ١٢٢٩هـ) قد أرسله للتدريس والافتاء في مكة المكرمة وتوفي هناك في اواسط ذي الحجة ١٢٢٥هـ (بداية كانون الثاني يناير سنة ١٨١١م[٢١])

صلح بعد حرب

لقد زادت فتوحات «الوهابيين» حتى أن الباب العالي اهتم في شأنهم وسلمت هذه

(١٨) مجموعة الهدية السنية ص: ٩٠، ٥٥.
(١٩) روضة الافكار ٢: ٢٢٦.
(٢٠) Arabia ص: ٧١، ٧٢.
(٢١) عنوان المجد ١: ١٥٢.

المهمة إلى سليمان باشا والي بغداد[٢٢] فأرسل جيوشاً لكبح جماحهم بقيادة «ثويني» ثم بقيادة «علي باشا[٢٣]» ولكنها رجعت خائبة خاسرة وصارت الجيوش النجدية تشن غارات باستمرار على حدود العراق. وتقدم الأمير عبدالعزيز فاستولى على البحرين وسواحل عمان وحكم سيطرته بهجمات على حكام بغداد والبصرة الأتراك.

ولم يزل الحظر المفروض على النجديين من الحج مستمراً وفي مقابل ذلك لم يزل هجومهم على العراق والتعرض لقوافل العراقيين مستمراً. وكان كل هذا مصدر تعب وقلق دائمين لأشراف مكة. فاضطروا لرفع الحظر عن الحج مراراً وطلبوا الوفود للتفاهم ولكنهم في الاخير عزموا على شن الغارة. وكانت هذه عادة الشريف غالب فقد قام بشن غارات شاملة بعد استعدادات كاملة في سني ١٢٠٥هـ «١٧٩٠م» و ١٢١٠هـ «١٧٩٥م» و ١٢١٢هـ «١٧٩٨م» ولكن في كل مرة كان حظه الهزيمة[٢٤].

ووقعت أعنف هذه المعارك[٢٥] وآخرها في سنة ١٢١٢هـ في الخرمة (قرية معروفة عند تربة) ومنى فيها غالب بهزيمة نكراء وقتل آلاف من رجاله فلم يجد بداً من المصالحة والاذن للحج وعينت الحدود بين الطرفين فكانت عتيبة وحرب والناحية الشمالية من عسير في حدود مملكة الشريف. وتم هذا الصلح في آخر جمادى الاولى سنة ١٢١٣هـ (كانون الاول ديسمبر سنة ١٧٩٨م[٢٦]) وعلى أثر ذلك بدأ النجديون وكذلك القوافل العراقية يؤدون فريضة الحج بأمن وسلام من سنة ١٢١٣هـ إلى سنة ١٢١٥هـ.

---

(٢٢) في سنة ١٢١٢ وكان الشريف غالب هو الذى لفت أنظار الدولة العثمانية إلى خطر «الوهابيين» وحثه على كسر شوكتهم إلا أن الدولة لم تعر أى اهتمام. ولكننا نرى أن سليمان باشا حاكم بغداد جهز الجيوش لمحاربة أهل نجد قبل ذلك وأما بعده فى سنة ١٢١٣هـ فكما يقول دحلان نفسه أن نائب سليمان وهو علي باشا قد قام بهجوم عنيف «ولو لم تكن حياتهم باقية لكان من المقطوع به نهاية الوهابيين» خلاصة الكلام ص ٢٦٦، ٢٦٨.

(٢٣) ارسلت هذه الجيوش فى سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) وسنة ١٢١٣هـ «١٧٩٩م» وللتفصيل يراجع عنوان المجد ١: ١٠٧، ١٠٩، ١١٨. وفلبي ص ٦٨، ٧٠.

(٢٤) عنوان المجد ١: ٨٧، ٨٦، ١٠٣، ١٠٧، ١١٢، وفلبي ص: ٥١، ٥٤، ٧٣، ٧٤.

(٢٥) وهذه المعركة هى التي اشتهرت «بوقعة الخرمة» وقد وقعت فى شوال سنة ١٢١٢هـ «مارس وابريل سنة ١٧٩٨م» ورجع غالب إلى مكة منهزماً فى ٣ من ذى القعدة «١٩ ابريل سنة ١٧٩٨م» خلاصة الكلام ص: ٢٦٧.

(٢٦) خلاصة الكلام ص ٢٦٧.

الحج سنة ١٢١٣هـ

بعد معركة الخرمة أرسل الشريف رسولا إلى عبدالعزيز وطلب منه الصلح فقبله الأمير وأذن الشريف لاهل نجد بالحج وفي العام نفسه تشرف ركب آخر من نجد بأداء فريضة الحج وكان فيه نجلان لشيخ الاسلام وهما علي بن محمد وابراهيم بن محمد[٢٧]. ويعلق دحلان على هذا بقوله.

«وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وأن يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالامن والامان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان.

فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن[٢٨].

ويذكر أحمد دحلان حج حمد بن ناصر أيضاً إلا أن ابن بشر لم يذكر اسمه في نطاق ذكره للاعيان الآخرين.

ولم يتمكن الامير عبدالعزيز ولا سعود بن عبدالعزيز من أداء الحج في ذلك العام وذلك بسبب أن نائب سليمان باشا وهو علي باشا قد أرسل جيشاً عظيماً لمحاربتهم فاشتغل الوالد والولدفي الاستعداد لهذه المهمة. ووقعت هذه الحادثة ما بين رمضان وذي القعدة سنة ١٢١٣هـ (سنة ١٧٩٩م).

الحج سنة ١٢١٤هـ

«وفيها حج سعود بن عبدالعزيز حجته الاولى وأجمل معه غالب أهل نجد والجنوب والاحساء والبوادي غيرهم وكانت حجة حافلة بالشوكة وجميع الخيل والجيش والاثقال والنساء واعتمروا وقضوا حجهم على أحسن الاحوال ولم ينلهم مكروه ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنه[٢٩]»

---

(٢٧) عنوان المجد: ١: ١٢٠.

(٢٨) خلاصة الكلام: ٢٦٨.

(٢٩) عنوان المجد ١: ٢٠.

«وفى سنة اربع عشرة حج سعود بن عبدالعزيز ومعه قوم كأمثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالابطح ورجع فى الثامن والعشرين من ذي الحجة (مايو سنة ١٨٠٠م[٣٠]).

الحج سنة ١٢١٥هـ

«وفيها حج عبدالعزيز بن محمد بن سعود بالناس واحتفلوا احتفالا أعظم من الاول التى قبلها وأجمل معه غالب أهل نجد ومن تبعهم من البوادي وغيرهم بالنساء والاطفال وحج معه ابنه سعود ثم ان عبدالعزيز لما سار سبعة أيام أنس من نفسه الملل والثقل وبالغ معه ابنه سعود. . فرجع عبدالعزيز. . ورجع إلى الدرعية وحج سعود بالمسلمين واعتمروا وحجوا على احسن حال واجتمع سعود بغالب فى مكة وبذل سعودفي مكة من الصدقات والعطاء شيئاً كثيراً. وهذه حجته الثانية[٣١]».

«وفي هاتين السنتين مرت قوافل الحجاج من أرجاء بلدان نجد آمنة مطمئنة وكان سعود بن عبدالعزيز بنفسه يشرف عليها وفي السنة الثانية تشرف حاكم عمان أيضاً بالحج[٣٢]».

لقد أخذنا هذا الترتيب بين الوقائع والحجات من مراجع موثوق بها وقد حصل بعض الغلط في الترتيب عند الامير شكيب أرسلان ولعله بسبب اعتماده على بعض المصادر الاوربية[٣٣]. وكذلك الامر في مقالة ما ردتمان ومع أن السنين فيها قد كتبت صحيحة إلا أن الترتيب منقلب[٣٤].

الغارة على كربلاء سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م

لقد بولغ كثيراً فى رواية قصة غارة النجديين على كربلاء وإهانة النجف وبلد الحسين ولكننا نذكر هنا الوقائع الصحيحة وبايجاز:

«ولقد فشلت تماماً تلك الحملات المتكررة التي قام بها ولاة البصرة وبغداد من

(٣٠) خلاصة الكلام: ٢٦٨. (٣١) عنوان المجد ١: ١٢١. (٣٢) فلبي ص: ٨١.

(٣٣) حاضر العالم الاسلامي ٤: ١٦٢، ١٦٣. (٣٤) مقالة «ابن سعود» دائرة المعارف الاسلامية.

الترك مع حلفائهم من آل المنتفق عام ١٧٩٧م وحملة كخيا علي باشا سنة ١٧٩٨م في اجلاء الوهابيين من الحسا. وانتهت هذه الحملات بتهادن عبدالعزيز ووالي بغداد لمدة ست سنوات ولكن صلات الوهابيين الودية مع بغداد والاشراف لم يطل أمدها. فداهم سعود بن عبدالعزيز مدينة كربلاء في ١٨ ذى الحجة عام ١٢١٦هـ (٢١ ابريل ١٨٠٢م) للانتقام من قبيلة خزاعل الشيعية لاعتدائها على قافلة وهابية[٣٥]».

«وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة ومن جميع حاضر نجد وباديها والجنوب والحجار وتهامة وغير ذلك وقصد أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين وذلك في ذي القعدة[٣٦] فحشد عليها المسلمون وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في الاسواق والبيوت وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين واخذوا ما في القبة وما حولها واخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الاموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الاموال وقتل من أهلها قريب من ألفى رجل[٣٧]».

ومهما فرح أهل نجد بهذه الحادثة وشفي غيظهم إلا أنها أثارت موجة السخط والغضب بين المسلمين عامة والشيعة الايرانيين خاصة ويقال أن «فتح علي شاه قاجار» (١٢١٢هـ - ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٨م - ١٨٣٤م) قد عزم على شن الغارة على نجد بجيش عدته مائة ألف رجل وكان سليمان باشا حاكم بغداد أيضاً يعد جيشاً عظيما. إلا أن أهل ايران قد اشتبكوا مع الروس واشتغل سليمان باشا في اخماد ثورة من قبل الاكراد وهكذا صرفوا عما أرادوا[٣٨].

أما غضب «فتح علي شاه قاجار» فمعقول ولكن كتب التاريخ الاخرى لا تثبت

---

(٣٥) فلبي ص: ٨١ ومقالة ماردتمان «دائرة المعارف الاسلامية «عربى» ١: ١٩١، ١٩٢».

(٣٦) ذي القعدة سنة ١٢١٦هـ «مارس سنة ١٨٠٢م» ولعله تاريخ الخروج وقد حدد هاردتمان تاريخ الهجوم وهو ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ «٥ ابريل سنة ١٨٠٢م» ويظهر أنه صحيح.

(٣٧) عنوان المجد ١: ١٢١، ١٢٢.

(٣٨) حاضر العالم الاسلامى ٤: ١٦٣.

ارادتـه غزو نجـد. ولقـد وجـدت مخطـوطة في المكتبة الشرقية ببتنة تلقى بعض الضوء على هذه الحادثة وفيها رسالة من الأمير سعود بن عبدالعزيز باللغة الفارسية إلى «فتح علي شاه قاجار» وفيها ذكر لقتل أهل نجف مع ذم أعمالهم الشركية وكتب فيها أيضاً أن «فتح علي شاه» إن لم يحاول استئصال هذه المفاسد فسيضطر أمير نجد أيضاً إلى اتخاذ اجـراءات صارمـة. ومـع هذه الرسالة يوجد جواب «فتح علي شاه» وقد حذر فيه أمير نجد وأكد عليه أن يمتنع عن هذه (المظالم) وفي بداية الرسالة توجد بعض التوضيحات والافـادات عن دعـوة شيـخ الاسلام بكلمات موجزة وهذه الافادات من قبل سعود بن عبدالعزيز. وأما أصل الرسالة فقد كتب من قبل الامير عبدالعزيز بن محمد بن سعود وعند الهجوم على كربلاء كان الأمير عبدالعزيز حاكما وسعود بن عبدالعزيز ولياً للعهد وقائدالجيش فمن المعقول أيضاً وجود أسمائهما فى الرسالة.

كتبت هذه المخطوطة الوجيزة في سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م أي بعد ثلاث سنين من الحادث فقط. ولا يوجد تاريخ في الرسائل إلا أنها كتبت في أيام قريبة من الهجوم على كربـلاء وليس فيهـا أي ذكـر لغارة «فتح علي شاه» المزعومة. ومن جهة اخرى يتبين لنا من تصـريحـات فلبي[٣٩] أن العـلاقات بين «فتح علي شاه» وسعود بن عبدالعزيز كانت طيبـة ووديـة في سنـة ١٨٠٨م ولـذلـك فلا يمكن أن نقطع بشيء فى ارادة ملك ايران الغاره على نجد.

أمـا غارة سليـمان باشـا حاكم العراق فالذي نعرف عنها أنه توفي في سنة ١٢١٧هـ أي بعد مدة قصيرة من حادث كربلاء[٤٠].

انتهاء الهدنة سنة ١٢١٧هـ

ان معـاهـدة الهـدنة التي ابرمت بين الجانبين بعد وقعة الخرمة لم يقدر لها البقاء مدة طويلة واتهم الشـريف غالب الجيـوش النجدية بخرق المعاهدة والقيام بأعمال عدوانية

(٣٩) Arabia ص: ٩٠.

(٤٠) عنوان المجد ١: ١٢٢.

ولما لم تنحل المسألة بالمكاتبات أرسل الشريف غالب وزيره «عثمان المضايفي» لاجراء مفاوضات. إلا أنه لما وصل هناك إنضم إليهم ولما رجع دعا غالباً إلى المبارزة من قبل حلفائه الجدد.

ومن جهة أخرى ساءت العلاقات بين غالب وأخيه عبدالمعين واستنجد عبدالمعين بسعود فوقع اشتباك قرب الطائف وتحصن غالب في قلعة الطائف إلا أنه منى بالهزيمة أخيراً واستولى الجيش السعودي على الطائف وعين عثمان المضايفي حاكما للحجاز[41] وانتشرت الجيوش النجدية فى الاطراف والجوانب وأخذوا يتوجهون نحو مكة المكرمة.

كان الحج قريباً وكان الركب الشامي نازلا على بعد ثلاثة أيام من الحرم بقيادة (عبدالله باشا) فتصالح مع سعود على شرط أن يعود الركب إلى بلاده بعد ثلاثة أيام من فراغه من شعائر الحج وطلب غالب من عبدالله باشا أن يتوسط له لدى سعود إلا أنه رجع إلى بلاده بمجرد فراغه من الحج حسب شروط الاتفاق وذهب طلب غالب هباء[42].

دخول مكة

بعد ما انتهت أعمال الحج لجأ غالب إلى جدة ودخل سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة فاتحاً وذلك في يوم السبت ٨ محرم الحرام سنة ١٢١٨هـ «٣٠ ابريل سنة ١٨٠٣م»[43] ولم يلق سعود أي معارضة من قبل المواطنين وعين عبدالمعين شقيق غالب أميراً على مكة وتوجه بنفسه إلى الاصلاح. قال ابن بشر

«ودخل سعود مكة واستولى عليها وأعطى أهلها الأمان وبذل فيها من الصدقات

---

(٤١) أواخر سنة ١٣١٧هـ (١٨٠٣م).

(٤٢) عنوان المجد ١: ١٢٢/ ٢ وفلبي ص: ٨٣.

(٤٣) لقد ذكر صاحب قاموس الاسلام (٦٦٠) تاريخ دخول مكة ٢٧ أبريل إلا أنه أخطأ ولعل زويمر أيضاً (٩٤) نقل منه هذا الخطأ.

والعطاء لأهلها شيئاً كثيراً. فلما فرغ سعود والمسلمون من الطواف والسعي تفرق أهل النواحي يهدون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية.

وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في اسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها فأقام فيها أكثر من عشرين يوماً ولبث المسلمون في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون. يباكرون إلى هدمها كل يوم وللواحد الاحد يتقربون حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً[٤٤]».

«لقد ولى سعود عبدالمعين إمارة مكة وتوجه إلى تطهير الحرم من أرجاس الوثنية ووزع الجواهر والأموال الموجودة في الكعبة وهدمت القباب وقتل بعض السدنة[٤٥]».

ولم يذكر ابن بشر شيئاً عن توزيع الجواهر وقتل السدنة. وهذا جانب واحد من دخول سعود مكة ولعل عامة الناس لا يرضون بهذا فلنلاحظ الجانب الآخر أيضاً.

يقول الراهب هيوجس (Huges) :

«لم يصب المواطنين أي أذى لأجل قداسة الحرم. وبعد أن تولى الامارة أهل نجد عمرت المساجد حتى أن هذا المنظر من الزهد والطاعة لم ير له مثيل في هذا البلد الامين بعد عهد النبوة[٤٦]».

وكتب معاصر أوروبي آخر وهو برك هارت :

«مازال أهل مكة يذكرون اسم سعود بالشكر والرضى حتى الآن وما زالت معاملة الجنود الطيبة تذكر بثناء ومدح وبالخصوص معاملتهم في أيام الحج والزيارات. ولم يستطيعوا أن ينسوا تلك المعاملة العادلة التي شاهدوها من جيوشه[٤٧]»

وزيادة على هذا أجبر الناس كلهم على الصلاة مع الجماعة ودمرت آلات التنباك والملابس الحريرية والغيت المكوس والرسوم التى لا يقرها الشرع الاسلامى[٤٨].

---

(٤٤) عنوان المجد ١ : ١٢٢/ ٢، ٣.

(٤٥) فلبي ص: ٨٣.

(٤٦) قاموس الاسلام (Dietionory of Islam) ص: ٦٦٠.

(٤٧) برك هارت ٢ : ١٤٩.

(٤٨) الهدية السنية: ٤٣.

وقضي على تعدد الجماعات في الصلوات وبدأ الناس يصلون وراء امام واحد وبدأ علماء المذاهب المختلفة يصلون بالناس في أوقات مختلفة[٤٩].

ووزعت رسالة ألفها الشيخ عبدالله بن شيخ الاسلام في توضيح عقائد أهل نجد وطريقتهم وذكر فيها بكل تصريح هد القباب والزوايا وبحث في المسائل الاخرى المختلف فيها. وحسبما يروي دحلان أمر بتدريس رسالة «كشف الشبهات» لشيخ الاسلام[٥٠].

وقد ذكرنا آنفاً أن غالباً قد التجأ إلى جدة فتعقبه سعود بعد ما أقام فى مكة المكرمة أربعة عشر يوماً وذلك في ٢٢ محرم سنة ١٢١٨هـ. إلا أن المهمة قد باءت بالفشل لأجل تفشى الطاعون في جنوده واضطر إلى أن يترك فكرة الاستيلاء على الحجاز في ذلك الوقت وبقي مائتان من جنوده في مكة فذبحوا وراءه بكل قسوة[٥١]

استشهاد الامير عبدالعزيز

في ١٨ رجب سنة ١٢١٨هـ (٤ نوفمبر سنة ١٨٠٣م) حينما كان الأمير عبدالعزيز يصلي بالناس صلاة العصر حسب عادته وبينما كان ساجداً بين يدي ربه إذ هجم عليه ظالم بخنجر وقتله. ويروى أن الذى قتله كان رافضياً ايرانياً أوكردياً[٥٢] قتل عدة من أولاده في كربلاء بأيدي النجديين وكان يقيم بالدرعية يتربص الدوائر لكى يتمكن من أخذ ثأره وكان الأمير عبدالعزيز يكرمه لغربته وظهور صلاحه ولكنه بقي ينتظر الفرصة مدة سنة كاملة حتى تمكن من ارواء غليله بقتل الأمير عبدالعزيز.

---

(٤٩) خلاصة الكلام: ٢٧٨.

(٥٠) خلاصة الكلام: ٢٧٩.

(٥١) حاضر العالم الاسلامي ٤: ١٦٢ وفلبي: ٨٣.

(٥٢) عامة المؤرخين يذكرون أن القاتل كان رافضياً ايرانياً «فلبي: ٨٤ حاضر ٤: ١٦٣» إلا أن ابن بشر «١: ١٢٣» يقول إنه كان كردياً ثم يقول: وقيل إنه كان شيعياً وأتى بصفة التمريض، لأن الاكراد ليسوا بأهل رفض ولا فى قلوبهم غل على المسلمين (١: ١٢٤) وابن بشر يسميه بعثمان وكان من سكان [عمارية] قرب الموصل.

لقد حكم عبدالعزيز بن محمد بن سعود من سنة ١١٧٩هـ (سنة ١٧٦٥م) إلى سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) أي مدة تسعة وثلاثين عاماً ومضى أكثر عهد حكمه تحت اشراف مباشر من شيخ الاسلام نفسه وكان عبدالعزيز قد برزت أهميته قبل سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٤م أي قبل وفاة والده وجميع المعارك العامة التى خاضتها الجيوش النجدية من سنة ١١٥٩هـ إلى ١١٧٩هـ (أى سنة ١٧٤٤م إلى ١٧٦٥م) كانت تحت قيادته. كما أن جميع المعارك التى وقعت في عهده كانت بقيادة ولي عهده سعود بن عبدالعزيز وكان عبدالعزيز قد استفاد بصحبة شيخ الاسلام ولذلك كانت محبة الدعوة والتبليغ مسيطرة على قلبه وكلما تم له الاستيلاء على بلد من البلدان كان أول همه تعيين الوعاظ والمصلحين. وكان مطبوعاً على الشفقة والرحمة على رعيته. ولسنا الآن في مجال التفصيل والاحاطة فقد ذكر ابن بشر محاسنه وعاداته بكمال. ونحن نكتفي هنا بذكر شهادة واحدة وهي من القاضي محمد بن علي الشوكاني (سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م ـ سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٢م) وكان الشوكاني معاصراً للأمير عبدالعزيز ولا يمكن أن يتهم بأنه كان موالياً لشيخ الاسلام[٥٣] قال الشوكاني:

«ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الاسلام ودخل فى طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الاسلام شيئاً ولا يقومون بشىء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم من عوج وبالجملة فكانوا فى جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لاوقاتها ويأتون بسائر الاركان الاسلامية على أبلغ صفاتها[٥٤].

وقد امتدح برك هارت أيضاً جهوده في الدعوة إلى الله وتعيينه للقضاة وعدل القضاة وغيرها فى كلمات رائعة[٥٥].

---

(٥٣) يراجع الباب الرابع «الدعوة وحقيقتها» والباب الخامس «افتراءات وأكاذيب».

(٥٤) البدر الطالع.

(٥٥) برك هارت: ٢٦.

سعود بن عبدالعزيز

١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م - ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م

بعد شهادة الأمير عبدالعزيز تولى الامارة ابنه سعود وكانت قد أخذت له البيعة فى حياة شيخ الاسلام بايعاز منه[٥٦]. وبعد ما تولى سعود زمام الحكم بدأ فى توسيع نطاق الدعوة والدولة على منوال أبيه وسلم قيادة المعارك النائية إلى ابنه عبدالله ففتح خيبر فى الحجاز من جهة ومن جهة أخرى وصلت فتوحاته إلى البحرين وعمان ورأس الخيمة. وهنا اهتم الباب العالي بشأنهم وصدرت الأوامر إلى علي باشا حاكم العراق وعبدالله باشا حاكم دمشق وشريف باشا حاكم جدة أن يقوموا للقضاء على هذا الخطر. فابتدأ العمل بتجهيز جيش عظيم فى العراق من العرب والاكراد ولكن هذه الاستعدادات لم تتم فى وقتها فانتهز سعود هذه الفرصة وهجم على البصرة وكان علي باشا متحصناً في «الحلة» فتركته الجيوش النجدية واتجهت نحو الزبير وهدمت هناك جميع القباب والمشاهد التي لا تتفق والعقيدة الاسلامية ثم رجعت إلى بلادها[٥٧]. وهكذا رجع سعود سالماً غانماً أما علي باشا فقد اشتغل في اخماد ثورة الاكراد. وهكذا خابت خطة القضاء على النجديين[٥٨]

دخول مكة ثانياً

لقد كان سعود مطمئناً من ناحية عمان والمدن الساحلية فقد كانت قد اعترفت

(٥٦) سنة ١٢٠٢هـ «١٧٨٨م» روضة الافكار ٢ : ١٥٤ عنوان المجد ١ : ٨٣.

(٥٧) ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ [مارس وابريل سنة ١٨٠٤م].

(٥٨) عنوان المجد ١ : ١٣٠. وفلبي : ٨٦، ٨٧.

بسيادته وأذعنت له ولما اطمأن الآن من ناحية العراق عاد يفكر في اخضاع الحجاز من جديد وصمم على ذلك[٥٩]. وتقدم عثمان المضايفى فاستولى على الطائف بدون أي معارضة وخضع له أهل المدينة أيضاً في أوائل سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) وعاهدوا بالسمع والطاعة وهدمت القباب والمشاهد من القبور العامة كما جرت عادتهم بذلك[٦٠]. وفى هذه المدة توجهت الجيوش النجدية الاخرى التى كانت قد أخضعت البلدان المجاورة إلى مكة.

وكان موسم الحج قد اقترب فتوقف الركب الشامى لأجل المحاصرة واضطربت الأحوال داخل مكة واضطر غالب إلى أن يطلب الأمان وعاهد بطاعة سعود[٦١] فسمح للقافلة الشامية بالحج وأرسل غالب هدايا إلى سعود اثباتاً بطاعته وصادق على معاهدة الصلح التي كانت قد ابرمت بين قائده عبدالوهاب أبي نقطة وعثمان المضايفى. «فتغيرت الأحوال وأمنت السبل ومشت السابلة إلى مكة من جميع النواحى ورخصت الاسعار في الحرمين وغيرهما[٦٢].»

وهناك محققون اوربيون أمثال هارت وبرائجس الذين يمكننا أن نصفهم بأنهم شهداء عيان تقريباً بهذه الوقعة. وهم قدموا لنا صورة جديدة ومتغيرة:

«فتحت المدينة في سنة ١٨٠٤م وكان هناك رجل يسمى (حسن قلعي) قد استولى

---

(٥٩) ذي القعدة سنة ١٢١٩هـ [فبراير سنة ١٨٠٥م]

(٦٠) لقد ذكر كل من استودارد [حاضر العالم الاسلامي] و Huges [قاموس الاسلام: ٦٦٠] وغيرهما أنهم هدموا القبة المبنية على قبر الرسول [ﷺ] أيضاً. ولكن هذا خطأ فاحش. وللتفصيل يراجع باب الافتراءات والاكاذيب.

(٦١) أواخر سنة ١٢٢٠هـ [يناير أو فبراير سنة ١٨٠٦م].

(٦٢) عنوان المجد ١: ١٣٢، ١٣٤.

كان القحط قد عم جميع نواحي الجزيرة العربية، وقد استمر من ذي الحجة سنة ١٢١٩هـ إلى ذى القعدة سنة ١٢٢٠هـ [خلاصة الكلام: ٢٨٥] وتأثرت به بلاد نجد واليمن أيضاً إلا أن الاحوال قد ساءت جداً فى مكة لأن السكان كان قد بلغ بهم الجهد لأجل الحروب والحصار وجاء الجدب فقربهم إلى الهلاك. وزعم فلبي أن حوادث من السلب والنهب قد وقعت بعد فتح مكة ولكنه ليس بصحيح فان أحمد زيني دحلان الذى يتحف الوهابيين بشتائم لا تعد ولا تحصى لم يذكر شيئاً من هذا القبيل فلو كان له أدنى درجة من الصحة لما سكت دحلان «يراجع خلاصة الكلام: ٢٩٢».

على المدينة من قبل فنهب جميع الخزائن الموجودة في الحجرة الشريفة ووزعها بين أصحابه قبل أن يسلم البلد إلى سعود وبعد مدة يسيرة من الفتح لما دخل سعود المدينة وفتح الحجرة فأخذ ما كان هناك من البقايا[٦٣].

الحجة الثالثة لسعود

لقد سبق أن ذكر أن الأمير سعود قد حج مرتين والآن بعد أن فتحت مكة قد وجد فرصة لزيارة بيت الله كما وجد مجالا لاتمام مساعيه في الدعوة فخرج بارادة الحج للمرة الثالثة في ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٢١هـ (يناير سنة ١٨٠٧م) من الدرعية ووزع من الصدقات والعطايا الشيء الكثير بعدما وصل مكة المكرمة، ثم توجه إلى المدينة المنورة في آخر ذي الحجة وبعدما نظم هناك الامور الادارية رجع. وذكر أحمد زيني دحلان أنه أخرج الذهب والجواهر من الحجرة الشريفة[٦٤] إلا أن ابن بشر سكت عن هذا ونرى المؤرخين الاوربيين أمثال بلنت وغيره[٦٥] يرددون هذا الخبر ولكننا لا نستطيع أن نجزم به لاجل سكوت ابن بشر فلو أن سعوداً تصرف بأموال الحجرة النبوية كما صنع في النجف أو وزعها بين عساكره لذكره ابن بشر لانهم لا يعتبر ون هذا أمراً مذموماً وقدسبق أن سمعنا كثيراً من مثل هذه الوقائع في النجف وكربلاء بلسان ابن بشر نفسه. نعم الجبرتي ذكر أن عبدالله بن سعود أخذ الاموال من الحجرة الشريفة ثم رجعها[٦٦] فيحتمل أن تكون القصة صحيحة وأعرض عنها ابن بشر[٦٧].

ومن الامور المهمة التى حدثت في هذا السفر أن الركب الشامى اضطر إلى القفول لاجل عدم ايفائه بالشروط وكان قد اشترط عليهم أن لا يدخلوا بالملاهى والاغاني[٦٨]

(٦٣) برك هارت ٢: ١٩٨، ١٩٩، برائجس: ٣٣، ٣٤.

(٦٤) خلاصة الكلام: ٢١٤.

(٦٥) رحلة إلى بلاد نجد ٢: ٢٥٦.

(٦٦) عجائب الاثار ٤: ٢٩٩.

(٦٧) وهذا الاحتمال بعيدا جداً ولو كان كذلك لما سكت عنه ابن بشر (المترجم).

(٦٨) خلاصة الكلام ٢٩٤.

وكذلك أجبر سعود الجنود التركية على أن تترك مكة وبايع غالب سعوداً[٦٩]. وكان في هذا الحج مع سعود جميع امرائه وعدد كبير من أهل نجد ونواحيها.

اصلاحات أخرى

لقد حج سعود للمرة الثالثة فى سنة ١٢٢١هـ ثم استمر يحج بعد ذلك كل سنة إلى سنة ١٢٢٧هـ. وكان شغله الشاغل فى هذه الاسفار والاجتماعات وتجمعات الحج هو الدعوة إلى الله واصلاح شئون المسلمين فمنع المحامل التي كانت ترد من مصر والشام كما منع الملاهي والاغاني التي كانت تصحب القوافل عادة[٧٠]. قال ابن بشر:

«وفشا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة فلا يشرب التنباك في أسواقها وأمر سعود أن يجعل في أسواقها من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت فكان إذا أذن دار الرجال في الاسواق: الصلاة، الصلاة[٧١]».

وفي سنة ١٢٢٥هـ تشرف ابن بشر بنفسه بزيارة بيت الله الحرام والحج وذكر لنا ما شاهده هناك فقال:

«وحججت في تلك السنة وشهدت سعوداً وهو راكب مطية محرماً بالحج ونحن مجتمعون في نمرة لصلاة الظهر وخطب فوق ظهرها خطبة بليغة ووعظ الناس فيها وعلمهم المناسك وذكر ما أنعم الله عليهم به من الاعتصام بكلمة لا إله إلا الله، وما أعطى الله فى ضمنها من الاجتماع بعد التفرق وأمان السبل وكثرة الاموال وانقياد عصاة الرجال وان أضعف ضعيف يأخذ حقه كاملا من أكبر كبير من مشايخ البوادي وأعظم عظيم من رؤساء البلدان.

ونادى وهو على ظهرها لا يحمل فى مكة سلاح ولا تبرج امرأة بزينة وتوعد من فعل ذلك من جميع رعيته... وجعل فى الاسواق رجالا وقت الصلاة يحضونهم عليها فلا

---

(٦٩) عنوان المجد ١: ١٣٨.

(٧٠) خلاصة الكلام: ٢٩٤.

(٧١) سنة ١٢٢٢هـ (سنة ١٨٠٩م) عنوان المجد ١: ١٤١.

تجد فيها وقت الصلاة متخلفاً إلا نادراً ولا تجد في الاسواق في جميع هذا الحج من يشرب التنباك ولا غيره من المحظورات إلا ما لا يرى ظاهراً[٧٢]».

وقال أيضاً في أخبار سنة ١٢٢٦هـ (١٨١٢م):

«ولا ترى الآن منكراً في مكة المكرمة (شرب التنباك وترك الصلاة والحلف بغير الله)... الخ. وذكر الجبرتي اصلاحات سعود بن عبدالعزيز بتفصيل أكثر فقال في صدد ذكره لمعاهدة الصلح بين الشريف غالب والأمير سعود في حوادث محرم سنة ١٢٢١هـ.

«وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الأراجيل والتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وابطال المكوس والمظالم وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة أو عشرة بحسب حاله. وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقدر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الاذن. وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتريات على البائع والمشترى ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفله منه إلا والاعوان يأمرونه باخلاء الدار وخروجه منها ويقولون ان سيد الجميع محتاج إليها فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر. فعاهده على ترك ذلك كله... واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من اخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الاحياء والاموات في الشدائد والمهمات. وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الاعقاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان وعمل الاعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق

(٧٢) عنوان المجد ١: ١٥١.

في توحيد الالوهية التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله فعاهد على منع ذلك كله وهدم القباب المبنية على القبور والأضرحة لأنها من الأمور المحدثة التى لم تكن في عهده، بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية واقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل من الكتاب والسنة وإذعانهم لذلك فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطريق بين مكة والمدينة وبين مكة وجدة والطائف وانحلت الاسعار وكثر وجود المطعومات وما يجلبه العربان من الشرق إلى الحرمين من الغلال والاغنام والاسماك والاعسال. . .[٧٣]».

ولقد ذكر برك هارت أيضاً شدته على مواظبة الصلوات والعقوبات التي كانت تنزل على المتخلفين وغيرهم.[٧٤].

فتوحات وحروب أخرى

لم تتوقف أعمال سعود العسكرية بعد فتح الحجاز، ففي سنة ١٢٢٣هـ (١٨٠٨م) هجم على النجف ولكنه لم ينجح[٧٥] كما أغار في طريق عودته على السماوة والزبير أيضاً.

وفى ربيع الآخر سنة ١٢٢٥هـ (يونيو سنة ١٨١٠م) قصد سعود الشام وبعد عدة معارك رجع منتصراً ومعه الاموال والغنائم[٧٦]. وقال ابن بشر.

«وحصل فى الشام رجفة ورعب عظيم بهذه الغزوة في دمشق وغيرها من بلدانه وجميع بواديه».

وقد وقعت معارك في البصرة ونواحيها عدة مرات ولكنها ما أثمرت ثمرة مستقرة.

---

(٧٣) عجائب الاثار للجبرتي ٤: ٥، ٦ «٦: ٢٧٨، ٢٧٩. طبعة لجنة البيان العربي».

(٧٤) برك هارت: ١٤٧.

(٧٥) عنوان المجد ١: ١٣٥.

(٧٦) عنوان المجد ١: ١٤٨، ١٤٩.

رأس الخيمة

وزيادة على هذه الحروب حصلت معركة مع الشركة الهندية الشرقية[٧٧] وكان سكان الخليج من قبيلة جوازم مصدر قلق دائم للحكومة الانجليزية في الهند إذ كانوا يشنون غارات متواصلة على السفن المارة من قرب الساحل ويلحقون بها خسائر فادحة ويغنمون الكثير وقد بذلت الحكومة الانجليزية محاولات عظيمة في بداية القرن التاسع عشر ولكن الآن منذ عدة سنين كان سعود هو المسيطر على هذه المناطق وكان هؤلاء المغيرون تحت حكومته. فشنت حكومة بومبائي فى سنة ١٨٠٩م (رمضان سنة ١٢٢٤هـ) غارة عنيفة على رأس الخيمة وألحقت ضربة قاضية باسطولهم وأحرقت المدينة فما طلعت الشمس في ١٢ نوفمبر سنة ١٠٨٩م إلا وكانت مدينة رأس الخيمة قد تحولت إلى أكوام من رماد واضطر أهلها إلى أن ينتقلوا من بلدهم.

ولكن هذه الهزيمة لم تؤثر شيئاً فى قوة أهل نجد فما زالت أعمالهم العسكرية مستمرة في المدن الداخلية في عمان. ولكن مع ذلك يقول زويمر:

«لقد كانت هذه الحملة من قبل البريطانيين أول ضربة شديدة لحقت أهل نجد قبل وصول المصريين. فقد أرسلت فرقة خاصة بعيدة عن مومبائي سنة ١٨٠٩م مخصصة للقضاء على مركزهم في رأس الخيمة وسكانها «القراصنة» (Piratic Inhabitants) وامطرت القنابل على المركز وأحرق حتى صار رماداً[٧٨]».

ولقد فصل برائجس تفصيلا كاملا في ذكر «اعتداءات الوهابيين» ثم في قصة الهجوم على رأس الخيمة وتأديبهم ونقل عن الكولونيل سميث قولته[٧٩] «كانت هذه أول ضربة على معنويات قوة الوهابي[٨٠].

---

(٧٧) لقد اسست هذه الشركة فى بداية الأمر لأغراض تجارية محضة ولكنها سرعان ما تحولت إلى فرقة مستعمرة انجليزية وتمكنت من الاستيلاء على بلاد الهند كلها في سنة ١٨٥٧م وحكمت بلاد الهند إلى سنة ١٩٤٧م. (المترجم).

(٧٨) زويمر Arabia, the cradle of Islam.

(٧٩) برائجس: ٣٥، ٤٤ وبركهارت: ٢٠٨.

(٨٠) لم أتمكن من معرفة تفاصيل هذه المعركة وأسبابها ولكن مما لا شك فيه أن الحكومة البريطانية المستعمرة كانت

غارة المصريين

لقد امتد نفوذ الحكومة النجدية في الشمال من حلب[٨١] إلى المحيط الهندى في الجنوب ومن الخليج في الشرق إلى البحر الاحمر في الغرب وبغض النظر عن هزيمة رأس الخيمة فلم تصب هذه الحكومة الفتية بأي صدمة حتى الآن.

وكان أخبار القوة النجدية تتوارد إلى الآستانة باستمرار وقد عجز حكام بغداد ودمشق وجدة عن مقاومتهم وأخيراً بعد ما ضاق الباب العالي ذرعاً عين محمد علي خديوى مصر لكسر شوكة أهل نجد[٨٢] ويقال إنه لم يعين حاكما على مصر في سنة ١٨٠٤م إلا بهذا الشرط ولمثل هذه المواقع قد قيل «اقتل الحية ولا تكسر عصاك» فكانت قوة محمد علي الخديوى المصري[٨٣] المتزايدة يوماً فيوماً خطراً على الباب العالي. فالمحاربة بين آل سعود والخديوي المصرى ما كانت تخلو من فائدة لاصحاب العروش في الاستانة.

ترى قوة أهل نجد خطراً عظيما على مصالحها فى آسيا فلابد أنهم كانوا يتحينون الفرص ويدبرون الحيل لشن مثل هذه الغارات. وكل ما ذكره المصنف رحمه الله هنا مأخوذ من مصادر أوربية فلا يمكن أن نثق بها كثيراً فى هذا الباب. وكل ما يذكر لنا ابن بشر فى صدد هذه المعركة كالتالي:

«وفيها أقبل مراكب الانجليز النصارى. مستنجدهم سعيد بن سلطان صاحب مسكه (مسقط) المعروفة فى عمان بعد نقض العهد وقصدوا أهل بلد رأس الخيمة المعروفة فى عمان ورئيسها يومئذ سلطان بن صقر بن راشد أمير القواسم وبندروا فيها وحاربوا أهلها فلم يحصلوا على طائل فرفعوا على البلد بلورا وجعلوه في عين الشمس وقابلوا به البلد فاشتعلت النار فيها وكان أكثر بيوتها صرايف من عسبان النخيل فدخلوا البلد واستباحوها ونهبوا ما فيها وأشعلوا فيها النيران ودمروها وهرب سلطان صقر وغالب أهل البلد حتى فرغ العدو منها وانتقل منها. فرجعوا الى بلادهم فعمروها وأحصنوها» (عنوان المجد: ١٤١ ـ طبعة وزارة المعارف السعودية).

ويظهر من هذا أن الانجليز إنما أتوا بدعوة من سلطان مسقط وكانوا يحاولون اعادة تجربتهم التى نجحوا بها فى الاستيلاء على الهند ولكنهم لما جربوا ضراوة الدفاع من أهل البلد عدلوا عن نياتهم واكتفوا برجوعهم من حيث أتوا. والله أعلم (المترجم).

(٨١) الواقع أن نفوذ الحكومة النجدية لم يصل إلى حلب وإنما وصل إلى جنوب الشام «المترجم».

(٨٢) سنة ١٢٢٦هـ «١٨١١م».

(٨٣) كان «محمد علي باشا» هو الجد الاعلى للملوك الحاكمين فى مصر فى الوقت الحاضر «أي وقت تأليف الكتاب: المترجم» وكان الباني الاصل وكان خلفه ابراهيم يقول: «ان اللغة العربية والحضارة العربية قد جعلتنا عرباً» ولد محمد علي سنة ١١٨٢هـ «١٧٦٨م» ومات سنة ١٢٦٥هـ «١٨٤٩م».

ابتـدأت غارات المصـريـين من أواخر سنة ١٢٢٦هـ «١٨١١م» فنزل طوسون بن محمـد علي «المتـوفي سنـة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م» على السـاحـل الغربي بجيش قوامه عشـرة الآف جنـدى واستـولى على ينبـع بدون مقاومة تذكر[٨٤]. ثم تقدم نحو المدينة ولكن في الطـريق عنـد مضيق الجـديـدة تصـدى له إبنا سعود عبدالله وفيصل فقاتلاه بضـراوة نادرة حتى هزمـاه. وقتـل من المصريين الف ومائتان[٨٥]. واضطر طوسون أن يعود على أعقابه إلى ينبع[٨٦].

طوسون ومعاركه

بقي طوسـون فى ينبـع مدة ثم تقـدم نحـو المـدينة وفى هذه المرة نجح المصريون فى الاستيـلاء على المـدينـة بعد حصار دام شهرين[٨٧] ثم توجه طوسون إلى جدة بسرعة واضطـر عبـدالله بن سعـود قائـد الجيـوش النجدية في الحجاز إلى أن ينتقل من مكة. وهكـذا دخـل المصـريـون البلد الحرام بدون معارضة[٨٨] وبعد أيام قليلة استولوا على الطائف أيضاً وكما يروي دحلان أقيمت حفلات فرح وسرور في كافة الاقطار المصرية وقد استمرت خمسة أيام استبشاراً بهذه الفتوح[٨٩] ولكن بعد ذلك وقعت معركة عنيفة على مقربة من «تربة» وانهزم فيها المصريون[٩٠].

وتشجـع قائـد سعـود عثـمان المضايفى بعد وقعة تربة فتقدم نحو الطائف مرة ثانية ولكنه أصيب بأضرار بالغة فى هذه المرة فقد قتل كثير من رجاله وفى نهاية المطاف أسر

---

(٨٤) سنة ١٢٢٦هـ «١٨١١م».

(٨٥) بركهارت: ٢٣٢.

(٨٦) أواخـر ذى القعـدة سنـة ١٢٢٦هـ «١٨١١م» وذكـر ماردتمـان ان هزيمـة المصـريين كانت في ٧ ذى القعدة سنة ١٢٢٦هـ «٢٣ نوفمـبر سنـة ١٨١١م» ولكن بركهـارت «ص: ٢٢٩» وبـرائجس «ص: ٥١» يذكـر أن تاريخ وصوله يناير سنة ١٨١٢م.

(٨٧) ذى القعدة سنة ١٢٢٧هـ «نوفمبر سنة ١٨١٢م» عنوان المجد ١: ١٥٨. فلبي: ٩٤.

(٨٨) وذلك فى محرم سنة ١٢٢٨هـ «يناير سنة ١٨١٣م» عنوان المجد ١: ١٦٠

(٨٩) خلاصة الكلام: ٢٩٦.

(٩٠) شعبان سنة ١٢٢٨هـ «اغسطس سنة ١٨١٣م» عنوان المجد ١: ١٦١.

هو بنفسه[٩١]. وأرسله غالب إلى محمد علي في مصر لكن محمد علي كان قد خرج عامداً إلى الحجاز قبل وصوله إلى مصر. وفي غيابه طيف بعثمان المضايفي على بغله في جميع أنحاء القاهرة ثم أرسل إلى الآستانة حيث كان الموت في انتظاره[٩٢]. وأحمد زيني دحلان مع أنه لم يترك خفية ولا جلية[٩٣] فى ذم عثمان المضايفى لم يتمالك من إظهار أسفه على هذا القتل المؤلم فقال:

«ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد علي باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحاً يجيبهم بجنس كلامهم بأحسن خطاب وأوضح جواب وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفاً على مثل هذا اذا ذهب إلى دار السلطنة يقتلونه[٩٤].

واضطرب محمد علي عن سير المعارك وتقدمها فتوجه بنفسه إلى الحجاز ووصل جدة فى أواخر شوال[٩٥] وبعد وصوله على الفور خلع الشريف غالباً عن أمارته وألقي القبض عليه ثم أرسل إلى مصر مسجوناً ومن هناك إلى سلانيك ثم انتقل المسكين من هناك إلى دار الآخرة بعد سنتين[٩٦].

---

(٩١) ١٠ رمضان المبارك سنة ١٢٢٨هـ «٦ اغسطس ١٨١٣م» عنوان المجد ١ : ١٦٢ ولقد أخر فلبي «٩٦» حادثة اعتقال عثمان المضايفى وقتله. وذكرها كل من أحمد دحلان «٢٩٦» وابن بشر «١٦٢» قبل ورود محمد علي إلى الحجاز، وذكر بركهارت «٢٤٧» وبرائجس «٦١» ان جائزة قدرها خمسة آلاف دولار كانت قد عينت لمن يعتقل عثمان المضايفى وذكر أن تاريخ اعتقاله سبتمبر سنة ١٨١٣م وبعد معركة بسل التى سنذكرها بعد قليل.

(٩٢) أواخر سنة ١٢٢٨هـ «ديسمبر سنة ١٨١٣م».

(٩٣) يراجع خلاصة الكلام: ٢٧٢، ٢٧١.

(٩٤) خلاصة الكلام: ٢٩٦ «ملخصاً».

(٩٥) ١٤ شوال سنة ١٢٢٨هـ «١٠ اكتوبر سنة ١٨١٣م» خلاصة الكلام: ٢٩٦ ولقد عين فلبي (٦٥) تاريخ وروده جدة ٢٨ اغسطس سنة ١٨١٣م واكتفى ماردتمان بقوله (أواخر اغسطس) وابن بشر (١ : ١٦٣) ذكر شهر ذى القعدة فقط وذكر بركهارت «٢٨١» وبرائجس «٦٣» بأنه كان فى سبتمبر سنة ١٨١٣م. ولقد اعتمدنا هنا على خلاصة الكلام. أما التاريخ الذي ذكره فلبي فلا يتفق مع ترتيب الحوادث.

(٩٦) أواخر رمضان سنة ١٢٣١هـ «يوليو سنة ١٨١٦م». عنوان المجد ١ : ١٨٥ الرحلة الحجازية: ٨٩. وبركهارت: ٢٦٢.

وعين ابن أخيه يحيى بن سرور أميراً على مكة ولكن أمارته كانت صورية فقط لأن الحكم الحقيقي كان في يد حاكم الحجاز الجديد «أحمد باشا» وهكذا أخلى الحجاز من سيطرة «الوهابيين المتهمين» وأصبح ولاية لحكومة مصر[٩٧]. وكل ما فعله غالب سعياً وراء هذه الامارة لم يغنه شيئاً: -

«فقد كان الشريف غالب يمالىء الوهابيين «اتقاء شرهم» ويتظاهر بما يوافق مذهبهم. فكان أحياناً يأمر بهدم ما بقي من قباب الصالحين بمكة وجدة وأخرى ينبه باقتصار المؤذنين على الاذان دون السلام وغير ذلك من الامور التي توافق مذهب الوهابية[٩٨]».

كل هذا كان خوفاً من أن يخلعه سعود عن الامارة[٩٩]. ولكن سعوداً كان طاهر النية مخلصاً. فترك غالباً وامارته أما محمد علي فكان رجلا مادياً بحتاً همه الدنيا فقط فكان أول عمل عمله بعد تثبيت أقدامه هو القضاء على هذا المسكين. وإن كنت تريد أن تعرف تفاصيل تلك المكيدة التي دبرها محمد علي لالقاء القبض على غالب فارجع إلى خلاصة الكلام[١٠٠]. وذكر برائجس أيضاً تفاصيل قصة أسر غالب[١٠١] وهي تشبه ما ورد في خلاصة الكلام وقد بين ايضاً تفصيل منازعات محمد علي[١٠٢]، فيقول في موضع في ذكرهما:

«لم يكن من المتوقع من رجلين مكارين مثل محمد علي وغالب (So accomplished in deceit) أن يثق كل منهما بالآخر[١٠٣]».

---

(٩٧) ومازال الحجاز بعد ذلك تابعاً لمصر مدة طويلة وفى هذه المدة توترت العلاقات بين محمد علي والباب العالي ووقعت معارك دامية واستولى ابن محمد علي على الشام. ولكن لما اعتلى السلطان عبدالمجيد على العرش سنة ١٢٥٥هـ عاد الحجاز تحت حماية مباشرة من الدولة العلية «خلاصة الكلام ٣٠٨».

(٩٨) الرحلة الحجازية: ٨٩.

(٩٩) خلاصة الكلام: ٢٩٤.

(١٠٠) وخلاصة هذه المكيدة أن محمد علي دعاه إلى مأدبة فى دار الامارة وأخفى رجاله هناك ولما وجدوه أعزل من السلاح وبعيداً عن أعوانه وأنصاره انقضوا عليه وأسروه. «ولم يجد الحجازيون الجبناء سوى أن يمسكوا رؤوسهم»

(١٠١) ص: ٦٨، ٦٩.

(١٠٢) ص: ٦١، ٦٩.

(١٠٣) ص: ٤٧.

وبركهارت أيضاً يشكو أكثر من مرة سوء نية محمد علي وخداعه. إلا أنه يمدح غالباً[١٠٤] ولقد كان بركهارت موجوداً في مصر حينما وصل غالب أسيراً. وذكر انطباعاته بعد ما لقيه[١٠٥].

ولكن مع هذا لم تكن أوضاع محمد علي والمصريين مستقرة وإن كانت بلاد الحجاز وعسير وشواطىء اليمن قد وقعت تحت سيطرتهم ولكن النجديين كانوا يمارسون حكمهم فى المدن الداخلية. ولهذا أرسل «مصطفى بك» لمحاربتهم واشتعلت نيران الحرب من جديدفي «تربة» ولكن المصريين لم يستفيدوا منها شيئاً سوى هزيمة نكراء[١٠٦]. ومن الغريب أن النجديين قد خاضوا هذه المعركة تحت قيادة امرأة[١٠٧] شجاعة تسمى «غاليه» ولقد أظهر بركهارت براعة قلمه فى وصف جرأة «غاليه» وبسالتها.

وفي محرم سنة ١٢٢٩هـ (يناير سنة ١٨١٤) وصلت امدادات مصرية جديدة عن طريق البحر والتقى الفريقان فى مقربة من (القنفذة) وانهزم المصريون مرة أخرى[١٠٨].

وفاة سعود رحمه الله

وبينما كانت المعارك تجتاز هذه المرحلة الحاسمة وكان النجديون يعدون العدة لخوض معركة شاملة جديدة وإذا بالبطل يغادر الموكب. توفي الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في ليلة الاثنين ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩هـ (أول مايو سنة ١٨١٤م[١٠٩]) وهكذا خلا الجو لمحمد علي ومعاركه. وفقدت الدولة النجدية آمال الرقي والازدهار على الاقل في الوقت الحاضر.

---

(١٠٤) بركهارت: ٢٤٢.

(١٠٥) أيضاً: ٢٥٩، ٢٦٢.

(١٠٦) أواخر ذى الحجة ١٢٢٨ هـ «ديسمبر سنة ١٨١٣م» عنوان المجد ١: ١٦٣، ١٦٤.

(١٠٧) بركهارت: ٣٦٨، ٣٦٩، فلبي: ٩٦، دحلان: ٣٠٠.

(١٠٨) عنوان المجد ١: ١٩٤.

(١٠٩) عنوان المجد ١: ١٧٦ ويذكر ماردتمان أنه توفي فى ٨ جمادى الاولى «٢٧ ابريل سنة ١٨١١م» ولكننا نشك فى صحته.

كيف كان سعود يقضي يومه

وإذا لفتنا الانظار من هذه الحروب إلى جانب آخر مشرق من حياة سعود فتراه أميراً وحاكما قلما يوجد له مثال. وقد ولد في سنة ١١٦٠هـ أو ١١٦٣هـ[١١٠] ووجد أستاذاً ومربياً مثل شيخ الاسلام فتخرج على يده نموذجاً رائعاً في العلم والعمل، وقد لازم سعود دروس شيخ الاسلام سنين متوالية، وأصبح ذا براعة كاملة في الحديث والفقه، ونجد في خطبه ومكتوباته حلاوة العلم ولذة التعبير.

وكان من عادته في أغلب أيام الحروب أنه كان يقف في جنوده بعد صلاة المغرب فيعظهم ويأمرهم بالصبر والطاعة ويعرض عليهم نماذج من سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه البررة رضى الله عنهم. وهكذا كان يشجعهم ويقودهم إلى رباطة الجأش واظهار البطولات.

وفي غمار المعارك حينما تشتدالحرب ويصل العنف إلى ذروته ما كانت أيدي جنوده تسطو على الاطفال والنساء والشيوخ. نعم إنهم ما كانوا يتساهلون في الغنائم وبمجرد انتهاء الحرب كانت الغنائم تخمس فتوزع أربعة أخماسها على المحاربين وكانوا يفرقون بين سهمان الركاب والمشاة فكان الماشي يأخذ نصف نصيب الراكب. والخلاصة أنهم كانوا يحاولون تطبيق قواعد الشريعة الاسلامية كاملة حتى في حروبهم.

هكذا كانت حالته في المعارك والحروب فأما حالته في النوادي والمجالس فكانت على غير هذه الشاكلة. فكان أهل الدرعية يجتمعون كل يوم بعدصلاة الفجر خارج قصر الأمير ويجلس معهم في الصدارة سعود وآل السعود والى جانبهم آل الشيخ ويقوم أحد العلماء من آل الشيخ بالوعظ. وكان الشيخ عبدالله بن شيخ الاسلام هو الذي يتولى التدريس في الغالب. وكان يدرس في الاكثر من تفسير ابن جرير أو ابن كثير وبعدما ينفض المجلس كان الأمير سعود يجلس في القصر ويقضي حوائج الناس وينظر في شكاويهم. ثم تأتي الظهيرة فيقوم. وبعد صلاة الظهر كانت تعقد مجالس

(١١٠) البدر الطالع ١: ٢٦٣.

الـدرس فى داخـل القصـر ولكن آل الشيـخ ما كانوا يحضرون هذه المجالس فكان كل واحد منهم يشتغل مع تلامذته في مجالسهم الخاصة وكان الأمير سعود هو الذي يتولى التـدريس فى هذا الـوقت وينشـر درر العلم. وكـانت القـراءة من تفسـير ابن كثير أو ريـاض الصـالحين وكـان سعـود يشرحها ويوضحها. وبعد ما يقوم من هذا المجلس يشتغل فى قضاء حاجات الناس ورفع شكاويهم لمدة ساعتين حتى تحين صلاة العصر.

وبعد صلاة العصر كانت تعقد ندوات عامة داخل القصر ولكن يحضر فيها الاعيان والاكـابـر وعـامـة النـاس ويجلس معهم الأمـير سعـود أيضاً، وكان الشيخ سليمان بن عبـدالله بن شيـخ الاسـلام (قتل سنة ١٢٣٢هـ) يلقي دروساً من صحيح البخاري.

وكـان ابن بشـر صاحب كتـاب عنـوان المجـد يحضـر هذه الدروس وهو يمدح الشيخ سليمان بن عبدالله أشد مدح ويعجب من دقة نظره وسعة أفقه في العلم.

هذه هى سيرة إجمالية للأمير سعود بن عبدالعزيز وللتفصيل يراجع عنوان المجـد[١١١] وبـرائجس أيضـاً معجب به أشـد الاعجاب ويخص بالذكر مواهبه الحربية وتدبيره السياسي[١١٢]. كما أن بركهات يذكر من أوصافه الخاصة:

«انـه كان يهتم اهتـمامـاً بالغـاً بالاخفـاء والسـريـة فى الحـروب فقد استغرق سفره إلى حوران من بلاد الشام خمسة وثلاثين يوماً ولكن ما وصل اليهم خبر قدومه إلا قبل يومين فقط[١١٣].

وقال بركهارت في صدد ذكر ما استتب من الامن والاستقرار فى عصر عبدالعزيز بن سعود وبالأخص فى عصر سعود بن عبدالعزيز.

---

(١١١) عنوان المجد ١: ١٦٥ ـ ١٧٦.

(١١٢) ص: ٨٠.

(١١٣) ص: ١٧٠.

«ولعل هذا الأمن والامان قد استتب في البلاد لأول مرة بعد النبي العربي . ووجد البدو لأول مرة فرصة النوم آمنين مطمئنين على أموالهم وأمتعتهم ومواشيهم[١١٤] وكان من مظاهر شوكته :

«أن عبداً حبشياً وحده يقبض ويأتى بأكبر رئيس من أكبر القبائل ويصل به إلى الدرعية[١١٥] .

---

(١١٤) ص: ١٣٠ .

(١١٥) ص: ١٣٩

هذه هى سيرة اجمالية للامير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود . وهكذا كان سلفه وهم تربوا على أيدى شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله . ونلاحظ أن هدفهم الوحيد فى الحياة كان تطبيق الدين الاسلامي فقط في العقيدة والاعمال والحكومة وفى جميع مجالات الحياة . فكانوا يتبعون خطوات النبي ﷺ وأصحابه فى جميع شئونهم ، فى حلهم وترحالهم وفي سلمهم وحربهم وفي بيوتهم ومحاكمهم وفى كل مكان .

وان هذا البرنامج لجدير بأن يقرأه جميع زعماء العالم الاسلامي ويتعظوا به . فيا للعجب على أولئك الذين مازالوا فى شك من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع أنها قد وضحت أمام أعينهم كوضوح النهار. (المترجم).

عبد الله بن سعود بن عبد العزيز
١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م - ١٢٣٣هـ - ١٨١٨م

وخلف سعوداً ابنه الأكبر عبد الله ولم يكن أقل من أبيه فى الشجاعة والبسالة ولكنه ما كان يبلغ مبلغه فى الحزم والسياسة. ولما وجد نفسه محاطاً بالمخاوف أراد أن يتصالح مع العدو. ولكن العدو الذي كان قد آلى على نفسه أن يدمر بلاد نجد كلها أنى له أن يتصالح. وحينما صالح لم يستطع ان يثبت على عهده.

وتعالوا هنا نتوجه مرة أخرى إلى ساحة الحرب. فقد كان النجديون قد استردوا القنفذة على ساحل البحر الاحمر من المصريين. ولكن محمد علي أرسل جيشا كبيراً بقيادة «عابدين بك» إلى زهران وفي طريقهم استولوا على القنفذة مرة أخرى ولما علم النجديون أعادوها إلى ملكهم من جديد(*).

ومني المصريون فى معركة زهران أيضاً بالهزيمة وكان فيصل بن سعود صامداً في وجه العدو في مقربة من الطائف. وبعد الانتصار فى معركة زهران تشجع فعزم على أن يقوم بهجوم على الطائف. وفي الجانب الآخر كانت حالة طوسون بن محمد على مضطربة جداً. ولكن محمد علي وصل إليه على الفور بإمدادات جديدة واضطر فيصل إلى أن يتقهقر. ووقعت معركة عنيفة في «بسل» قرب الطائف وانتصر فيها المصريون**. قال بركهارت:

«قتل من الوهابيين فى هذه المعركة أكثر من خمسة آلاف رجل وكانت قيمة كل رأس

(*) جمادى الأولى سنة ١٢٢٩هـ (مايو سنة ١٨١٤م)

(**) شوال سنة ١٢٢٩هـ (سبتمبر وأكتوبر سنة ١٨١٤م)

ستة دولارات ووقعت أكوام من الجثث أمام محمد علي وضعفت قوة الوهابيين وكان الخطأ الذى ارتكبوه هو أنهم خرجوا من الجبال إلى ميادين مفتوحة، على حين كان سعود قد أوصاهم أن لا يقاوموا المصريين والأتراك فى ميادين منفتحة[١١٦]».

وارتكب محمد علي بعد معركة بسل مظالم مخزية جداً. وبركهارت الذي كان قد شهد المعركة بعينه يذمها أشد الذم ومن أهونها أن جثث القتلى الوهابيين كانت قد تركت للكلاب[١١٧].

وتقدم محمد علي واستولى على تربة أيضاً[١١٨]. ثم وصل إلى عسير وأخضع القبائل المجاورة ثم رجع إلى مكة ماراً بالقنفذة. واضطر إلى أن يسافر إلى مصر لحاجة طارئة[١١٩]. ولم يكد يبلغ محمد علي فى عودته إلى تهامة بعد فراغه من حرب عسير حتى بدأ ابنه يعد العدة في المدينة للهجوم على نجد وتقدم فاستولى على بعض المدن المشهورة في القصيم كالرس وغيرها، إلا أن الفرق النجدية قد نجحت في قطع مواصلاته من المدينة فلم يبلغ إليه شيء من أخبار أبيه الذي كان قد سافر إلى مصر في ذلك الوقت ووصل إلى الجيزة في مصر في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ هـ (٢٣ يونيو ١٨١٥م[١٢٠]. وتقدم عبد الله بن سعود فحاصر المصريين حصاراً كاملا وبقوا شهرين في هذا المأزق فاضطروا إلى أن يتفاوضوا للصلح. وإليكم قصة هذا الصلح بلسان ابن بشر وغيره من المؤرخين.

---

(١١٦) بركهارت: ٣١٧. ٣١٨.

(١١٧) بركهارت: ٣٢٣ وبرائجس: ٩٢.

(١١٨) ٣ صفر سنة ١٢٣٠هـ (١٥ يناير سنة ١٨١٥م) وهذه رواية ماردتمان أما ابن بشر فلم يحدد التاريخ. ويذكر الجبرتي (٤: ٢١٨) ان أخبار فتح تربة وصلت إلى مصر فى ٩ ربيع الأول ١٢٣٠هـ. وذكر بركهارت أن محمد علي قد خرج من مكة فى ٢٦ محرم ١٢٣٠هـ (٧ يناير سنة ١٨١٥م).

(١١٩) عنوان المجد ١ : ١٨١.

(١٢٠) الجبرتي ٤: ٢٢٠ ويذكر بركهارت : ٣٤٩ أن محمد علي وصل إلى مصر فى ٢٥ يونيو سنة ١٨١٥م.

صلح وخيانة

قال ابن بشر:

«فوقع الصلح بينهم وانعقد بين طوسون وعبد الله على وضع الحرب بين الفئتين وان الترك يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها وأن السابلة تمشى آمنة بين الفريقين من بلد الترك والشام ومصر وجميع ممالكهم إلى نجد والشرق وجميع ممالك عبد الله. وكل منهما يحج آمناً. وكتبوا بذلك سجلا ورحل الترك من الرس أول شعبان متوجهين إلى المدينة. وبعث عبد الله معهم بكتاب الصلح عبد الله بن محمد بن بنيان صاحب الدرعية والقاضى عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم ليعرضوه على محمد على صاحب مصر. فوصلوا مصر ورجعوا منه وانتظم الصلح[١٢١]».

ويضيف إليه بلنت:

«ويقال إنه بموجب هذه الوثيقة كان عبد الله قد اعترف بتبعية السلطان في قسطنطينية وكان وعد بالحضور إلى الآستانة فى موعد قريب[١٢٢]. وفى مقابل ذلك كان طوسون قد وعد بالانتقال من البلاد النجدية وترك الحرية التامة للحجاج النجديين[١٢٣].

والحقيقة ان عبد الله كان في مركز القوة فى هذا الوقت وكانت الإمدادات تصل إليه من جميع المدن الجنوبية فلو نظر إلى أهمية الموقف وأراد لانتهز فرصة ضعف المصريين واستأصل شأفتهم من الجزيرة ولكنه ضيع هذه الفرصة الثمينة بمهادنتهم. ورجع

---

(١٢١) عنوان المجد ١ : ١٨٣

(١٢٢) لم يذكر المؤرخون الثقات أمثال بركهارت وابن بشر والجبرتي وعد الحضور إلى دار الخلافة ويذكر ذلك بلنت وفلبي بكل قوة.

(١٢٣) فلبي : ٩٧ وبلنت ٢ : ٢٥٨.

طوسون سالماً آمناً إلى المدينة [١٢٤]. ويظهر من الروايات المذكورة التى ذكرها ابن بشر وفلبي بأن الصلح كان قد تم بين طوسون وعبد الله. ويؤكد ذلك قول ابن بشر أن سفراء عبد الله رجعوا من مصر ناجحين[١٢٥]. ويزيد فلبي أن محمد علي ما أعجبه هذا الصلح وطلب من عبد الله أن يحضر فوراً إلى الآستانة وإلا فستدمر الدرعية عن بكرة أبيها. ولكن ما كان لعبد الله أن يلقي بنفسه على أقدام أرباب الحكومة فتوجه إلى تنظيم القبائل التابعة له واستحكام عاصمته[١٢٦].

سفراء عبد الله في مصر

ولكن الذي يتبين لنا من أقوال الجبرتي وغيره من المؤرخين سوى ابن بشر وفلبي ان الصلح كان موقوفاً على موافقة محمد علي ولأجل هذا أرسل إليه عبد الله سفيرين بعدما تم الاتفاق بينه وبين طوسون. وقد توجه هذان السفيران إلى مصر من طريق المدينة فى أول شعبان سنة ١٢٣٠هـ (٩ يوليو سنة ١٨١٥م) ووصلا إلى مصر في بداية شوال واجتمعا بالباشا[١٢٧].

«فكان الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم تظهر عليه علامات الرضى بذلك ولم يحسن نزل الواصلين. ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا[١٢٨]».

وكما يروي الجبرتي فقد تكلم السفيران النجديان بلين وخضوع وذكرا أن سعود ابن عبد العزيز كان شديداً أما عبد الله فهو لين الطبع.

---

(١٢٤) بركهارت : ٣٤٧ وذلك في أواخر يونيو ١٨١٥م

(١٢٥) عنوان المجد ١ : ١٨٣.

(١٢٦) فلبي ٩٧.

(١٢٧) الجبرتي ٤ : ٢٢٩.

(١٢٨) الجبرتي ٤ : ٢٢٩.

ويصف الجبرتي في كلمات رائعة محبة هذين السفيرين (وهما عبد الله بن محمد بن بنيان والقاضي عبدالعزيز بن محمد آل ابراهيم) للعلم وأخلاقهما الفاضلة وبركهارت أيضاً يثني على علمهما وفضلهما ويذكر أن علماء مصر استأنسوا بهما واطمأنوا بعد أن سمعوا كلامهما ومناقشتهما[١٢٩].

ولمعرفة ما كان يتحلى به النجديون من خلق وعلم نحب أن نورد قولا لمن عاصرهما وشاهدهما بعينه وهو الجبرتي فيقول:

«ودخلا الجامع الأزهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية. واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوى والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك».

وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنساً وطلاقة لسان واطلاعاً وتضلعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم أحدهما عبد الله والآخر عبد العزيز وهو الأكبر حساً ومعنى[١٣٠]».

ولقد عرضنا كيف كانت أحوال هذين السفيرين وكيف كانت معاملة محمد على معهما وكل ذلك بلسان مؤرخ مصرى شاهدهما وقابلهما. ولا يتسع لنا المجال لتفصيل أكثر من هذا ولكن الخلاصة أن محمد على قد رفض هذا الصلح لأسباب مختلفة[١٣١].

---

(١٢٩) بركهارت: ١١٣.

(١٣٠) الجبرتي ٤ : ٢٢٩.

(١٣١) خلاصة الكلام: ٣٨.

وقد اختلف المؤرخون فى تعيين هذه الأسباب[١٣٢] . وكان طوسون مقيما في الحجاز فاستدعي إلى مصر في ذى القعدة[١٣٣] ووصل هناك في أواخر ذى الحجة سنة ١٢٣٠هـ (نوفمبر سنة ١٨١٥م) وبعد ذلك بسنة فقط توجه إلى دار الآخرة[١٣٤] وكان قد عزل من القيادة قبل وفاته بسنة .

وأما ما يقوله ماردتمان بأن ابراهيم باشا قد فوضت إليه مهمة اخضاع نجد بعد وفاة طوسون فليس بصحيح لأن قرار إرساله إلى نجد كان قد اتخذ في يناير سنة ١٨١٦م وقد سافر من القاهرة في أغسطس سنة ١٨١٦م أي قبل وفاة طوسون بمدة[١٣٥] .

وذكر ابن بشر ان عبد الله قد أرسل سفيرين آخرين وهما (حسن بن مزروع وعبد الله بن عون) في السنة التالية أيضاً . وأرسل معهم الهدايا والتحف[١٣٦] وهنا اتضح لهؤلاء السذج أنهم قد خدعوا، مع أن محمد علي ما كان وافق على الصلح في يوم من الأيام إلا أنه ما كان يصرح بذلك للسفراء ومن هنا وهم ابن بشر وأهل نجد بأن الصلح قد انتظم[١٣٧] . ويعلل ذلك ابن بشر بأن محمد علي باشا قد رفض الصلح بسبب وشاية بعض أهل البادية[١٣٨] ومن المناسب هنا أن نسمع آراء بعض المعاصرين الأوربيين أيضاً إذ يقول :

«ويبقى لدينا الآن سؤال واحد فقط وهو هل كان تمام المعاهدة موقوفاً على موافقة

---

(١٣٢) يراجع ابن بشر ١ : ١٨٥ وماردتمان . وفلبي : ٩٧، وحاضر العالم الإسلامي ٤ : ١٦٦ .

(١٣٣) بلنت ٢ : ٢٥٨ .

(١٣٤) ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦م (الجبرتي ٤ : ٢٦٤).

(١٣٥) بركهارت : ١٠٤ .

(١٣٦) عنوان المجد ١ : ١٨٥ وذكر تاريخ وفاته آخر شوال سنة ١٢٣١هـ ولكن من الواضح بأن رواية الجبرتي هي التي ترجح فى حق مصر والمصريين .

(١٣٧) عنوان المجد ١ : ١٨٣ .

(١٣٨) عنوان المجد ١ : ١٨٥ .

محمد علي أم أن طوسون الذي ما كان يقل عن أبيه في المرتبة (Rank) أبرمها قطعياً As a thing done) ومهما كان الأمر فقد أضر (عبد الله بن سعود) بنفسه بهذه المعاهدة. وقد عرضها محمد علي لدى الباب العالي بأنها هدنة طارئة أو مجرد وقف لإطلاق النار (Armisitic)[١٣٩]».

ولقد شاهد بركهارت تلك الرسائل التى كتبها عبد الله بن سعود إلى محمد علي وهو يثنى على عبد الله حسن نيته وإخلاصه وطهارة قلبه.[١٤٠] ويقول هو وبرائجس أيضاً إن محمد علي قد طالب فيما بعد بولاية الاحساء الخصبة ووقف إبرام الصلح على ذلك.

إبراهيم باشا

ومهما كانت الحقيقة فمحمد علي لم يطمئن إلى تلك المعاهدة التى تمت بين عبد الله ابن سعود وطوسون. ولقد اختار ابنه الآخر ابراهيم باشا[١٤١] لمهمة نجد وكانت الاستعدادات قد بدأت بعد رجوع طوسون فوراً ولكنه تأجل خروجه إلى حين. فقد وصل ابراهيم باشا مع جيش عظيم إلى ينبع في ٦ ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٢٨ سبتمبر سنة ١٨١٦م) وتوجه من هناك رأساً إلى المدينة. ووقف على ماء الحناكية فخضعت له القبائل البدوية المجاورة واحتشدت تحت رايته أفواج من قبائل مطير، وعتيبة، وعنزه[١٤٢]. واستمر مكث ابراهيم باشا فى الحناكية إلى أشهر فظهر له أثر واضح على القبائل البدوية المتجاورة وبدأوا يتسللون إليه ولما أحس بذلك عبد الله بن سعود تقدم والتقى الفريقان على الماوية. ولكن جيوش عبد الله لم تستطع أن تثبت

---

(١٣٩) بركهارت: ٢٥٢ وبرائجس: ١٠٣.

(١٤٠) بركهارت: ٢٥٢.

(١٤١) ويقال ان ابراهيم باشا لم يكن من ولد محمد علي ولكنه تزوج ام ابراهيم وتبناه (عنوان المجد ١: ١٨٥. فلبي: ٩٨. هوغارث: ١٠١.)

(١٤٢) أواخر سنة ١٢٣١هـ (نوفمبر سنة ١٨١٦م).

أمام المدافع المصرية[١٤٣] فانتقل إلى ناحية القصيم وتعقبه ابراهيم باشا ووصل إلى الرس فحاصر المدينة[١٤٤] واستمر الحصار ثلاثة أشهر ثم طلب أهلها الأمان[١٤٥]. وفي هذا الحصار الطويل الأمد والمناوشات المستمرة قتل من المصريين ستمائة أو سبعمائة رجل على حين قتل من أهل البلد سبعون فقط. وباستسلامهم انفتح الطريق أمام المصريين ولم تبق هناك قوة تمنعهم من التقدم.

وبعد هجوم خفيف استولى على عنيزة والخبراء (أواخر سنة ١٢٣٢هـ) ولم يجد صعوبة في الاستيلاء على بريدة أيضاً[١٤٦]. ولكن في شقراء أظهر النجديون بطولة رائعة ولكنهم لم يفلحوا أمام تخطيط المهندس الفرنسى[١٤٧] (Vaissiere) في الجيش المصرى فاستسلم أهل شقراء أيضاً[١٤٨].

ووقعت بعد ذلك معركة حاسمة في مقربة من «ضرمى» وكانت ضرمى أحصن مدينة فى المدن النجدية بعد العاصمة الدرعية. وكان قد حارب قبل ذلك أهل الرس وشقراء بشجاعة ولكنهم فى الأخير استسلموا. أما أهل «ضرمى» فلم يستسلموا ولم يتمكن ابراهيم من دخول البلد إلا على دماء وأشلاء وجثث وقتل الناس فى حوانيتهم

---

(١٤٣) أواسط جمادي الآخرة سنة ١٢٣٢هـ (٢ مايو سنة ١٨١٧م).

(١٤٤) أواخر شعبان سنة ١٢٣٢هـ (أوائل يوليو سنة ١٨١٧م).

(١٤٥) ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٣٢هـ (٢٣ أكتوبر ١٨١٧م).

(١٤٦) محرم سنة ١٢٢٣هـ (٢٣ أكتوبر سنة ١٨١٧م).

(١٤٧) وقد كان مع ابراهيم باشا أربعة من الأطباء الايطاليين سوى المهندس الفرنسي هذا وأسماؤ هم هي : Scots, Gentill, Todeschini, Socio, . (هـوغـارث : ١٠١) وكـان Scots طبيبـه الخاص واشترك ضباط أوربيون آخرون مع الجيش المصرى في معارك عسير واليمن. (هوغارث : ١٣٣ : ١٢٧) وبركهارت يثني على شجاعة ضابط انجليزى كان فى جيش طوسون. وكان قد أسلم وسمي باسم ابراهيم آغا، ويمضي فى مدحه حتي يقول بأن عبدالله نفسه كان معترفاً بشجاعته.

(١٤٨) ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ. (٢٢ يناير سنة ١٨١٨م) «بلغت ٢ : ٢٦».

وفي بيوتهم ونهب الغزاة أموالهم وأمتعتهم بل حتى أعراض العفيفات الطاهرات لم تبق مصونة من دنس الجنود الأتراك، كما يقول بلنت[١٤٩]. ودخل المصريون ضرمى في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٢٣٣هـ (٢٤ فبراير سنة ١٨١٨م) وكان هذا بمثابة إعلان لزوال الدولة النجدية.

وتحصن سعود بن عبد الله وبعض المجاهدين الذين كانوا قد أتوا معه من الدرعية فى قلعة البلد. وفى الأخير أعطوا الأمان فارتحلوا إلى الدرعية وخرج معهم ثلاثة آلاف أو أكثر من الأطفال والنساء وآواهم كلهم الأمير عبدالله بن سعود فى الدرعية[١٥٠].

الاستيلاء على الدرعية

لقد وصل ابراهيم باشا الآن إلى أبواب الدرعية. وحاصر المدينة وظل محاصراً لها ستة أشهر. وقتل من المصريين عدد كبير ولكن الإمدادات كانت تصل إليهم كل يوم. وكان عدد أهل الدرعية ينقص كل يوم وزيادة على ذلك كانوا يعانون من قلة الزاد والأسلحة. وقد قاتل الأمير عبد الله بن سعود وجميع أهل بيته وجميع أبناء وأحفاد شيخ الإسلام بلا استثناء ببسالة نادرة وشجاعة لم يعهد لها نظير ولكن في الأخير طلب أهل البلد الصلح والأمان[١٥١]. ولكن عبد الله بن سعود كان متردداً في الاستسلام فالتجأ إلى قلعة أسرته «طريف» في داخل البلد وبدأ يقاتل من داخلها ولكن جدران القلعة كانت قد فقدت صلاحيتها وما كان الدفاع الآن ليجدى نفعاً فاستسلم أخيراً إلى ابراهيم[١٥٢].

---

(١٤٩) بلنت ٢ : ٢٦٠.

(١٥٠) عنوان المجد ١ : ١٩٣.

(١٥١) ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٨ سبتمبر ١٨١٨م) عنوان المجد ١ : ٢٠٦. ويقول ماردتمان ان سقوط الدرعية كان فى ٦ سبتمبر ١٨١٨م.

(١٥٢) ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨م «ماردتمان وفلبي : ١٠٣».

وكان هذا إعلانا لنهاية الدولة السعودية الأولى أو كما يسميها فلبي «الأمبراطورية الوهابية الأولى» التي كان قد عمرها شيخ الإسلام وأصحابه بأيديهم جميعاً.

مصير عبد الله بن سعود

بعد يومين من الاستسلام أُمر عبد الله بن سعود بالسفر وكان معه ثلاثة أو أربعة من أعوانه. ووصلت قافلة أمير نجد إلى مصر في محرم سنة ١٢٣٤هـ (نوفمبر سنة ١٨١٨م) واتخذهم المصريون أُضحوكة يستهزؤن منهم. وان كل اساءة كان من الممكن تصورها مع أمير دولة منهزمة قد ابيحت معهم ولم يترك منها شيء[١٥٣].

وقد حضر مجلس محمد علي وجرت محادثات مبدئية. وفي يوم ١٩ محرم أُرسل إلى الإسكندرية ومن هناك إلى الآستانة حيث كان الموت يترقبه. فصلب هناك هو وأصحابه في ١٧ ديسمبر سنة ١٨١٨م[١٥٤] (١٨ صفر سنة ١٢٣٤هـ) في فناء اياصوفيا وعلقوا على المشانق، إنا لله وإنا إليه راجعون. ولقد طيف بهؤلاء المظلومين بكل اهانة حتى في دار الخلافة.

ومع عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود تنتهي سلسلة الأمراء النجديين الذين تربوا على أيدى شيخ الإسلام مباشرة. فأما عبدالعزيز بن محمد بن سعود وسعود بن عبدالعزيز فقد كانوا تلامذة لشيخ الإسلام حقاً. ولعل عبدالله بن سعود كان صغير السن عند وفاة شيخ الإسلام (سنة ١٢٠٦هـ) ولذلك لم يتمكن من الاستفادة من دروسه وإلا أنه من المقطوع به أنه أدرك زمن شيخ الإسلام.

لم يجد عبد الله بن سعود فرصة الحكم باطمئنان واستقرار ولكن مع ذلك كان يتبع

(١٥٣) الجبرتي ٤ : ٢٩٨ وخلاصة الكلام : ٣٠٢.

(١٥٤) وقد ذكر ماردتمان وهيوجس «٦٦٠» تاريخ اعدامهم ١٩ ديسمبر ولم يعين ابن بشر والجبرتي تاريخه.

خطـوات أبيـه وجـده في الـدروس والـدعـوة وتدبير الحكومة وكان ينسج على منوالهم فليس عندنا جديد يذكر في هذا الصدد[١٥٥].

مصير الآخرين

استمـرت الحـرب داخـل الدرعية وخارجها ستة أشهر وهذا الكتاب الموجز لا يسع تفاصيل تلك المعركة كما أنها لا تدخل فى نطاق بحثنا وقد فصلها ابن بشر الذي شاهد هذه الحـوادث وعـاصـرهـا حتى أنـه في بعض الأحيـان يعـين ميادين القتال في البلد ومواقعها بتوضيح تام[١٥٦].

وقد استشهد في هذه المعركة واحد وعشرون رجلا من آل سعود فقط وإليك أسماء البارزين منهم:

فيصـل بن سعـود، ابـراهيم بن سعـود، فهد بن عبد الله بن عبد العزيز، فهد بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، محمد بن حسن بن مشارى بن سعود، ابراهيم بن حسن بن مشـاري، عبـد الله بن حسن بن مشـارى، عبـد الـرحمن بن حسن بن مشاري، ابراهيم بن عبد الله بن فرحان، عبد الله بن ابراهيم بن حسن بن مشاري، عبـد الله بن ناصـر بن مشـاري، محمد بن عبد الله بن محمد بن سعود، سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود، محمد بن سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود.

واستشهد من آل الشيخ:

سليمان بن عبد الله بن الشيخ، علي بن عبد الله بن الشيخ، محمد بن عبد الرحمن

(١٥٥) عنوان المجد ١ : ٢٠٩.

(١٥٦) عنوان المجد ١ : ١٩٤ ـ ٢٠٨.

ابن حسن بن الشيخ، وقد مثل بجثة الشيخ سليمان بن عبد الله فقطعت ارباً إرباً ومزقت عضواً عضواً، فيا لله من شدة الثأر!![157].

واستشهد من غير آل سعود وآل الشيخ علماء وأعيان كثيرون فمنهم من استشهد في ساحة المعركة ومنهم من لقي مصرعه بعدما أُذيق أنواعاً من الأذى من فوهات البنادق ورؤوس الاسنة وغيرها. ومن جملة هؤلاء:

على بن محمد بن راشد العريني قاضي خرج، وصالح بن رشيد الحربي، عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن سويلم، وحمد بن عيسى بن سويلم، ومحمد بن ابراهيم بن سدحان[158].

وهناك علماء آخرون غير هؤلاء الشهداء عاملهم ابراهيم باشا معاملة يندى لها الجبين. فقد كان القاضي أحمد بن رشيد الحنبلي عالم المدينة الشهير مقيما عند الأمير عبد الله وأكرم أولا بالضرب والطعن بالحراب ثم قلعت جميع أسنانه واحدة واحدة[159].

وكان القاضي أحمد بن رشيد (واسمه الكامل أحمد بن حسن بن رشيد) من سكان الاحساء وكان عالماً مشهوراً في الفقه الحنبلي واشتهر بلقب الحنبلي أيضاً. وكان في بداية الأمر مخالفاً لدعوة شيخ الإسلام ولكنه أصبح من أنصارها فيما بعد وأحب الجوار في مدينة الرسول ﷺ فاستوطنها وتوفي هناك بعد عمر طويل[160].

ووردت ترجمته بتفصيل في «السحب الوابلة» إلا أن المؤلف يؤول قبوله للدعوة بتأويلات عجيبة وغريبة[161].

---

(١٥٧) عنوان المجد ١ : ٢١٠.

(١٥٨) عنوان المجد ١ : ٢١٠.

(١٥٩) عنوان المجد ١ : ٢١٠.

(١٦٠) توفي سنة ١٢٤٩هـ.

(١٦١) السحب الوابلة : ٢٣ ـ ٣٥.

ومن هؤلاء الـذين أُهينـوا عالم ضعيف ومحـترم وهـو الشيـخ عبـد العـزيز الحصين النـاصـرى (م سنـة ١٢٣٧هـ) فقد كان موجوداً فى شقراء أيام الاستيلاء عليها فطلبه ابراهيم باشا فى مجلسه وجىء به محمولا لأنه ما كان يستطيع أن يمشى على رجليه من شدة الضعف ولما وصل سلم على طريقة السنة بقوله:

سلام عليك يا ابراهيم!»

وهنـا تورمت الجبهـة المتكـبرة للبـاشـا المصري وبدأ يستهزىء بالشيخ عبد العزيز وصار الشيخ ينصحه وقرأ آيات من العفو فحينذاك قال الباشا:

«عفونا يا عجوز! عفونا يا عجوز!».

والشيخ عبد العزيز هذا كان من أخص تلامذة شيخ الإسلام وقد أوفد مرتين إلى الحجاز (فى سنة ١١٨٥هـ و ١٢٠٤هـ) في حياة الشيخ. وقد مر ذكر الوفود مفصلا في أول الباب فليراجع هناك.

ولقد تمكن بعض السعداء من النجاة من براثن الظلم ومن بينهم تركي بن عبد الله ابن محمـد بن سعـود وهـو الذي جدد الدولة النجدية فيما بعد. والشيخ علي بن حسين ابن شيخ الإسلام، وهناك بعض الأفراد من آل سعود الذين تمكنوا من النجاة فى ذلك الحين ولكنهم لما رجعوا إلى وطنهم فيما بعد أعتقلهم الحاكم المصري وأرسلهم إلى مصر[١٦٢].

وقد أرسل بقية آل سعود وآل الشيخ مع أهلهم إلى مصر حيث أقاموا فى الغربة مدة طويلة ولقـد قضى بعضهم نحبـة هنـاك. إلا أن أكثـرهم رجعـوا إلى بلادهم بعـدما

(١٦٢) سنة ١٢٣٦هـ. خلاصة الكلام: ٣٠٣.

عادت الأمور إلى مجراها[١٦٣]. ووصلت قافلة الغرباء هذه إلى مصر في ١٨ رجب سنة ١٢٣٤هـ (١٣ مايو ١٨١٩م) وكان عددهم حوالي أربعمائة من بينهم نساء وأطفال[١٦٤].

تدمير الدرعية

كان الاستيلاء على الدرعية في أوائل ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ ولكن استمرت سلسلة تدميرها وافسادها مدة سنة تقريباً وأشرف عليها ابراهيم باشا بنفسه فمكث هناك نحو تسعة أشهر وكان يصدر كل يوم أوامر جديدة ويكره الناس على الامتثال بها.

ولما تمت كل هذه المراحل ضربها ضربة لم تسمح لعاصمة آل سعود أن تزدهر مرة أخرى. فقد وصل أمر محمد علي باشا في شعبان سنة ١٢٣٤ / هـ (يونيو سنة ١٨١٩م) بتدمير الدرعية ونفذها «ابنه البار» فوراً. فماذا كان بعد ذلك. قال ابن بشر.

«ثم أمر العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخلها وأشجارها ولا يرحموا صغيرها وكبيرها. فابتدر العساكر مسرعين وهدموها وبعض أهلها فيها مقيمين. قطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور ونفذ فيها القدر المقدور وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان. فتركوها خالية المساكن كأن لم يكن بها من قديم ساكن وتفرق أهلها في النواحي والبلدان وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شأن[١٦٥]»:

---

(١٦٣) وكان من بين هؤلاء الذين رجعوا إلى بلادهم العالمان النجديان الشهيران الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن وقد مر ذكرهما في الباب الأول من هذا الكتاب.

(١٦٤) الجبرتي ٤ : ٣٠٣.

(١٦٥) عنوان المجد ١ : ٢١٣ وتاريخ نجد للالوسي ٢٤ ـ ٢٦.

لقد كان هذا أسوأ مظهر للجنون الانتقامى المصري وهذه هي الدرعية التى كانت قرية صغيرة قبل دعوة الشيخ فوهبتها مركزية وانقلبت إلى مدينة عامرة غنية بجهود آل سعـود وتشجيعهم . وابن بشـر يذكـر في كلمات بليغة غنى هذه المدينة وبهاءها ومركزها التجاري ومشاهداته تحمل أهمية خاصة في هذا المجال[١٦٦] .

تهنئة الحكومة البريطانية

وبعدما تم إحراق الدرعية وتدميرها وكان ابراهيم يعد العدة للرجوع من بلاد نجد إذ خطرت خاطرة غريبة فى بال الحكام الانجليز في بلادنا . فأرسلوا وفداً خاصاً بقيادة جورج فارستر سادلير (Gorg Forester Sadleer) لتقديم التهانى إلى ابراهيم باشا وليس من العسـير الـوصـول إلى تلك العاطفة التى كانت تكمن وراء هذه الفكرة إذا وضعنا أمام أعيننا هذه الحقيقة بأن حكومة الشركة[١٦٧] كانت تبذل كل جهودها لزيادة نفـوذهـا في ناحيـة الخليـج ولمـا قوي سلطـان أهـل نجـد على الساحل[١٦٨] واشتدت الهجـمات البحـريـة وبدأت بواخرها تتضرر منها ، حاولت حكومة بومباى أن تتخلص من هذه المصيبة فقامت بشن هجوم عنيف على مدينة رأس الخيمة وأحرقته كما مر من قبل .

والآن لما علمت حكـومـة الشـركة بالفتوحات المصرية وزوال النجدين خافت بأن تتضرر مصالحها من الحكومة الجديدة وقد زاد هذا الخوف بسبب وقوع بعض الحوادث من هذا القبيـل بعـد الاستيـلاء على الـدرعية . فقد بدأت الحاميات المصرية الحربية تتجـول في النـواحي السـاحليـة من الخليـج ولم تحترم نواحى النفوذ البريطاني . وكان

(١٦٦) عنوان المجد ١ : ٢١٤ .

(١٦٧) كانت الحكومة الانجليزية فى الهند قد اشتهرت باسم «حكومة الشركة» وذلك لأن الانجليز قد استعمروا بلاد الهند تحت شعار شركة تجارية سموها «شركة الهند الشرقية» فاشتهرت الحكومة باسمها . (المترجم) .

(١٦٨) ومن الجـديـر بالـذكـر أن الحكـام الانجليـز كانـوا قد حاولـوا التقرب إلى النجديين أيضاً لما توسع نفوذهم إلى

الحكام الانجليز مسرورين بهلاك أعدائهم النجديين ولكنهم أيضا ما كانوا مستعدين لهذه المعاملة السيئة من المصريين.[١٦٩]. ولذلك أرسل الكابتن ج . ف . سادلير إلى الدرعية ليجتمع بابراهيم باشا. ولكن الحقيقة ان البريطانيين قد أخطأوا فى تقدير نيات المصريين. فالمصريون ما كانوا يريدون حكومة دائمة في نجد فضلا عن الخليج ولكن لعلهم أرسلوا بعض الدوريات إلى البلدان المجاورة إبان نشوة الفتح والاستيلاء على الدرعية. ولكن الحقيقة أنهم ما كانوا يقصدون إقامة حكومة دائمة ولأجل هذا سافر ابراهيم باشا إلى مصر بعدما دمر الدرعية وترك البلاد على أثره تعاني حال الفوضى والدمار.

وعلى كل حال نستمع الآن ما جرى على بعثة سادلير بلسان خبير وهو «هوغارث» وقال: «أرسلت سفينة حربية بريطانية من بومبائي إلى الخليج بدون أي إشارة مباشرة أوغير مباشرة من المصريين في سنة ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) في موسم الصيف. وكان على ظهرها الكابتن ج . ف . سادلير قائد الفرقة السابعة والأربعين، موفداً خاصاً إلى ابراهيم. وكانت مهمته تقديم التهانى إليه على فتح الدرعية واتخاذ الخطوات اللازمة للقضاء المبرم على الدولة الوهابية بالاشتراك مع الباشا.

ومن التعليمات التي وجهت لذلك الضابط:

«فإن كان الباشا يريد الاستفادة من المساعدات البريطانية ـ كما هو الظن الغالب ـ ترسل قوة بحرية كاملة وقوية على الفور لتساعد الأتراك (المصريين) فى الاستيلاء على رأس الخيمة. الخ

الساحل فكان حاكم بصرة البريطاني «مانستى «Manesty» قد أرسل «ريناند Reinand» إلى الدرعية لهذا الغرض فقط، وكان قد حصل له بعض النجاح فى ذلك الوقت «هوغارث حاشية: ١٠٤».

(١٦٩) فلبي: ١٠٣.

ولكن قلما قدرت الخيبة لبعثات سرية فى التاريخ كما قدرت لبعثة سادلير».

والتفصيل طويل [١٧٠] ولكن الخلاصة أن سادلير نزل على ساحل العرب حين كان ابراهيم باشا يريد الرجوع إلى وطنه مشبعاً من تدمير الدرعية وأخبر سادلير بأنه لا يعرف أين سيتمكن من الاجتماع به. ولكنه خرج في ٢٨ يونيو سنة ١٨١٩م ووصل إلى شقراء ثم الرس ماراً بالدرعية وقد وجد جنود ابراهيم إلا أنه بنفسه كان قد سافر إلى المدينة وكان خبر قدوم سادلير قد بلغه ولكنه لم يكن حريصاً على لقائه إلى حد أن يجلس لانتظاره وفي الأخير أدركه سادلير على مقربة من المدينة واجتمع به فى ٨ و ٩ من سبتمبر.

وكلمه الباشا كلاماً حسناً وبأخلاق ولكنه لم يعده بشيء ورجع الوفد البريطاني صفر اليدين إلا أنه قد نال مزية بتجوله في الصحراء لمدة ثلاثة أشهر فكان أول أوربي عبر الجزيرة العربية من البحر إلى البحر.

لقد دمرت الدرعية بأيدي المصريين بحيث لم يتسن لها أن تعمر مرة أخرى. ولم يكن يرى أي أمل فى انبعاث النجديين من جديد. وقد أظهر بلنت رأيه بالحرف الواحد في سنة ١٨٨٠ م بقوله:

«إن الدولة السعودية في العرب ينبغى أن تعرف الآن كقصة من الماضي [١٧١]».

وهذا مع أنه خبير واسع الاطلاع بعيد النظر وموال للعرب فى الظاهر. وكذلك داوتى (Daughty) فى سنة ١٨٧٥م ينقل عن أهل نجد رأيهم فيقول:

«إن الرأي السائد على الأقل في نجد أن الدولة الوهابية لا يمكن ان تنبعث من جديد [١٧٢]».

ويعلق عدو الإسلام زويمر على هذه الحادثة فيقول:

---

(١٧٠) ومن أراد التفصيل فليرجع إلى هوغارث فى كتابه «Fenetration of Arabia» ١٠٤ - ١١١.

(١٧١) بلنت ٢ : ٢٦٨.

(١٧٢) داوتى ٢ : ٤٢٥.

«لقد انتهت هذه الحركة بخيبة كاملة ولقد ثبت الآن ان وجودها السياسى كان مجرد تمثيلية رائعة[١٧٣]».

يقول عدو الإسلام والعرب هذا فى موضع آخر:

«ينبغي أن نعرف أن الدولة السعودية فى العرب قد أصبحت من عداد الأساطير الماضية[١٧٤].

إلا أن الأيام قد أثبتت بأن هذه الآراء كلها كانت كاذبة فلقد سلمت أمانة الجزيرة العربية إلى أولئك النجديين مرة أخرى وبسعة وقوة أكثر مما كانتا من قبل. نعم إن الدرعية لم يقدر لها أن تزدهر من جديد والنشأة الجديدة للدولة النجدية كانت من مدينة أخرى في الناحية نفسها وهي «الرياض» وهى عاصمتهم الآن.

رثاء الدرعية

لقد تركت مأساة الدرعية أثراً عظيما مؤلما جداً في نفوس أهل نجد ومحبيهم وهذا لا يحتاج إلى بيان. ولعل البكاة قد بكوا حسب استطاعتهم وأحوالهم واسبلوا دماء لا دموعاً ونحن نحب أن نشير الآن إلى قصيدة واحدة فقط قيلت فى رثاء الدرعية وهي مما قاله العالم النجدي الشهير الشيخ عبد العزيز نجل الشيخ حمد بن ناصر (م سنة ١٢٢٥هـ) أحد تلامذة شيخ الإسلام. مع أننا لا نجد فيها تلك القوة التي نراها في رثاء الأندلس[١٧٥] للشريف الرندى أو مرثية بغداد لسعدى

---

(١٧٣) زويمر: ١٩١.

(١٧٤) نقلا عن فلبي (١٠٢) ويتعجب فلبي (١٦٠) من أن تعليق زويمر هذا ما زال باقيا في الطبعة التى طبعت من كتابه في سنة ١٩١٢م مع أن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود قد استرد الرياض في سنة ١٩٠٢م ومما يجدر بالذكر أن هوغارث (٧٨) كان قد توقع انبعاث هذه الحركة وازدهارها من جديد (فى سنة ١٩٠٤م) ولكن هذا التوقع بعد استرداد الرياض ليس محل إعجاب كبير إلا أن جهل زويمر غريب مدهش.

(١٧٥) رثاء طليطلة لأبى البقاء صالح بن شريف الرندى ومطلع قصيدته المشهورة:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

(الشيرازى)[176]. ولكن مع ذلك فيها أنين وألم وهي مرآة صادقة لشعور الصبر والشكر الذي كانت تتحلى به هذه الأمة المؤمنة. ومطلع القصيدة هو:

إليك إله العرش أشكو تضرعاً وأدعوك في ضراء ربي لتسمعا

وعلى سبيل المثال نورد بعض الأبيات:

وكم قتلوا من عصبة الحق فتية هداة وضاة ساجدين وركعا
وكم دمروا من مربع كان آهلا فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا
مضوا وانقضت أيامهم حين أوردوا ثناء وذكراً طيبه قد تضوعا
فجازاهم الله الكريم بفضله جنانا ورضوانا من الله أرفعا

إلى أن قال:

ألا أيها الأخوان صبراً فانني أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا
ولا تيأسوا من كشف ما ناب انه إذا شاء ربي كشف ذاك تمزعاً[177]

ومن أيام تدمير الدرعية تنتهي الدولة السياسية التي أسسها ورباها الشيخ بنفسه أما نشأة نجد من جديد[178] وازدهاره فهو خارج عن نطاق بحثنا فلذلك نترك هنا قصة حكومات نجد ولنتوجه إلى مؤلفات الشيخ وتراثه الفكرى.

وكان حادث استيلاء العدو على طليطلة في صفر سنة ٤٧٨هـ والمشهور عند عامة الناس انها رثاء غرناطة بعد استيلاء العدو عليها فى سنة ٧٩٢هـ إلا أن الصحيح انها قيلت قبل الاستيلاء على غرناطة بثلثمائة سنة «نفح الطيب ٤٣ : ٥٩٤».

(١٧٦) رثاء زوال بغداد. ومطلعها، «والقصيدة باللغة الفارسية. المترجم»
«حق للسماء أن تمطر دماء على الأرض على زوال ملك أمير المؤمنين المستعصم»

(١٧٧) عنوان المجد ٢ : ٣٤.

(١٧٨) يمكن أن نقسم تاريخ نجد إلى ثلاثة أدوار:
الدور الأول: يبدأ من ازدهار الدرعية إلى سنة ١٢٣٤هـ - «١٨١٩م» حينما تشتت شملهم وتمزقت قوتهم بغارة المصريين واستيلائهم على الدرعية.
الدور الثاني: يبدأ من عصر حاول فيه تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود [١٢٣٥ - ١٢٤٩هـ] الموافق

نعم أرى من المناسب هنا أن أذكر الفروق التي كانت توجد بين الجيش النجدي والجيش المصري، وفي أخلاق وطبائع محمد علي وابراهيم باشا.

الغـزاة المصريون

استمـرت المعـارك بين المصـريين والنجـديين مدة طويلة وفي البـدايـة لحقت بالمصريين خسائر فادحة وكان النصر حليف النجديين إلا أنهم لم ينحرفوا قيد أنملة عن القواعد الحربية الإسلامية ومهما قيل من الشدة والتقشف في جنودهم ولكن من المستحيل أن يؤتى بمثال واحد من الضـعف الخلقي أو الغش والفجور أما محمد علي وابـراهيم وأصحـابهمـا فيظهـر من أعمالهم كأنهم لم يصبهم مس من الإسلام ويظهـر من تصـرفـاتهم مدى انحطـاط المسلمين عامـة في بداية القرن الثالث عشر الهجــري. ولـلاطـلاع على المميـزات والفـوارق بين الجيش المصـري والجيش النجـدي يكفى أن نسمـع روايـة واحـدة رواهـا لنا المؤرخ المصري المشهور عبد الرحمن الجبرتي. ذكر في حوادث سنة ١٢٢٧هـ في صدد ذكره لانهزام المصريين ويحدث عن ضابط مصري كبير.

«ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر؟ وأكثـر عسـاكـرنـا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صنـاديق المسكـرات ولا يسمـع في عرضينـا أذان ولا تقـام به فريضـة ولا يخطر فى بالهم ولا خاطـرهم شعـائـر الـدين. والقـوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون

= [١٨٢٠ - ١٨٣٤م] وفيصـل بن تركي [سنـة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م - سنـة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م ثم سنـة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٢م - سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م] العودة إلى الحكم إلى أن ضم أمير حائل محمد بن عبد الله آل الرشيد «سنة ١٢٨٥هـ/ ١٧٦٩م - ١٣٢٥هـ/ ١٨٩٧م» ناحية الرياض تحت رايته.

والدور الثالث الذهبي «وفى تعبير فلبي : الامبراطورية الوهابية الثانية» يبدأ من سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م حينما جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود واسترد الرياض من آل الرشيد.

صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته[١٧٩]».

ولا نستبيح أن نلوث قلمنا بذكر تلك الفواحش التى ارتكبها الجيش المصري في بدر ونواحيه حسب رواية هذا الضابط المصري ولكن يكفى للإشارة إليها أن نقول إن أعراض أهل العلم والشرف لم تبق محفوظة من اعتدائهم[١٨٠].

وهذه كانت رواية ضابط عسكرى مصرى وإليك رواية الجبرتي نفسه فقد قال في حوادث رمضان سنة ١٢٣٣هـ.

«وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا إلى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول، واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام[١٨١]».

وإذا كان هذا مبلغ احترامهم وتقديرهم للدين ولنظام الإسلام فما هو العجب إذا جن جنون ابراهيم باشا بعد تدمير الدرعية والاستيلاء على نجد إذ يشكو الجبرتي من الكبر والانانية فى فاتح نجد فقال.

---

(١٧٩) الجبرتي ٤ : ١٤٠.

(١٨٠) الجبرتي ٤ : ١٤٠.

(١٨١) أيضاً ٤ : ٢٨٩.

«ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظما في نفسه جداً وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة فلم يجبهم ولا بالإشارة بل جعل يحادث شخصاً سخرية عنده.

وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسري الخاطر[١٨٢]».

وهل هذا يحتاج إلى تعليق؟

خيانة محمد على ومظالمه

لا نريد أن نعيد هنا قصة المظالم التى ارتكبها محمد علي من جديد ولكن بركهارت الذى زار الحجاز والجزيرة العربية فى عهد محمد علي ولا يمكن أن يتهم بالعطف على الوهابيين، قد ذكر لنا القصة المفصلة لتلك المظالم[١٨٣] وهو معتمد عليه وموثوق به. ويحمل بعض المعلقين مسئولية الغدر والخيانة والمكر الذي ارتكبه ابراهيم على عاتق محمد علي. يقول هوغارث: «إن الغدر والخيانة اللتين عومل بهما الملك المخلوع وعامة الوهابيين ترجع العهدة فيها إلى محمد على أكثر من ابراهيم[١٨٤]».

ويذكر بركهارت أكثر من مرة أن محمد على كان قد نجح في تقديم الرشوة إلى البدو.

«وقد كان للرشوة النصيب الأوفر في إمالة البدو إلى المصريين».

(١٨٢) أيضاً ٤ : ٣٠٦ ولقد قدم هوغارث أيضاً سيرة ابراهيم باشا بوضوح «١٠١».

(١٨٣) بركهارت: ٢٤٢، ٣١٨، ٣١٧، ٣٣٣، ٣٥٢.

(١٨٤) هوغارث ١٠٣.

ويذكر أمثلة كثيرة لمظالم محمد علي وسفكه الدماء. وقال هو نفسه فى موضع آخر:

«وكان دور الفلوس أكبر من قوة جيوش محمد علي في إرساء دولته على العرب.[١٨٥] وفي جانب آخر يذكر شاهد عيان آخر حالة النجديين وهو السياح الأسباني المعروف باديا (على بك عباسى) وإليك روايته وكان موجوداً في مكة عندما دخلها النجديون فاتحين:

«ما كانت أيديهم تصل إلى أى شيء حتى يعرفوا بأنه للعدو أو للمشرك وما كانوا يحاولون أخذه غصباً. وكانوا يشترون جميع حاجاتهم بالفلوس وهكذا كانوا يدفعون الأجرة على كل خدمة. ولما كانوا يتبعون أوامر رئيسهم اتباعا أعمى كانوا مستعدين لكل بذل في امتثال أوامره[١٨٦]».

قال بركهارت سائح آخر وهو متثبت أكثر من «علي بك» وكان قد وصل إلى مكة في سنة ١٩١٤م أي عند استيلاء محمد علي عليها وكتبه تشهد بصحة روايته ودقة نظره فقال:

ولقد كان الشعور القوي المخلص للقضاء على التقاليد السيئة هو الذى يعمل عمله تحت إجراءات الوهابيين. فإنهم لم يخونوا العهد قط مع أغدر عدو. ولو قارنا سلوكهم بسلوك الأتراك (المصريين) فسنضطر إلى أن نذكر جميع تلك المساوىء التى يتلوث بها الأتراك[١٨٧]».

وكتاب بركهارت ملىء بالمدح والثناء على سعود وعبد الله[١٨٨].

---

(١٨٥) بركهارت: ٢٠٢ ـ ٢٠٦.

(١٨٦) هوغارث: ٧٨.

(١٨٧) هوغارث: ٧٩.

(١٨٨) بركهارت ٢: ١٢٠ ـ ١٨٠.

الباب الثالث

المؤلفات

لقد كتب المجاهد والسياسي العربي الشهير الأمير شكيب أرسلان في شأن حكيم الشرق والمفكر السياسي الأول في العالم الإسلامى المعاصر السيد جمال الدين الأفغاني وما أحسن ما كتب.

«وبالجملة فإنه لم يكن يحفل بوفرة التصانيف وإنما كان يؤلف أُمما ويصنف ممالك[1]».

ومن الممكن أن تعاد هذه الجملة في حق شيخ الإسلام أيضاً بتغيير طفيف ولكن مع ذلك فالذى كتبه الشيخ في الدعوة والتبليغ ليس بقليل ومرتبته عظيمة من الناحية العلمية أيضاً. فلا توجد فى هذه المكتوبات تنطعات المتكلمين ولا تكلفات الفقهاء المتأخرين الذين سيطرت عليهم العلوم اليونانية ولكنها على طريقة المحدثين تماماً فكل ما قاله في كلمات واضحة مستدلا بنصوص من الكتاب والسنة وكفى - !! إن الحق لا يحتاج إلى تجميل ولا تزوير فإنه يحمل فى طياته جاذبية كامنة.

ومن أهم مميزات مؤلفاته أنها لم يصبها أدنى كدر من اليونان والعلوم اليونانية في حين نرى في بلادنا الهند أن كبار المجددين لم يستطيعوا أن يتجنبوا التعقيدات اليونانية والإشراقية. ولكن أسلوب الشيخ قرآني محض وأدلته كلها مأخوذة من القرآن والسنة.

ومزية أخرى أنه بعيد كل البعد عن المصطلحات الصوفية. وإن هذا الخليط

---

(١) حاضر العالم الإسلامى ٢ : ٣٠١.

المركب من الفلسفة اليونانية وفيدا[٢] الذى سماه الناس تصوفا قد نخر أسس الدين الإسلامى[٣]. والمجددون فى الهند الإسلامية قد وقعوا في خطأ جسيم إذ مازالوا يقدمون للناس هذا الأفيون. وإن الأفيون هو أفيون على كل حال مهما قدمت له من عقاقير وجرعات إلا أن آثاره السيئة لابد وأن تفسد الأعضاء الرئيسية في الجسد[٤]. ونتيجة لذلك فلم يستطع المسلمون فى الهند أن يتخلصوا من هذه الأحاليل إلى يومنا هذا. وإن العلاج الناجح الذي قدمه شيخ الإسلام والحذر الكامل الذي يوجد عنده من هذا المخدر لقد أديا إلى تخليص المسلمين في نجد وأطرافه من هذه الورطة إلى الأبد.

أما أسلوب الشيخ فهو واضح لا يوجد فيه أى تعقيد إلا أن اللغة[٥] ليست عالية جداً كما نشاهدها عند ابن تيمية (م سنة ٧٢٨هـ) وابن القيم (م سنة ٧٥٦هـ) والشاه ولي الله (م ١١٧٦هـ) رحمهم الله.

---

(٢) فيدا : اسم الكتاب المقدس عند الوثنيين فى الهند ومنه تؤخذ شرائعهم وتقاليدهم

(المترجم)

(٣) اقترح علي بعض الأصدقاء أن لا أخالف التصوف بوجه عام بل استعمل كلمة «صوفية السوء» للمتصوفة المحتالين والمبتدعين كما أن كلمة «علماء السوء» تطلق على العلماء غير العاملين. ولا مانع عندي من قبول هذا الاقتراح لو لم أشاهد تلك المفاسد والويلات التي جرها التصوف. أما الذين يدعون إلى «الاحسان» والتزكية على طريقة الإسلام فمن الذى يخالفهم. ولكن الخلاف انما هو فى هذا الاصطلاح المبتدع «التصوف» الذى راجت تحت ستاره أسواق الخداع والدجل فى ضحوة النهار. ولا أرى طريقة للتخلص من هذه الفتنة العمياء سوى أن نخلع ونرمي هذه الجبة بالمرة.

(٤) ولمعرفة المزيد من هذه المصائب والمفاسد التى دخلت فى صفوف المسلمين تحت شعار التصوف يرجع إلى كتاب «التصوف بين الحق والخلق» للأستاذ محمد فهر شفقة. وكتاب «هذه هى الصوفية» للأستاذ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله.

(المترجم)

(٥) يشعر الناظر فى كتب الشيخ رحمه الله انه يحاول ان يعرض دعوته بأوضح أسلوب وأسهل عبارة لكى يفهمها الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية والأدبية ولذلك فانه يتجنب استعمال الأساليب التى قد يصعب فهمها على عامة الناس».

(المترجم)

ولكن هناك جوهرة ثمينة أخرى فى مكتوباته ونادراً ما نراها في التراث الإسلامى كله. وقد انعدمت بعد القرن الثامن الهجري. وإن سمحتم نعبر عنها «بالروح» كما يقول إقبال. فإن كل سطر من سطوره مملوء بالتأثير، ولعل سببه كامن في ذلك الشعور الدينى الوقاد الذي كان يقض مضجعه طوال حياته. إذن ـ لابد أنه كان متصفاً بشىء ما. حيث استطاع أن يُغَيِّر أحوال نجد وما حوله رأساً على عقب فى لمحة خاطفة. وبالجملة فإن جميع مؤلفاته الصغيرة والكبيرة مليئة من هذا التأثير ويظهر هذا أشد وأكثر فى رسائله.

وقد عرفنا من مؤلفات الشيخ الكتب التالية:

١ ـ كتاب التوحيد:

وهذه الرسالة هي أشهر مؤلفات الشيخ وكما أن كتاب «تقوية الإيمان» للشيخ اسماعيل الشهيد (ش سنة ١٢٤٦هـ [٦]) قد اسيئت سمعته في مجالس أصحاب الأفكار الفاسدة في الهند فكذلك «أدعياء العقيدة الطيبة» في العرب والعجم لا ينظرون إلى كتاب التوحيد نظرة طيبة. والاسم الكامل لهذا الكتاب هو «كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» وذكر فيه الشيخ حقيقة التوحيد وحدوده،

---

(٦) هو المجاهد الشهيد والبطل المغامر محمد اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوى جمع بين قوة العلم والورع وشوكة السلاح. رفع لواء الدعوة الإسلامية فى القارة الهندية بعدما اندرست معالمه وطغت عليه قوى الكفر والطغيان فجاهد مع رفيقه السيد أحمد بن عرفان الشهيد ضد الانجليز المستعمرين ووضع حداً لمظالم السيخ الغاشمين وقامت لهما دولة إسلامية فى غرب بلاد الهند ولكن لم تعمر طويلا. ولقد اعتنى الشهيد رحمه الله أشد الاعتناء بتطهير عقائد المسلمين واخراجهم من شوائب الوثنية التي كانت قد دخلت فيهم عن جيرانهم. ولكن للأسف أن العالم العربى لم يزل غافلا عن تاريخ بطولاتهم النادرة فلم يؤلف فى اللغة العربية فى ذكرهم إلا صفحات أو وريقات. ولعل القارىء يجد نبذة من تضحياتهم وأعمالهم فى كتاب «تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند» للأستاذ مسعود الندوى وفى مقدمة كتاب «تقوية الإيمان» للشهيد نفسه. لقد ولد هذا المجاهد فى سنة ١١٩٣هـ وخر صريعاً في معركة مع السيخ الكفار فى سنة ١٢٤٦هـ. وترجم كتابه «تقوية الإيمان» لأول مرة إلى اللغة العربية وطبعته دار التأليف والترجمة والنشر بالجامعة السلفية ببنارس في الهند فى سنة ١٣٩٢هـ. (المترجم)

والشرك ومفاسده وفصل القول فى جميع تلك الطرق التى تؤدي إليه كالاستعاذة والاستغاثة بغير الله والتوسل ودعاء غير الله والنذر والذبح لغيره والسحر والكهانة والتطير وغيرها. ولم يأت بافكاره إلا القليل[٧] بل اكتفى في كل باب بذكر براهين واضحة وصريحة من الكتاب والسنة. ولقد حظي هذا الكتاب بالقبول العام وسارعت إليه الأيدى وطبع مرات كل منها عدة آلاف وترجم بلغات عديدة. وترجم بلغة «اردو» عدة تراجم. ولم أعرف هل ترجم بالانجليزية أولا[٨]؟ وقد ألف علماء نجد شروحاً عديدة لهذا الكتاب وبعضها مفيدة جداً وغزيرة العلم. وذكر بروكلمان شرحين[٩]:

١ ـ الدر النضيد لاحمد بن حسن النجدي وقد طبع في دهلي سنة١٣١١هـ.
٢ ـ فتح الله الحميد المجيد لحامد بن محمد بن حسن وقد طبع في أمرتسر سنة ١٨٩٧م.

أما الأول فلم أطلع عليه وأما الثاني فناقص وغير مهم ولكن بروكلمان غفل عن ذكر أهم الشروح وهو «فتح المجيد» وقد بدأ تأليفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن شيخ الإسلام (م سنة ١٢٣٢هـ) إلا أنه لم يتم فأكمله الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام (م سنة ١٢٨٥هـ) وأضاف إليها زيادات كثيرة والذي نراه أمامنا هو من

---

(٧) مقصود المؤلف الرد على أولئك الذين كانوا يزعمون أو مازالوا يزعمون أن شيخ الإسلام رحمه الله «أتي بمذهب جديد» أو أنه «دعا إلى ضلال» أو أنه وأتباعه «من الخوارج» كما زعم دحلان والبنهانى وغيرهما فإن الأسلوب الذى مدح به المؤلف مصنفات شيخ الإسلام رحمه الله يشهد لهذا الايضاح، ولا شك أن تراجم أبواب كتاب التوحيد والمسائل التى يذكرها آخر كل باب من أفكاره واستنباطاته.

«الناشر»

(٨) لقد ورد ذكر ترجمة انجليزية لكتاب التوحيد في قائمة «أنديا افس» (القائمة العربية ٢ : ٣٨٤ رقم/ ٢٠٥٠) General Asiatic Society. والحق أنها ترجمة لرسالة الشيخ عبد الله بن محمد عبد الوهاب التى ألفها فى سنة ١٢١٨م عند فتح مكة. ووقع بروكلمان أيضاً فى هذا الوهم (٢ : ٣٩) ولكنه صححه في الذيل إلا أن الخطأ فى التاريخ مازال باقياً حتى بعد التصحيح فقد طبع سنة ١٨٤٠هـ بدلا من سنة ١٨٧٤هـ. وترجمة رسالة الشيخ عبد الله هذه هي بقلم «اوكنلي Okinely». وقد وقع فى أخطاء مدهشة سنذكرها فى موضعها.

(٩) تاريخ الآداب العربية ملحق ٢ : ٥٣١، ٥٣٢.

ترتيب الشيخ ابن حسن نفسه وتوجد في هذا الشرح بحوث مفصلة لكل المسائل ووردت نصوص طويلة عن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله وهكذا صار هذا الشرح كتابا جامعاً مفيداً. وقد طبع للمرة الأولى في المطبع الأنصارى في دهلى سنة ١٣١١هـ. ومرة أخرى في المطبعة السلفية بمصر على نفقة الشيخ عبد الرحمن القصيبي التاجر المعروف في البحرين على ورق عادي سنة ١٣٤٧هـ ووزع مجاناً. وقد طبع الآن للمرة الثالثة فى مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة تحت اشراف الشيخ محمد حامد الفقى طبعة أنيقة جداً (سنة ١٣٥٧هـ) وقد ذكر الشيخ محمد حامد الفقي أحوال المصنف في مستهله أخذاً من عنوان المجد. وخرج الناشر بعض الأحاديث أيضاً وحاول أن يشير إلى المواضع الصحيحة من كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم لأن المؤلف ذكرها بدون إشارة إلى مصادرها. وبذلك سهلت المراجعة.

وزيادة على هذا الشرح الطويل المفصل الذي هو إكمال للشرح الذى بدأه الشيخ سليمان بن عبد الله وتركه ناقصاً[١٠]. كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن علق بعض التعليقات باسم «قرة عيون الموحدين» (طبع مطبعة المنار سنة ٤٦هـ) ولم أطلع على هذا الكتاب ولكن محمد حامد الفقي ذكر بعض النصوص منه في حواشي فتح المجيد.

******

٢ - كشف الشبهات:

ونستطيع أن نسميه تكملة لكتاب التوحيد والحقيقة ان جميع كتب الشيخ تتعلق

(١٠) والحق ان كتاب «فتح المجيد» شرح مستقل من تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن وأما كتاب الشيخ سليمان بن عبد الله فهو الآن مطبوع ومتداول باسم «تيسير العزيز الحميد» وقد ظهرت منه عدة طبعات قام بنشرها وطبعها المكتب الإسلامى فى بيروت وقد أكملت الأجزاء الناقصة منه من «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن وهي قليلة جداً «المترجم»

بالتوحيد ويمكن أن يقال أنها كلها تكملة لكتاب التوحيد إلا ان كشف الشبهات لا يوجد فيه إلا التوحيد وقد أزيلت فيه تلك الشبهات التي كانت تعرض للعامة حول التوحيد الخالص. فإن بعضهم ينادي الولي أو الغوث وبعضهم يضل وينحرف من باب التوسل والاستغاثة وقد أخطأ بعضهم في فهم الشفاعة. وقد أزيلت كل هذه الشكوك في هذا الكتاب. وطريق الاستدلال قرآني خالص لا يوجد فيه أدنى غموض ولا نرى أي أثر للطريقة الجدلية التى توجد عند المتأخرين. وهي رسالة صغيرة إلا أنها كنز من المعلومات والفوائد وقد طبعت مرات وعندنا نسخة طبعت في مجموعة عيسى بن رميح النجدى (٥٦ ـ ٧٢).

******

٣ ـ الأصول الثلاثة وأدلتها:

معرفة الرب، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة الرسول، هذه هى الأصول الثلاثة التي وضحت في هذه الرسالة في أسلوب جذاب. إنها رسالة صغيرة جداً.

******

٤ ـ شروط الصلاة وأركانها:

وقد شرحت في هذه الرسالة شروط الصلاة: الإسلام، العقل، التميز، رفع الحدث، إزالة النجاسة، ستر العورة، دخول الوقت، استقبال القبلة، والنية، وذكرت أركان الصلاة وواجباتها.

******

٥ ـ القواعد الأربعة:

ذكرت فى هذه الرسالة بعض نواحى التوحيد على طريقة مؤثرة وسهلة وهذه القوعد الأربعة:

أولاها: أن كفار العرب كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق والرازق والمدبر ولكنهم لم يدخلوا في الإسلام بهذا.

وثانيتها: ان كفار العرب أيضاً كانوا يدعون أولياء من دون الله للقربة والشفاعة ويقولون هؤلاء شفعاؤ نا عند الله.

وثالثتها: أن الرسول ﷺ قاتل عباد الملائكة والأنبياء والصالحين وعباد الأشجار والأحجار والشمس والقمر على حد سواء ولم يفرق بين أنواع المشركين.

ورابعتها: أن مشركي هذا الزمان أحط درجة من مشركي ذلك الزمان لأنهم كانوا يوحدون الله عند الشدائد على الأقل وأما مشركوا هذا الزمان فإنهم يدعون أولياء من دون الله فى كل حال.

وقد وضحت هذه القواعد الأربع بالآيات القرآنية:

وقد طبع هذه الرسائل الثلاث عيسى بن رميح النجدي في مجموعته (١ ـ ٢٧) مطبعة المنار القاهرة سنة ١٣٤٠هـ. وكذلك توجد هذه الرسائل في مجموعة الكتاب المفيد المطبوع فى مكة سنة ١٣٤٣هـ.

******

٦ ـ أصول الإيمان:

وقد بينت أبواب مختلفة من الإيمان بالأحاديث ويظهر من عبارة فى البداية أن بعض أولاد الشيخ قد أضاف إليها ونصها «وقد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة».

لقد طبع للمرة الأولى فى دهلى وطبع في هذه الأيام «في مجموعة الحديث النجدية» ـ (القاهرة مطبعة المنار سنة ١٢٤٢هـ) (ص: ٢٠٩ ـ ٢٤٠).

******

٧ ـ كتاب فضل الإسلام:

وقد وضحت فيه مفاسد البدع والشرك كما وضحت شروط الإسلام. مجموعة الحديث النجدية (٢٤٢ ـ ٢٥٥).

******

٨ ـ كتاب الكبائر:

ذكرت فيه جميع أقسام الكبائر واحدة واحدة مفصلة في أبواب وقد دعمت الأبواب كلها بنصوص الكتاب والسنة والحق أن المصنف لم يكتب من عنده إلا القليل ولا شك ان جمع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بأسلوب لائق هو عمل جليل فى نفسه. مجموعة الحديث النجدية (٢٥٨ ـ ٣١٠).

******

٩ ـ نصيحة المسلمين:[١١]

هذا كتاب مستقل قد جمعت فيه أحاديث تتعلق بجميع نواحي التعليمات الإسلامية وإن المصنف لم يأت بشيء من عنده إلا القليل بل ما جاء بشيء أصلا.

مجموعة الحديث (٣١٢ ـ ٤٤٤)

******

١٠ ـ ستة مواضع من السيرة:

رسالة مختصرة توضح ستة أحداث من السيرة النبوية. والمواضع الستة هى:

١ ـ إبتداء نزول الوحى.
٢ ـ تعليم التوحيد والرد على الكفار.
٣ ـ قصة «تلك الغرانيق العلى[١٢]».
٤ ـ ختام أبي طالب.
٥ ـ منافع الهجرة وعظاتها.

---

(١١) أفاد فضيلة الشيخ اسماعيل بن محمد الانصارى حفظه الله بأن مجموعة الأحاديث المعنونة بعنوان «نصيحة المسلمين» والموجودة فى مجموعة الأحاديث النجدية ليست من مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. بل هى عبارة عن كتاب الأدب والرقاق من مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى. وإنما وضعها بعض تلاميذه فى هذه المجموعة بقصد الفائدة فقط. ووافقه على ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله فى خطاب موجه إليه فى ١٣٩٦/١٢/١٦هـ (المترجم)

(١٢) للتفصيل في معرفة هذه القصة وحقيقتها يرجع إلى كتاب «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى (المترجم)

٦ ـ قصة الارتداد بعد وفاة الرسول ﷺ.

(مجموعة الكتاب المفيد ١٩ ـ ٢٣)

******

١١ ـ تفسير الفاتحة:

وهو تفسير موجز جداً لسورة الفاتحة إلا أن حماسة الشيخ للتوحيد تبدو واضحة جلية فى كل سطر.

(مجموعة الكتاب المفيد ١٨ ـ ١٩)

******

١٢ ـ مسائل الجاهلية:

ذكر فيها شيخ الإسلام مائة وإحدى وثلاثين مسألة خالف الرسول ﷺ فيها معتقدات أهل الجاهلية وقد ألف الأستاذ محمود شكرى الألوسى (م سنة ١٣٤٢هـ) شرحاً لهذه الرسالة.

(الزهراء ٤٤ ـ ٥٢)

******

١٣ ـ تفسير الشهادة:

تفسير لكلمة لا إله إلا الله وقد ذكرت فيها أهمية التوحيد فى أسلوب أخاذ وواضح (٧٨ ـ ٨٠).

******

١٤ ـ تفسير لبعض سور القرآن[١٣]:

إنها مجموعة لبعض تعليقات الشيخ على آيات وسور مختلفة من القرآن وقد استنبط عشرات من المسائل من آية واحدة وهذه هي أهم مزاياها.

******

١٥ ـ كتاب السيرة:

ملخص من كتاب السيرة لابن هشام وتوجد نسخة قديمة طيبة لهذا الكتاب في مكتبة بتنة[١٤].

******

١٦ ـ الهدي النبوي:

وهو ملخص لزاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله وقد كتب على عنوان الكتاب «الهدى النبوى» فقط وتوجد له نسخة خطية فى مكتبة بتنة[١٥].

وللشيخ عدة رسائل صغيرة أخرى غير ما ذكرنا ولا أرى حاجة إلى ذكرها. وتوجد بعض هذه الرسائل في روضة الأفكار[١٦] وكذلك أجوبة لبعض الاستفسارات[١٧].

(١٣) الفهرس المشروح ـ مكتبة اورينتال (المكتبة الشرقية) لتنة ١٨/٢ رقم ١٤٧٧.

(١٤) الفهرس المشروح ج ١٥ رقم : ١٠٣٨//.

(١٥) الفهرس المشروح ج ١٥ رقم : ١٠٣٨/٢.

(١٦) المجلد الأول: الفصل الثالث والرابع.

(١٧) هذا وقد اختلف المترجمون للشيخ فى ذكر أسماء مؤلفاته وعددها فذكر بعضهم ما لم يذكره الآخر. ولعل السبب فى ذلك هو أن أغلب هذه المؤلفات أشبه بمقالات مختصرة فمنهم من عدها مؤلفات مستقلة ومنهم من عدها مقالات ورسائل. والقارىء الكريم إذا أجال النظر في مؤلفاته يجدها على نوعين. الأول: ما أختصره الشيخ

. . . . . .

من مؤلفات العلماء المتقدمين وكتبهم والثاني : ما ألفه هو بنفسه وأغلب هذا القسم الثاني . موجز جداً . والسبب في هذا أن شيخ الإسلام رحمه الله ما كان همه أن يؤلف مؤلفات طويلة وإنما كان يهتم أن يربى جيلا يطبق الإسلام بكامله بعد أن صار في بطون الكتب ولذلك اعتنى باختصار كثير من كتب المتقدمين حسب حاجة الناس وحاول في مؤلفاته ورسائله أن يؤدي مفهومه في أوجز كلام ممكن مع وضوحه وبيانه لكي يسهل على الناس حفظه وتطبيقه .

ولقد جمعت أسماء مؤلفاته من عدة من الكتب التي ألفت في سيرته (كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبد الغفور عطار وسيرة محمد بن عبّد الوهاب لأمين سعيد ومحمد بن عبد الوهاب للقاضي ابن حجر الشافعي والجزء الثاني عشر من الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي) فبلغت إلى تسعة وعشرين كتاباً ذكر المؤلف منها ستة عشر والباقي كمايلي :-

١ - مفيد المستفيد	٢ - أحاديث الفتن
٣ - آداب المشي إلى الصلاة	٤ - فضائل القرآن
٥ - مجموع الحديث على أبواب الفقه	٦ - مختصر صحيح البخارى
٧ - مختصر فتح الباري	٨ - مختصر الانصاف
٩ - مختصر الشرح الكبير	١٠ - مختصر العقل والنقل
١١ - مختصر الصواعق	١٢ - مختصر المنهاج
١٣ - مختصر الإيمان	

وإن المشكلة العويصة التي يواجهها الباحث عن تراث هذا الإمام العظيم والمجاهد الكبير أن مؤلفاته مطبوعة ضمن مجموعات طويلة من كتب الآخرين التى تتعلق بالدعوة . وهذه الطريقة لا شك في إفادتها لأنها تجمع عدة مؤلفات في موضوع واحد . ولكنها تأتى بكثير من المتاعب لمن يريد البحث عن سيرة هذا الإمام وخدماته فقط . وزيادة على ذلك أن أغلب هذه المجموعات نادرة لا يعثر عليها إلا القليلون . فلو قامت إدارات البحوث العلمية أو أى مؤسسة أخرى بنشر مجموعة أو سلسلة تحيط بكل ما وجد من آثار هذا الإمام وحينذاك سيسهل الأمر كثيراً على الباحثين والمستفيدين - والله ولى التوفيق (المترجم)

استدارك : لقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع ما أمكن من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وطبعتها مصححة في اثنى عشر مجلداً عدا الكشافات التى وقعت في ثلاثة مجلدات . وذلك بمناسبة الأسبوع الذى عقدته الجامعة عن الشيخ ودعوته في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض في الفترة من ٢١/٤ إلى نهاية ٢٧/٤/١٤٠٠هـ .

«الناشر»

الباب الرابع

الدعوة وحقيقتها

ألاعيب السياسة :

كان الشيخ محمد عبده (م سنة ١٣٢٣هـ) العالم المصلح فى مصر الجديدة والرفيق الخاص للسيد جمال الدين الأفغانى يستعيذ بالله من السياسة ومفاسدها وقوله معروف «ما دخلت السياسة فى شىء إلا أفسدته».

وهذا صحيح إلى حد كبير فإن أهل السياسة لا يفرقون بين الحلال والحرام في سبيل البلوغ إلى غاياتهم ولذلك فهم ينجحون فى مسخ الحقائق ولو إلى حين.

إن دعوة شيخ الإسلام التى تسمى «الوهابية» ليست شيئاً جديداً. فإنه لا يقدم شيئاً غير التعليم الصحيح للكتاب والسنة إلا أن دعوته أسيئت سمعتها بين الناس باسم الوهابية للأغراض السياسية. وكأنها دعوة إلى دين غير الإسلام.

ومن سوء الحظ أشتركت ثلاث طوائف في التشنيع على أهل نجد. فنشبت حروب مباشرة مع الحكومة التركية والمصرية واستمرت سلسلة الحرب مدة طويلة وحدث قتال مرة أو مرتين مع حكومة الهند أيضاً وهكذا اشتركت الحكومات الثلاث واتباعها بحماس شديد في هذه المهمة.

وزيادة على هذا كله اشتد غضب أشراف مكة وأنصارهم بسبب انقطاع مواردهم من الهدايا والنذور[1]. وكذلك عامة سياح أوربا من الانجليز وغيرهم ما كان بوسعهم

(١) كانت جماعة كبيرة فى مكة والمدينة تعيش على محاصيل القبور والقباب. وفى سنة ١٢١٨هـ عند الفتح السعودى انقطعت أرزاقهم فنصبوا العداء للدعوة وبدأوا ينشرون الأكاذيب فى كل مكان قال الجبرتي فى حوادث صفر سنة ١٢١٨هـ:

«حضر فى صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروباً من الوهابى ولغط الناس فى خبر الوهابى واختلفوا فيه فمنهم من يجعله خارجاً وكافراً وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه» (٢ : ٥٥٨ دار الفارسي - بيروت)

أن يلقوا نظرة رضى واطمئنان على هذه النهضة الدينية الصحيحة في جزيرة العرب. وملخص القول ان الدول والجماعات المختلفة لم تأل جهداً في التشنيع على دعوة الشيخ وذمها لأغراض مختلفة. وكان من نتيجة ذلك أن الوهابية صارت شيئاً مخيفاً. وعلى أثر ذلك سميت دعوة التجديد والإمامة التي قام بها السيد أحمد الشهيد البريلوي والشيخ اسماعيل الشهيد الدهلوي بالوهابية وجعلت كأنها دعوة خارجة عن الإسلام.

وكان من الممكن أن نلتمس الأعذار لقبول هذه التهم المفتراة في الماضي. وذلك لأن كتب أهل نجد ما كانت توجد إلا قليلا وإن علماء نجد أنفسهم ما كانوا يهتمون بنشر الدعوة خارج بلادهم إلا قليلا. ولذلك كان من الممكن جداً لأي شخص أن يحمل آراء كاذبة بصدق نية وإخلاص. ولكن اليوم إذ انتشرت كتب الشيخ وكتب تلامذته وراجت فلا يقبل عذر الجهل وعدم العلم.

مذهبه الفقهي

بعبارة موجزة نستطيع أن نقول إن شيخ الإسلام كان يحب أن يرى الدين في صورته الأصلية وكان مولعاً باتباع السلف الصالح في العقائد والأعمال وكان يتبع مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (م سنة ٢٤٦هـ) في الفروع الفقهية. لكنه إذا وجد حديثاً يخالف مذهب الحنابلة فلا يمنعه مانع من العمل بذلك الحديث.

«وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة في الفروع ولا ندعى الاجتهاد. وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها. ولا نقدم عليها قول أحد كائناً من كان[٢]».

وانه يستدل في بعض الأحيان بأقوال الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم إلا أنه لم

(٢) الهدية السنية: ٩٩.

يعلق ربقة تقليدهما في عنقه. فإنه يقتدي بابن تيمية وابن القيم حيث وافقا الكتاب والسنة حسب علمه. ولكنه يحب ذلك الإمام أو العالم لأنه يسعى إلى العمل بالكتاب والسنة على وجه تام.

«الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبهم عندنا من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة[٣]».

والحقيقة أنه في الفروع الفقهية يتبع المذهب الحنبلي إلا أنه لا يجبر الآخرين على اتباعه فهو يطلب من الشافعي أن يكون شافعياً ومن الحنفي أن يكون حنفياً. ان البدع والتقاليد الواهية لم يجزها أي إمام ومن هو أشد من فقهاء الحنفية فى تحريم الأغاني والمزامير؟ ولكن الذين ينتسبون إلى المذهب الحنفى أمام أعيننا هل تركوا شيئاً؟ وما الذى لم يرتكبوه؟ ولتوضيح مذهب الشيخ الفقهي نذكر نصاً آخر:

«ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأربعة دون الغير لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة.. الخ.

ولا نستحق الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيه. إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الأربعة أخذناه وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة فإنا نقدم الجد وان خالف مذهب الحنابلة[٤].

---

(٣) الهدية السنية: ٥٣.

(٤) تاريخ نجد للالوسي: ٥٤، ٤٦ وصيانة الإنسان: ٤٧١.

وقد ذكر مرغليوث فهرساً للخلاف بين الإمام أحمد بن حنبل والشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو مملوء بالجهل. فعلى سبيل المثال يقول: إن الصلاة مع الجماعة فرض عند الشيخ وليس كذلك عند الإمام. وهل هناك دليل أوضح من هذا على الجهل؟

مقالة «الوهابية» دائرة المعارف الإسلامية

العقـائد

إنـه فى باب العقـائـد على مذهب السلف وهو إقرار ما ورد من الصفات الإلهية فى القرآن والأحاديث الصحيحة كما ورد والتسليم به. والإيمان بظاهره مع نفى الكيفية. وهذا هو مذهب السلف فقد كانت مسئلة الصفات من المسائل التي اختلف فيها علماء الإسـلام فقـد نفت جماعـة الصفـات كلهـا حذراً من التشبيـه والتجسيم وهـو تعطيل البارى وجماعة أخرى أثبتت الصفات فوصلت إلى التشبيه والتكييف وهذا أيضاً تعد وتجـاوز عن الحـد فإن ذات الله سبحـانـه وتعـالى منزهة عن الجسمية. وأما الأشاعرة المتكلمـون فبـدأوا يؤولـون الآيات والأحاديث خوفا من التعطيل والتشبيه. فقالوا ان المـراد من الاستـواء هو الاستيـلاء وفسروا «يد الله» بالنعمة والقدرة ويزعمون ان المراد بقـولـه تعـالى «فـإنـك بأعيننـا» الحفـظ والرعاية.. الخ ولكن السلف ومن تبعهم لا يرضـــون بهذه التأويـلات. فمن أين علمتم أن ما أردتم من هذه الكلمات هو ما أراده الله تعـــالى. ثم ان المتأولـــين قد يضطـــرون إلى تأويـلات بعيـدة في بعض الآيـات والأحـاديث حتى أن القـارىء لا يتـمالـك من الضحك. وإذا راجعت كتاب مشكل الحـديث لابن فورك (م سنـة ٤٠٦هـ) تجد أمثلة كثيرة من هذا النوع الذي يتمخض فيـه الجبـل ثم لا يلد إلا فأراً. وان مسلك السلف بعيـد كل البعـد من هذا التكييف والتعطيل والتأويل ومن الممكن أن يعبر عن مذهب السلف بلسان ابن تيمية رحمه الله هكذا:

«ومـذهب سلف الأمـة وأئمتهـا أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيـــل. فلا يجوز نفي صفـــات الله تعـالى التى وصف بها نفسـه ولا يجوز تمثيلهـا بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ومـذهب السلف مذهب بين مذهبـين وهـدى بين ضلالتين إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات[٥].

(٥) الانتقاد الرجيح على حاشية جلاء العينين: ٤٠٣ (لصديق حسن خان رحمه الله).

وهكـذا فمـذهب السلف بين الإثبات والنفي فهم لا يؤولون اليد والعين وغيرهما من الصفات بل يؤمنون بظاهرها مع نفى التمثيل. أي أنهم لا يريدون بهذه الصفات ما يراد بها إذا أضيفت إلى الإنسـان. لأن الله منـزه عن الكيفيـة والجسميـة. فالله هو الذي يعلم الكيف والحقيقة وواجبنا هو الإيمان بدون أخذ ولا رد وخير ما يعبر به عن مسلك السلف الصالح هو قول الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة:

«الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[٦]».

ومذهب السلف هذا ليس مذهب الحنابلة فقط أو الإمام ابن تيمية أو الشيخ محمد ابن عبـد الـوهاب بل هو مذهب أئمة الإسلام قاطبة. الإمساك عن التأويل مطلقاً مع نفي التشبيـه والتجسيم. فالأئمـة أبـو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ومحمد بن حسن وسعد بن معاذ المروزى وعبد الله بن المبارك وسفيان الثورى والبخارى والترمذى وأبو داؤد السجتانى وغيرهم كلهم كانوا على هذ المسلك[٧].

والإمـام أبـو الحسن الأشعـرى نفسـه قد ثبت عنـه الـرجـوع ونقل تأييده عن إمام الحرمين وكان هذا هو مذهب جميع الصحابة والتابعين. ولقد انفتح باب التأويل بعد أن راجب سوق العقليات.

الأشاعرة المتأخرون وعامة علماء المسلمين المتأخرين كان مذهبهم التأويل. وكل ما يدرس الآن باسم العقائد في المدارس هو مذهب أهل التأويل هذا. لكن هذه المعاني هي أحـد احتـمالات تلك الألفاظ ويمكن أن تذكر عشرات من التأويلات غير هذه، فمن أين ثبت أن تأويلكم هو نفس المراد الإلهى. فإن كنا لا نجزم ـ وحقاً لا نجزم ـ

---

(٦) جلاء العينين: ٢١٢.

(٧) جلاء العينين: ٢٢٩

فلماذا نورط أنفسنا في هذا الخطر. فالأسلم أن نعتقد ونؤمن بكل ما ورد فى الشرع بلا تعطيل ولا تكييف كطريقة السلف. هذا هورأي الصالحين الأوائل وهو نفسه طريقة أهل التوحيد والسنة المخلصين وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه أيضاً يعتقدون هذا.

«. . . وبالجملة فعقيدتنا فى جميع الصفات الثابتة فى الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة نؤمن بها ونمرها كما جاءت مع إثبات حقائقها وما دلت عليه من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل[٨]».

ومذهب السلف فى باب الصفات مشهور ومعروف فحسبنا أن نقول إن شيخ الإسلام كان يعتقد عقيدة السلف. ولم يبتل أحد فى هذا الصدد بعد القرون الأولى مثل الإمام ابن تيمية (م سنة ٧٢٨هـ) فإن أفكار الأشاعرة والمتكلمين كانت قد استولت على الأدمغة وتأصلت في الأذهان إلى حد ان الناس كانوا ينظرون إلى طريق الحق أنه طريقة الجهال وناقصي العقول. وعلى كل حال فقد كان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب متمسكا بمذهب السلف بكل قوة كما كان الإمام ابن تيمية رحمه الله. وللتفصيل في هذه المسألة يرجع إلى كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للالوسى. فقد أتى المصنف الفاضل بخلاصة المسألة كلها. وقد ذكر نصوصاً من مؤلفات ابن تيمية وابن الجوزى (م سنة ٦٤٤هـ) والشيخ عبد القادر الجيلاني (م سنة ٥٦٥هـ) والإمام أبى الحسن الأشعرى (م سنة ٣٣٤).

التوحيد ومستلزماته

لقد اهتم الشيخ اهتماماً بالغاً في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد بل الأولى أن يقال إن كتبه كلها ليس فيها إلا التوحيد[٩]. فكانت دعوته دعوة التوحيد وكان شعاره «لا إله إلا

(٨) الهدية السنية: ٩٩.

(٩) هذا على سبيل المبالغة، فلا شك أن الشيخ يهتم بتصحيح العقائد أكثر من أى شىء آخر ولكن مع ذلك فله مؤلفات عظيمة فى الفقه والسيرة والحديث وغيرها» (المترجم)

الله». وكان يوضح معانى هذه الكلمة لكل واحد ويسعى إلى ترسيخ حقيقتها في الأذهان ولذلك كان متبعوه يدعون باسم الموحدين في بعض الأحيان. فما هو التوحيد؟

التوحيد هو إخلاص العبادة لله تعالى فقط. والأمر واضح جداً ولكن حبائل الشيطان واسعة جداً أيضاً. فكان يجب لإخلاص التوحيد ان يجتنب الإنسان جميع تلك الأعمال والأقوال التي يوجد فيها أدنى شبهة للشرك. وشيخ الإسلام لم يأل جهداً في توضيح هذه الأعمال والأقوال فقد بين مضراتها ومفاسدها. وحاول سد جميع الطرق التى تؤدى إلى هذه المفاسد. لكن الأمة التي كانت قد ظهرت برسالة التوحيد إلى جميع أنحاء العالم قد وضعت في شراك عبادة القبور والأضرحة وغيرها حتى أن نداء التوحيد لما قرع مسامعها أنكرته واستغربته فإذا قدمت إليها نصوص الكتاب والسنة أولتها. حتى أن زعماء التوحيد وحاملي لوائه قد استقبلوا بشتائم «الوهابي» ومشرك وخارجي وغيرها من الشتائم الفقهية والمذهبية فكانت جريمة شيخ الإسلام هي أنه جهر بدعوة التوحيد وأكد على الناس اجتناب الشرك وأنجاسه وذم الأوثان من دون الله ونهى عن الحلف بغير الله والنذر لغيره وعبادة القبور بكل تصريح ووضوح فإن كان هذا ذنباً فيجب على كل مسلم أن يرتكب هذا الذنب بكل إخلاص.

وفيمايلي نذكر بوضوح تلك الأمور الخاصة التي تبعد عن التوحيد وتقرب إلى الشرك في رأي شيخ الإسلام وأهل السنة:

١ ـ دعاء غير الله في المصائب أو دعاء غيره مع الله.

فأدعياء «العقيدة» الجهال أو ناقصوا الثقافة إذا دعوا غير الله في المصائب مثل: يا رفاعى، يا بدوى، يا عبد القادر، أو كما يقولون عندنا: يا رانا بير بهور، يا مخدوم، يا

«مخدوم منهجن» وغير ذلك. فهذا كله ليس منزهاً عن شوائب الشرك[١٠]. فإن جانب العبادة ظاهر في هذا النداء وإن كنا لا نبحث عن نية الداعي أومنزلة المدعو فمن الممكن جداً أن لا يقصد الداعي العبادة أو الاشراك ولكن العبد إذا نادى مخلوقاً آخر في المصيبة وطلب منه دفعها أو جلب منفعة فهذا يخالف التوحيد تمام المخالفة. وان ديناً كاملا كدين الإسلام لا يوجد فيه أي مجال لمثل هذا. فالذي يذكر غير الله فى المصائب لا يخلو من حالتين:

٢ - إما أنه جاهل لا يعرف التعاليم الصحيحة من الكتاب والسنة فاتباع شيخ الإسلام يحاولون أن يوضحوا له الطريق الصحيح ويأمرونه بأن يجتنب هذه الأمور فى المستقبل.

٢ - فإن كان أحد يدعو غير الله لدفع الضرر أو جلب الخير بعد أن عرف الأحكام الشرعية فإنهم يعتبرونه مشركا ولا يرضون بأى مجاملة أو مجاراة مع هؤلاء. ويحتجون بقول الله تعالى:

«والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير (٣٥، ١٤، ١٥).

٢ - الاستغاثة

أي طلب الغوث من غير الله فحكمه حكم دعاء غير الله. يقول أبويزيد البسطامي «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة لمسجون بالمسجون.»[١١] وروى

(١٠) ليس قصده أن هذا ليس من الشرك الذى وقع فيه من وقع وإنما مقصودة أن يتنزل مع هؤلاء في اعتقادهم ويدل على هذا آخر كلامه « فهذا يخالف التوحيد تمام المخالفة» فإذا كان يخالف التوحيد تمام المخالفة فهو شرك صراحة».

(المترجم)

(١١) جلاء العينين ص: ٢١٢.

الطبرانى عن النبي ﷺ أنه قال «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله تعالى»[١٢].

وملخص القول أن الاستغاثة بغير الله سواء كان حيا[١٣] أو ميتا حرام قطعا وينافى عقيدة التوحيد الإسلامى كل المنافاة.

٣ - التوسل:

وكلمة التوسل تستعمل لثلاثة معان.

١ - التوسل بطاعة الرسول ﷺ فهذا فرض ولا يكمل الإيمان إلا به.

٢ - التوسل بدعاء الرسول ﷺ وشفاعته. وهذا كان في حياته ﷺ وسيكون يوم القيامة حينما يتوجه الخلق يتوسل بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣ - التوسل الذي يتوسل فيه إلى الله تعالى بذوات الأنبياء والصالحين فهذا لم يعمل به الصحابة في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته، لا عند الاستسقاء ولا غيره، لا عند القبر ولا بعيدا عن القبر. لم ينقل عن الصحابة أي توسل غير مشروع في أى مناسبة، توسل كأنه يحلف فيه على الله تعالى بذات رسول أو ولى. وإن الأدعية المأثورة لا يوجد فيها أى أثر لهذا التوسل.

هذه هى الصور الثلاثة للتوسل فالصورة الأولى منها (أى التوسل بالإيمان برسول الله ﷺ وطاعته) مشروعة دائماً. والصورة الثانية أى التوسل بدعاء رسول الله ﷺ وشفاعته (لا ذاته) فهذا كان نافعاً ومطلوبا بلا شك في حياة الرسول ﷺ ومن أنكر

---

(١٢) جلاء العينين ص : ٣٠٣.

(١٣) الاستغاثة فى الشىء المقدور عليه من الحى الحاضر لا مانع فيها ولكن مقصوده الاستغاثة الواقعة فى عباد القبور الذين يستغيثون بالأموات والغائبين.

(المترجم)

التوسل بأحد هاتين الصورتين فهو كافر مرتد كما صرح به الإمام ابن تيمية رحمه الله ولكن قد تعذرت الصورة الثانية بعد وفاة الرسول ﷺ وقد نقل السلام على القبور وقول «السلام عليكم» لمخاطبة أهل القبور ولكن طلب الدعاء من الميت أو الغائب فهذه بدعة.[١٤]. ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جمع حافل من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بدون انكار أحد منهم :-

«اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[١٥]».

فلأمر ما توسل الصحابة بالعباس رضى الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ. ولما كان هذا التوسل بطلب الدعاء وهو متعذر بعد وفاة الرسول ﷺ توسل الفاروق بعم رسول الله ﷺ أى طلب منه أن يدعو.

أما الثالثة وهى التوسل بذوات الأنبياء والصالحين أى الحلف على الله تعالى باسم الأولياء والصالحين كأن يقول أحد: «أسألك بجاه عبدك أو بحرمته» فاختلف العلماء فيه. والرواية الصحيحة عند الحنابلة أنه مكروه تحريما وهو المنقول عن الإمام أبي حنيفة وغيره من فقهاء الحنفية. فالتوسل بالأنبياء أو الأولياء أو الأماكن المقدسة وطلب الدعاء بحقهم مكروه تحريماً عند الحنفية ويستدلون لاحق للمخلوق على الخالق وهذا حق واضح. وهو نفسه مذهب الإمام ابن تيمية رحمه الله وعليه عمل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومتبعيه فإنهم لا يبيحون التوسل بذات نبي أو ولي وإنهم لم يأتوا في هذا بشيء جديد سوى أنهم طبقوا ما اتفق عليه الحنفية والحنابلة.

والشيخ عز الدين بن عبد السلام هو الوحيد من العلماء المتقدمين من يبيح التوسل

---

(١٤) جلاء العينين: ٢٨٤.

(١٥) مشكاة المصابيح باب الاستسقاء.

بالذات المقدسة للنبي ﷺ[16] فإن قال أحد: «اللهم إني أتوسل إليك بنبيك وحبيبك محمد» (ﷺ) أو: «اللهم إنى أسألك بجاه صفيك ونبيك محمد» (ﷺ) فهذا جائز عنده. ولا عجب ان زل عالم مجتهد مثل عز الدين بن عبد السلام أمام الذات المقدسة والمرتبة العليا للنبي ﷺ.

ومن المتأخرين الشوكاني (م سنة ١٢٥١هـ) يبيح التوسل بالنبي ﷺ. أما التوسل بالأولياء والصالحين فلم ينقل عن أحد من الأئمة. فإن حاول بعض المتأخرين تجويزه فهذا ترويج لأمر مشتبه لا أصل له وفتح لباب البدع بدون فائدة[17].

وكل ما أقصده هنا هو توضيح مذهب شيخ الإسلام وليس هذا محل نقاش فقهى وسنذكر عدة كتب في باب المراجع تتعلق بهذا الموضوع. وكتاب التوسل والوسيلة للإمام ابن تيمية رحمه الله وغيره من مؤلفاته وفتاويه مملوءة من هذه المباحث. وعلى سبيل الإجمال يمكن الاستفادة من كتاب جلاء العينين (٢٦٩ ـ ٣١٥) للأدلة ومناقشات الجانبين.

٤ ـ الاستعاذة

من مقتضيات التوحيد أن لا يتسعاذ بشيء من المخلوقين دون الله وأسمائه وصفاته. وبناء على هذا الأصل استدل إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله على أن القرآن كلام الله وغير مخلوق بحديث «أعوذ بكلمات الله التامات» أى أن كلام الله تعالى إن كان مخلوقاً يلزم أن الرسول ﷺ قداستعاذ بمخلوق حينما استعاذ بكلمات الله ومعنى ذلك أنه كان من المسلم به إلى ذلك الزمان أن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز.

(١٦) وهو أيضاً بشرط: إن صح الحديث «الدر النضيد: ٦».

(١٧) لقد أجاز الشيخ اسماعيل الشهيد فى الهند وأكثر علماء ديوبند التوسل بالأولياء والصالحين إلا أن القلب يأبى ذلك.

ولو لم يكن كذلك لرد عليه المخالفون. والقرآن نفسه يذم الكفار بأنهم يستعيذون بغير الله أي الجن:

«وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» (٧٢: ٦) ولذلك اعترض شيخ الإسلام على قول صاحب «البردة»:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولا شك بأن قوله «مالي من الوذ به سواك» لا يليق إلا بالله تعالى. وحتى الشوكاني مع تساهله في مسألة التوسل قد اعترض على هذا الشعر[١٨].

٥ ـ الحلف بغير الله

إن الحلف بغير الله أيضاً ينافي التوحيد وليست هذه المسألة مما اختلف فيه بل قد اتفق عليها العلماء لكن العوام بل حتى بعض الخواص قد وقعوا في هذه البلية. وجميع بلاد المسلمين قد راج فيها الحلف بالأنبياء والأولياء حتى لو أنكرت على أحد ونهيته عن هذا يتهمك باللا دينية أو على الأقل بالوهابية بدلا من أن يمتنع عنه، مع أن الترمذى أخرج حديث رسول الله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك[١٩]» فقد سمى الحلف بغير الله شركاً. وهل هناك نهي أشد من هذا. ولهذا قال أبو حنيفه:

« لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك».

(١٨) الدر النضير: ٢٩

(١٩) تحفة الأحوذى ٥ : ١٣٥. ونص الحديث هناك هكذا: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» وقال الترمذى: هذا حديث حسن.

«المترجم»

فلا يجوز عنده الحلف أو الاستغاثة بغيره أبداً. إلا أن الإمام أبا يوسف يبيح قوله «بمعاقد العز من عرشك» لأن مالك معاقد العز في العرش هو الله سبحانه وتعالى. ولا يراد من «معقد العز من عرشك» إلا الله تعالى ولكن الإمام أبا حنيفة يكره ذلك أيضاً. أما الدعاء بحق فلان فهو مكروه تحريماً عند الجميع كما مر من قبل.

فدعاء غير الله والاستغاثة بغير الله والتوسل بالأنبياء والصالحين والاستعاذة بغير الله والحلف بغير الله كل هذه الأشياء من نوع واحد. وكلها تحمل في طياتها جراثيم الشرك وتنافى التوحيد كل المنافاة. ولذلك لا يمكن أن تباح هذه التوهمات والخرافات في الدين الخالص وكل ما ارتكب محمد بن عبد الوهاب من جريمة هو أنه نهى عن هذه المكروهات نهياً تاماً وقد أنقذ بذلك عامة الناس ولو فى ناحية واحدة من الأرض.

٦ - زيارة القبور:

إن زيارة القبور مشروعة ولا شك بشرط أن لا تخرج عن حدود الزيارة. ويجوز للمسلم أن يزور قبور الأنبياء والصالحين وعامة المسلمين وحتى قبور غير المسلمين لمن أراد العبرة والعظة وزيارة قبور المسلمين سنة وقد رغب فيه الشرع لمن أراد أن يدعو لأهل القبور.

ومحمد بن عبد الوهاب واتباعه لا ينكرون زيارة القبور إلا أنهم يخالفون مخالفة شديدة تلك البدع التي تفعل عند القبور. فإنهم ينكرون على الذين يستغيثون بالقبور ويطلبون من الموتى دعاء وشفاعة. وزيارة القبور التي نراها في أيامنا ليست زيارة ولكنها ترويج لأسواق البدع والخرافات. فطلب الدعاء من صاحب القبر أو الدعاء بواسطته أو الدعاء عند القبر نفسه بقصد التقرب إلى الله كل هذه الأمور لا تجوز أبداً، والموحدون ينكرون كل هذا.

إن الأحـاديث قد نهت عن بنـاء المسـاجـد على القبـور وهي كثيـرة مشهـورة وصحيحة في هذا الباب[٢٠] ولذلك لم يتردد أتباع محمد بن عبد الوهاب فى هدمها لأنها محرمة في الشرع وقد اتخذت هذه القبور أوثانا بعكس ما أمر به الشارع تماماً. وهذا منكر فمن وجد قوة فعليه أن لا يتردد فى استئصال هذه البدعة.

واتبـاع محمـد بن عبـد الـوهـاب ليسوا هم الحكام المنفردين الذين اعتنوا بهدم القباب بل إنه كان من المعمول به من عصر الإمام الشافعي (سنة ١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) أي في أواخر القرن الثاني وقد ذكر ذلك الإمام الشافعي فى كتاب الأم بأن الحكام كانوا يهدمون ما بنى على القبور والفقهاء لا ينتقدون عليهم وذكر هذا القول النووى فى شرح مسلم[٢١].

وكذلك نقله ابن حجر الهيتمي فى الزواجر وذكر من أقوال الفقهاء:

«وتجب المبـادرة لهـدمهـا وهـدم القبـاب التي على القبـور إذ هي أضـر من مسجد الضرار. . الخ[٢٢]».

وبعد هذا التفصيل كله يتبين لكل بصير بأن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ما كان يدعـو إلى دين جديـد ولا أنـه أنشأ مذهباً فقهياً جديداً فهو نفسه على مذهب الإمـام أحمـد بن حنبـل (م سنة ٢٤١هـ) وإن دعوته هي دعوة الكتاب والسنة فقط. فكـل ما يريـده هو من الأحناف أن يكونوا حنفيين خالصين ويطالب الشافعيين أيضاً بهذا. فالذى يفعل الآن عند قبر الإمام الشافعي (م سنة ٢٠٤هـ) فى مصر هل كان

---

(٢٠) للتفصيـل فى هذا المـوضـوع يرجـع إلى كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للمحدث العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى. فإنه من أنفس ما رأيت في هذا الموضوع. وكذلك «زيارة القبور» لابن تيمية و«شرح الصدور فى تحريم رفع القبور» للشوكاني (المترجم)

(٢١) الهدية السنية: حاشية العلامة السيد رشيد رضا (م سنة ١٣٥٣هـ) ص: ٤٩.

(٢٢) الزواجر ١ : ١٦٣ مطبعة وهبة بمصر.

من الممكن أن يبيحه هو بأي صورة؟ وهكذا حال جميع الأئمة فإنهم ما كانوا يبيحون البدع ولا يتهاونون فيها ولا يمكن أن يكون هذا. فأتباع محمد بن عبد الوهاب إنما يدعون المسلمين أن ينتهوا من هذه البدع ويتركوها. والذى لا يمتنع بعد تنبيهات متكررة فإنهم يعاملونه بشدة. وشدتهم هذه في العمل توصف بعدة من الشتائم الفقهية، وعلى هذا الأساس افتريت عليهم افتراءات لا أصل لها بمجرد الظن والقياس. ومن الصعب جداً أن نذكر فى هذا الكتاب تلك الشتائم والافتراءات التى سودت مئات من الصفحات ولكن مع ذلك فسنقدم فى الصفحات الآتية نماذج من تلك الافتراءات الكاذبة.

الباب الخامس

افتراءات وأكاذيب

الوهابيـة

إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها «بالوهابية» ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها دين خارج عن الإسلام. واتحد الانجليز والأتـراك والمصـريون فجعلوها « شبحاً مخيفاً» بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامى في القرنين الماضيين ورأى الأوربيون فيها خطراً على مصالحهم ربطوا حبـالهـا بالـوهـابيـة النجـديـة فالحركة السنوسية في المغرب تناقض الدعوة النجدية في الفروع الفقهية ولكن مع ذلك يقال إنها نتيجة لدعوة شيخ الإسلام. وهذا بسبب ان الحـركـة السنـوسيـة مازالت خطـراً على الطليـان بسبب أعـمالها فى سبيل الجهاد مدة طويلة. وكذلك حركة التجديد والإمامة في الهند قد ألحقت بنجد إلحاقاً تاماً حتى زعم أهلها فضلا عن الآخرين أنهما واحدة. ولا شك أن المأخذ الأصلي (الكتاب والسنة) واحد ولكن توجد فروق واضحة فى أساليب الدعوة وطرقها مع توافقهما فى الأصول.

ولكن الحقيقـة التي لا تجحـد أن حركـة تجديـد الجهاد التى قام بها السيد أحمد الشهيد (سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م) والشيخ اسماعيل الشهيد (١٢٤٦) لم تتأثر أبداً بالدعوة النجدية[1].

وعلى كل حال فنظـراً إلى تلك المحـاولات التى بذلت لإظهـار الوهابية في صورة مذهب مستقـل وطـائفـة ضالـة هذا الاسم منتقد أشد الانتقاد ولكن بغض النظر عن هذه الأكذوبة والافتراء فلا أرى حرجاً في هذه التسمية. فلو كانت النسبة إلى داعي حركـة الإصـلاح والتجـديـد محمـد بن عبـد الـوهاب فكان ينبغي أن يقال لأصحابه «محمـديـون» ولكن من البـديهي ان الأعـداء ما كانت تتحقق غايـاتهم فى تسميتهم بالمحمـدى. ولـذلـك نسبـوا هذه الجـماعـة إلى والده وهو الشيخ عبد الوهاب وهكذا اشتهـر هذا الاسم «الـوهـابي أو الـوهـابيـة» ثم راجت هذه النسبة حتى أن كثيراً من

(١) يوجد تفصيل هذه المسألة فى كتابي «الحركة الإسلامية الأولى فى الهند» و«نظرة على أفكار الشيخ السندى».

المؤرخين والمترجمين نسبوا راية التجديد والإصلاح إلى عبد الوهاب. وعلى سبيل المثال يراجع كتاب برائجس (٢ : ١٣٤).

ولقد بالغ برائجس[٢] (Rrydges) في زعمه الباطل حتى كتب «إن ولد صاحب الدعوة «محمد» كان ضريراً (ص: ١٣٤) وهذا باطل فى باطل، مع أن الصواب أن الشيخ حسين[٣] بن محمد بن عبد الوهاب وهو النجل الأكبر لشيخ الإسلام كان ضريراً. وإن «هنتر» أكبر خصوم المجاهدين فى الهند أيضاً مبتلى بهذا الوهم فإنه حينما يترجم إحدى رسائل الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب يصف المصنف بأنه حفيد مؤسس الجماعة[٤].

ولم ينفرد هذان بهذا الزعم بل هناك طائفة أبتليت بالوهم نفسه. فقد ذكر «ني بور» أول السياح الأوربيين الذين تجولوا في بادية العرب ـ أن مؤسس الجماعة هو عبد الوهاب ويقول ان ولده «يخلفه الآن[٥]» ومن الجدير بالذكر ان «ني بور» كان موجوداً في البلاد العربية سنة ١٧٦٤م أي قبل وفاة الشيخ بثمان وعشرين سنة.

ومن أغرب الأوهام ما وقع فيه رئيس المبشرين المسيحيين الراهب «زويمر» فقد ظن الوهابية أو الوهابي ديناً أو مذهباً مستقلا كما يشاع. ثم رأى أن الإمام ابن القيم (م سنة ٧٥١هـ) تشبه أفكاره وآراؤه الوهابيين فقال بدون تردد «إنه وهابي» ولكن يسمى نفسه حنبليا[٦]. ولكن المسكين لم يعرف ان إصطلاح الوهابية ما راج إلا بعد ابن القيم بأربعة قرون أو أكثر.

---

(٢) مرجع برائجس هو بروك هارت وهو أيضا يصف عبد الوهاب بأنه مؤسس الجماعة (٢ : ٩٦) بل لقد تجاوز إلى حد أنه اخترع فرعاً خاصاً في قبيلة بني تميم باسم «الوهابي» Wahhabia ص : ٩٧.

(٣) توفى سنة ١٢٢٤هـ

(٤) 1874 P. 68 (Bengal) General Asiatie Saeity

(٥) رحلة ني بور: ١٣١، ١٣٣.

(٦) المقتطف: ٢٧ : ٢٩٥.

ولم نجد حجة قاطعة تدلنا على أول من نادى بهذا الاسم ولكن الظاهر ان المخالفين اتهموهم بهذه التسمية في حياة شيخ الإسلام نفسه. وهذا هو رأي مرغليوث[٧]. ومع أنه ليس حجة في هذا الباب إلا أن هناك قرائن أخرى تؤيد هذا[٨].

وقد وردهذا اللفظ في قصيدة للملا عمران بن رضوان والغالب أنه أحد معاصري شيخ الإسلام[٩] فقد قال:

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر بإنني وهابي[١٠]

ومعاصر مصري آخر قد ذهب إلى هذا الرأي وأن الأعداء كانوا قد بدأوا في استعمال هذا اللقب في أيام الحروب الأولى[١١].

ولكن «ني بور» المعاصر الأوروبي لشيخ الإسلام لم يستعمل إصطلاح الوهابية أصلا[١٢]. فيظهر من هذا أن اصطلاح الوهابية لم يكن معروفاً إلى ذلك الوقت (١٧٦٤م). ولكنه يسمي دعوة الشيخ بدين جديد (New Religion) مع أنه فى النهاية يعبر عن «مذهب عبد الوهاب الجديد» بالمحمدية[١٣] وبعد مدة قصيرة من وفاة شيخ الإسلام نجد سائحين آخرين يتكلمان في الحركة النجدية ودعوتها وهما «على بيك

---

(٧) مقالة «الوهابية»

(٨) وهو الذي استظهره داؤد البغدادى (م سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م) فى كتابه صلح الاخوان. ينظر (ص: ٢١٩ (Notes on Mahammedanism).

(٩) مع الأسف لم نتمكن من معرفة عصره بالتحديد مع محاولة تامة وبعض القرائن الأخرى تدل أنه لم يكن معاصراً لشيخ الإسلام.

(١٠) الهدية السنية: ١١٠.

(١١) محمد حامد الفقي: ٦،٥.

(١٢) وهو السائح الأوربى الأول الذى ورد البلاد العربية. يراجع باب المراجع.

(١٣) المجلد الثاني: ١٣٣ ـ ١٣٥.

عباسى باديا» (سنة ١٨٠٧م) و«برك هارت» (سنة ١٨١٤م). أما (باديا) فقد وصل إلى الحجاز قبل احتلال المصريين ومع الأسف لم توجد رحلته الأصلية حتى نعرف هل استعمل هذا الاصطلاح أم لا؟ والمقتطفات التي أتى بها (هوغارث) لا تسفر عن رأي صحيح[١٤].

وأما برك هارت فقد جاء إلى الحجاز بعد استيلاء محمد علي المصرى في سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م وألف مذكرة في أخبار الوهابيين فى سنة ١٨١٦م وقد نشرت هذه المذكرة فيما بعد في مجلدين باسم (مذكرات في البدو والوهابيين) (Notes on The Bedouins and The Wahhabys) (سنة ١٨٣١م) وقد أكثر من استعمال كلمة (الوهابى) فقلما تجد صفحة من المجلد الثاني تخلو عن هذا اللفظ. وفى أيام قريبة منه رتب عبد الرحمن الجبرتي (م سنة ١٢٣٨هـ) تاريخه وهو أيضا يكثر من استعمال هذا الاصطلاح[١٥]. فيقول في حوادث سنة ١٢١٨هـ:

«وحضر صحبة الحاج كثير من أهل مكة هروبا من الوهابي ولغط الناس فى خبر الوهابى واختلفوا فيه.[١٦]

ويظهر من هذا ان هذا الاصطلاح كان شائعا أيام الغارة المصرية والكتاب فيما بعد يذكرون هذه الجماعة باسم «الوهابى» دائما. وقد قلنا آنفا إن مجرد التسمية لا حرج فيه ولكن هذا الاسم قد أشيع وكأنه مذهب خارج عن الإسلام. وهذا ما نشكو منه ولهذا أوليته عناية خاصة في صدد ذكر الافتراءات.

أول المفترين

وأول من بدأ نسبة الأكاذيب والافتراءات إلى شيخ الإسلام فى حياته هو سليمان

---

(١٤) ص: ٧٨ - ٨١.

(١٥) يلاحظ: المجلد الثالث: ص: ٢٣٢: ٢٣٥: ٢٥٢.

(١٦) عجائب الآثار ٣: ٢٢٥.

بن محمد بن سحيم[17] (م سنة ١١٨١هـ) وقد اتهمه بعدة أمور في رسالة متجولة في العالم الإسلامي.[18]

١ - هدم قبة زيد بن الخطاب في الجبيلة.
٢ - هدم مسجد عند القبر.
٣ - إحراق دلائل الخيرات وروض الرياحين.
٤ - تكفير ابن الفارض وابن عربي.

فقبور زيد وأصحابه غير معروفة أصلا. وأما قصة إحراق دلائل الخيرات وروض الرياحين فمن الافتراءات نعم لقد نهى الشيخ عن قراءة هذه الكتب. أما تكفير ابن عربى وابن الفارض وأمثالهم من المتصوفة فمنقول عن الشيخ فقد قال ابن عنام:

«وقد كفر الشيخ ابن عربى وابن الفارض وأمثالهما».[19]

---

(١٧) اسمه الكامل هو: سليمان بن محمد بن أحمد بن على بن سحيم وكان أبوه محمد بن أحمد أيضا من أعداء الدعوة. روضة الأفكار ١ : ٣٨. السحب الوابلة ص : ٣١٣.

(١٨) وقد ذكرت هذه الرسالة بكاملها فى روضة الأفكار ١ : ٤٢، ٤٣، و١ : ٣٧.

(١٩) روضة الأفكار ١، ١٥٨، ١٦٧، ١٩٨.

وليس الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو المنفرد في هذا الباب فقد سبقه جهابذة العلماء ونبغاء الأئمة ويقول البقاعى فى ابن عربى: وقد صرح بكفر هذا الرجل ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة من الضلال جماعة من العلماء والأعلام ومشايخ الاسلام. ويقول فى ابن الفارض فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا... الخ وقد ذكر البقاعي أسماء عشرات منهم ومن هؤلاء عز الدين بن عبد السلام وتقي الدين ابن الصلاح والقسطلاني وابن دقيق العيد وابن جماعة والسبكى والذهبي وابن حجر والعيني وولى الدين العراقى وعلاء الدين البخارى وغيرهم. وإذا أراد القارىء الكريم التوسع فى معرفة مفاسد هذه الطائفة ومكائدها فليرجع إلى كتاب: مصرع التصوف للبقاعى بتعليق للعلامة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله وكتاب التصوف بين الخلق والحق للأستاذ محمد فهر شقفة وكتاب «هذه هي الصوفية» للشيخ عبد الرحمن الوكيل. (المترجم).

معاصرون آخرون وشتائمهم

وهناك معاصرون آخرون لشيخ الإسلام قد شاركوا ابن سحيم وأيدوه. إلا ان كتبهم ليس فيها إلا الشتائم والافتراءات وقد اشتهر منهم أحمد بن علي البصرى (سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٤٤م)[٢٠] ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق الاحسائي الحنبلي (سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م)[٢١]، عبد الله بن عيسى مويس (م سنة ١١٧٥هـ) وابن فيروز (م سنة ١٢١٦هـ)[٢٢].

ويأتي بعد هؤلاء في الدرجة الثانية: عفيف الدين عبد الله بن داؤد الزبيرى الحنبلي (م سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م) وأحمد عبد الله الحداد باعلوى التريمي الشافعى[٢٣] وسنذكر كتبهم في باب المراجع. وقد ذكر أكثرهم ابن غنام أيضاً[٢٤] ورد على قصيدة لابن فيروز أيضاً. أما شتائم هؤلاء فلا أجد فى نفسي جرأة لذكرها ولكن مع ذلك أرجو من القارىء الكريم أن يسامحنى إن ذكرت مثالا واحدا فقط لإظهار مروءتهم وأخلاقهم كما آمل من أهل العلم أن يعفونى.

يوجد تقريظان في كتاب «الصواعق والرعود»[٢٥] لعبد الله بن داؤد الزبيرى (م سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م) أولهما هو لمحمد بن فيروز الحنبلي (م سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) وقد كتب في ١٨ صفر سنة ١٢١٠هـ.

وفي بداية هذا التقريظ يبصر القارىء العبارة التالية ولعله يذوب حياء لمجرد رؤيتها ولكن نقل الكفر ليس بكفر فاضغط على قلبك واقرأ:

---

(٢٠) (٢١) (٢٢) لم يعرف تاريخ وفياتهم بالتحديد والسنون المذكورة هى سنو تأليف كتبهم وأن وجودهم ثابت فى هذا الوقت.

(٢٣) لم أتمكن من معرفة سنة وفاته على الصحيح إلا أن وجوده مؤكد في القرن الثالث عشر الهجرى.

(٢٤) روضة الأفكار ١ : ٢٠٩، ٢ : ٢١٤.

(٢٥) مخطوط فى المكتبة الشرقية بتنه: ١٢٣٨.

«. . بل لعل الشيخ (يعنى عبد الوهاب) غفل عن مواقعة أمه (يعني محمد ابن عبد الوهاب) فسبقه الشيطان إليها فكان أبا هذا المارد. . الخ».

إنا لله وإنا إليه راجعون ـ وهل يستطيع كبار المقذعين أن ينحطوا إلى هذا المستوى من الاقذاع.

هذا مكتوب سنة ١٢١٠هـ وفي حوادث سنة ١٢١١هـ أيضاً ذكر ابن غنام منظومة لابن فيروز هذا فيقول:

«وقد وصل إلينا من هاتيك الديار منظومة لابن فيروز متضمنة لأقبح العار. . الخ[٢٦]» ويتبين لنا من هذا أن التفحش كان من سجية هذا الرجل.

نماذج من الأكاذيب

١ ـ ادعاء النبوة

إن أعداء دعوة الشيخ إذا لم يجدوا مجالا للطعن فيه يقولون:
«لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعى النبوة إلا أنه تستر[٢٧]».

ويردد أحمد زيني دحلان هذا الاتهام نفسه بهذه الكلمات:

«والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك[٢٨]».

---

(٢٦) روضة الأفكار ٢ ص: ٢١٤.

(٢٧) مصباح الأنام «مخطوط» الورقة: ٥، ٦.

(٢٨) الدرر السنية ٤٦.

والغريب أن «ني بور» أيضاً اعتمد على هذه الشائعات وكتب:

«إن محمد بن عبد الوهاب كان يعظم الرسول إلا أنه ما كان يؤمن بالوحى أو الإلهام بواسطة الملائكة[٢٩]».

ونموذج قبيح من هذا القبيل نجده في مذكرات رافنشا (Rawensha) التي كتبها[٣٠] أثناء محاكمة الشيخ أحمد الله الصادِقْبورى[٣١] حينما كان حاكما لمديرية بتنة:

«ولقد كان هذا المصلح يرى أنه لم يوجد إلهام لأي إنسان على طريق مباشر من عند الله ولم يوجد أي كتاب يمكن أن يوصف بأنه إلهامى (Divine) ويظهر من هذا أن عبد الوهاب(؟) لم يكن يرى أن ثمة دين إلهي. فإنه إذ يسمي الدين المحمدي ديناً إلهيا فليس ذلك لأنه منزل من عند الله بل لمجرد كماله وشموله».

ويضيف إلى ذلك:

«إن المسلمين المثقفين (المحمديين) قد استقبلوا بحرارة في البدو الذين لم يسلموا أبداً بأن محمداً رجل مصطفى (Divine) ولم يؤمنوا بالقرآن بأنه كتاب إلهى».

ومذكرة هذا الرجل الذي كان يحكم مديريتنا فى سنة ١٨٦٥م مليئة من مثل هذه الجهالات وكذلك لقد تفضل «المحسن المعروف» على مجاهدي الهند «سير وليام

---

(٢٩) رحلة فى بور ٢ : ١٣٤.

(٣٠) كلكته كزت عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٦٥ ملحق ٤٣٧، ٤٤٥.

(٣١) كان الشيخ أحمد الله الصادقبورى أحد الأفراد البارزين فى بيت «صادقبور» وكان هذا البيت ذا صلة وثيقة بجماعة السيد أحمد الشهيد رحمه الله. ولقد حوكم بتهمة مؤامرة سنة ١٨٦٥م/ ١٢١٨هـ وعوقب بالنفى والسجن المؤبد من المحكمة العليا. فبقي منفيا فى جزر انديمان سبع عشرة سنة وتوفى هناك فى ذى الحجة سنة ١٢٩٨هـ «نوفمبر سنة ١٨٨١م» وللتفصيل يراجع كتابي: الحركة الإسلامية الأولى فى الهند.

ولسون هنتر» (W.W.Hunter) بمثل هذه الكلمات حيث قال في موضع آخر من كتابه[٣٢]:

«لم يؤمن البدو في يوم من الأيام بأن محمداً رجل إلهى ولا أن القرآن كتاب إلهي» . . . الخ[٣٣].

ولعله استقى هذه الأفكار من مذكرات رافنشا نفسه ومن الممكن أن يكون كل منهما قد أخذ من رحلة (ني بور) لأن أوربا أول ما عرفت هذه الجماعة عرفت عن طريقها.

٢ - إنكار الحديث

إن الزمان لغريب وإن نوادره لعجيبة. فالرجل الذى يقوم ويقعد وينام تحت ظل ظليل من سنة الرسول ﷺ وكأنها هي غطاءه وفراشه يتهم بإنكار الحديث. والفضل في هذا الافتراء يرجع إلى مصنف مصباح الأنام أحمد عبد الله الحداد باعلوى[٣٤].

وأعجب من ذلك أن هذا الاتهام الذي لا أصل له قد ردده كاتب معروف فى بلادنا (وهو عبد الله يوسف على) فى هذا القرن العشرين.

---

(٣٢) The Indian Muosalmans ص : ٥٥، ٥٦

(٣٣) مصباح الأنام ورقة: ٥، ٦.

(٣٤) وهذا أمر لا ينحصر في هذا الرجل فقط بل عامة المثقفين والعلماء فى بلادنا مبتلون بهذا. فلا يزالون يكتبون أمثال هذه الكلمات المكذوبة على هذه الجماعة وقد سبقهم المولوى فضل رسول بدايونى «م سنة ١٢٩٨/١٨١٢» فقد كتب كتابا يسمي «تصحيح المسائل درتردبد فرقة نجدية اراذل» «أي تصحيح المسائل في الرد على الفرقة النجدية الاراذل» ولكنه مجموعة خرافات ليس إلا. وكذلك معاصر آخر فى كتابه «آثار جمال الدين» يذكر فى حق هذه الجماعة أمورا لا أصل لها. «٢٣٦، ٣٣٧» فبيانه المشتمل على صفحتين مجموعة مؤلمة من لأخطاء والفهم السيىء حتى إنه لا يفرق بين عقيدة السنوسيين والوهابية النجديين ص : ٢٣٩.

«. . . وكان ـ كرامت علي ـ يؤمن بالأحاديث وقد رفضها الوهابيون. وأنه مؤيد للعقائد الصوفية القديمة[٣٥]».

وهذا مبلغ معرفة مترجمنا للقرآن الكريم عن جماعة إسلامية. ولكن تعالوا معنا نقص عليكم بياناً لراهب متعصب للمقارنة والعبرة فيقول هيوجز (Thomas Petric Huges) مقارناً بين الوهابية والبر وتستانت:

«إن الوهابية قد توصف في بعض الأحيان بأنها فرقة بروتستنتية فى الإسلام. . ولكن البون بينهما شاسع فالبر وتستنتية المسيحية ترى من الواجب رفض التعليمات التقليدية مع اعترافها بمرتبة الكتب الإلهامية المقدسة. وعلى عكس من ذلك فإن الوهابية تتمسك بالأحاديث أيضاً مع القرآن[٣٦]».

تكفير المسلمين وقتالهم:

ومن الاتهامات التي يتهم بها شيخ الإسلام وأتباعه أنهم يكفرون جميع أهل القبلة ويستبيحون قتل المسلمين وقد ردد هذا الاتهام في أوقات مختلفة مرات وكرات حتى أشيع فى حياة الشيخ نفسه وقد أنكر ذلك إنكاراً واضحاً صريحاً:

«وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر. . . سبحانك هذا بهتان عظيم[٣٧]».

ولكن مع هذا النفى الواضح الصريح فلا يزال يردد هذا الافتراء بين حين وآن مع زيادات أخرى وإليك بعض الأمثلة:ـ

(٣٥) انكريزى عهد مين هندوستان كي تمدن كي تاريخ «تاريخ الحضارة الهندية فى عهد الانجليز» ص: ١٩٢.

(٣٦) Dictienary of Islam ص: ٦٦١.

(٣٧) روضة الأفكار «ص ٤٧٩ بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد؟ المترجم».

قال ابن عابدين الشامي (م سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م) في حاشيته المشهورة رد المحتار:-

«كما وقع في زماننا في اتباع عبد الوهاب (؟) الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وان من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم . . . الخ[٣٨]».

أما أحمد زيني دحلان (م سنة ١٢٠٤هـ/١٨٨٦م) فكأنه يتقرب إلى الله بعداء هذه الجماعة وقد ردد هذا الاتهام مرات عديدة[٣٩].

والعالم السلفي المشهور في بلادنا النواب صديق حسن خان (م سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م) أيضاً لم يصل إلى حكم قاطع فى هذه الجماعة ولذلك توجد بيانات معقدة في كتبه المختلفة[٤٠] إلا أن كلامه طيب وأقرب إلى الحقيقة في «اتحاف النبلاء» ولكن مع ذلك فتهمة التكفير[٤١] غير المشروط لم تزل باقية فيه[٤٢].

---

(٣٨) رد المختار ٣ : ٣٠٩.

(٣٩) الدرر السنية ص : ٤٥، ٤٦ وخلاصة الكلام ص : ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢.

(٤٠) ترجمان وهابية، هداية السائل، موائد العوائد، التاج المكلل وغيرها.

(٤١) اتحاف النبلاء ص : ٤١٣.

(٤٢) لم يفصل المؤلف رحمه الله الكلام فى موقف صديق حسن خان رحمه الله فى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وإذا أردنا أن نفهم ذلك يجب أن تكون المقدمات التالية على بالنا.

١ - عاش صديق حسن خان فى مدة بين ١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ. وفى هذه المدة كانت الدول المحاربة قد استولت علي نجد وجميع ملحقاتها وكانت الدعاية والافتراءات قائمة على قدم وساق فى جميع العالم الإسلامى على أهل نجد حتي كان من الصعب جداً أن يتصدى المرء للدفاع عنها جهاراً وعيانا. حتى إن كتاب «صيانة الإنسان لما طبع لأول مرة لم ينشر باسم مؤلفه.

٢ - كانت القوة الحربية للمجاهدين فى الهند قد تشتت فى سنة ١٢٤٦هـ فى معركة بالأكوت أى قبل ولادة صديق حسن خان بسنتين ولكن سلسلة التعذيب والتشريد والنفي والقتل كانت مستمرة وبكل شدة في المدة

التى عاشها صديق حسن رحمه الله . حتى أن كل من رفع يديه في الصلاة أو جهر بآمين كان معرضا لأشد أنواع الأذى لأنه وهابي .

٣ ـ كان صديق حسن خان رحمه الله قد بلغ رتبة عالية فى أمور الدنيا مع منزلته العليا في العلم والتقى وهذا لم يرق الأعداء المخالفين فكانوا يترصون به الدوائر يتملقون لدى المستعمرين البريطانيين يتمنون اقصاءه من منصبه وكانت جريمته التى وشوا بها لدى المستعمرين بأنه ينشر المذهب الوهابى وأنه يريد أن ينظم حركة الجهاد الإسلامى . وما أحسنها من جريمة .

ومن هنا نعلم أن صديق حسن خان رحمه الله لم يكن فى موقف يستطيع أن يدافع عن هذه الدعوة كما تمكن من أتى بعده . فكان الشغل الشاغل لدى صديق حسن خان كغيره من زعماء الموحدين فى الهند فى ذلك الوقت هو الدفاع عن أرواح الموحدين فى الهند وأموالهم وأعراضهم الذين كانوا يؤخذون بجريمة «الوهابية» يقتلون وينفون ويشردون . ولذلك فالأمر الغالب فى كتاباته وكثير من علماء أهل الحديث في ذلك الوقت هو بيان أن الموحدين فى الهند ليست لهم صلة مع أهل نجد وهم كانوا على حق فى ذلك فالموحدون فى الهند لم يتعلموا عقيدتهم من أهل نجد ولكنهم تعلموها من الكتاب والسنة فالتقوا مع أهل نجد ومع غيرهم على جادة الحق وصراط الهدى .

ولكن مع ذلك لم ينحرف رحمه الله عن العدل والإنصاف بل دافع عن دعوة نجد وأبرزها فى كل مناسبة . فلقد ألف عدة كتب فى تراجم النبغاء من المحدثين والفقهاء والدعاة وأورد ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كل هذه الكتب وبتفصيل . وأسلوبه في كتاباته أنه يأتي بنقول المخالفين ثم يتبع بنقول من المؤيدين وهكذا يبين الحق للناظر والبصير . وما ذكره المؤلف رحمه الله أن اتهام التكفير والتجارى على قتل النفوس مازال باقيا فى كتابه «اتحاف النبلاء» هو من هذا القبيل . فقد أتى ذلك فى كلام محمد بن ناصر الحازمى من رسالته «فتح المنان» ولكنه سرعان ما اتبع ذلك بكلام الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب فى الرد على ذلك . وهذا دفاع مجيد وأسلوب حسن فى زمن لا يسمع فيه إلا التهم . وإلا فكيف يقال فيمن عين مؤلف «صيانة الإنسان» مشرفا على شئون التعليم في بلاده وأجاز الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بأنه لم يعرف الدعوة حق المعرفة . وللدلالة على ما قلنا نورد نماذج من كتابه «اتحاف النبلاء» نفسه مترجما بالعربية .

لقد ذكر رحمه الله أولا كلاما طويلا من كتاب «فتح المنان» ثم أتى بعد ذلك فقال : «وكثير من أهل العلم الذين لا يعرفون حاله (يعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب» حق المعرفة أو يعرفون ولكن غلب عليهم التعصب والهوى يكفرونه ويضللونه بدون حجة أو برهان من كتاب ولا سنة . ويتهمون كل موحد ومتبع بأنه من أتباعه . مع أن الواقع أن دعوته لم تتجاوز حدود اليمن والحجاز ولا أحدا من علماء الهند من ذلك الوقت إلى هذه الأيام تتلمذ عليهم ولا درس كتبهم ولا انتشرت مؤلفاته فى هذه البلاد . وبعد هذا كله فالزعم بأن الموحدين والمتبعين فى هذا البلد من اتباعه أو على عقيدته ظلم واعتداء على الحق والانصاف وهؤلاء لا يعرفون أن أحدا من الخلق لم يتعبد بأقواله وأفعاله ولا غيره من العلماء والفقهاء ولكنهم كلهم متعبدون باتباع القرآن الكريم وسنن الرسول الرحيم سواء خالف أحدا أو وافق . »

ثم أتي بكلام ابن عابدين الذى مر قريبا في الكتاب وعلق عليه :

١٢٥٠هـ) ـ فضلا عن الآخرين ـ لم يتمكن من معرفة صحيحة لمذهب أهل نجد في هذا الباب وهو نفسه يشكو هذا:

«. . . ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد وممتثلا لأوامره خارج عن الإسلام وتبلغ عنهم أشياء الله أعلم بصحتها[٤٣]».

ثم بعد قليل خالفه في قتاله لمن يترك صلاة الجماعة إلا أنه يبيح تكفير من يترك الصلاة[٤٤].

«وفى هذا الكلام وهم حيث ان اسمه محمد بن عبد الوهاب وليس عبد الوهاب. ومن هنا كان الواجب أن يقال فى النسبة إليه «محمدى» لا «وهابى» وهكذا بين ان كلامه لم يصدر بعد تحرى الحقائق وتحقيقها ثم أورد كلاما طويلا من رسالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التى ألفها لأهل مكة ورد فيها على التهم والأكاذيب. وعقب عليه بقوله:

«ومن هنا تبين ضعف تقرير ابن عابدين. حيث انه قد اتهم فى حياته بهذه التهمة فتبرأ منها وأنكرها. فليس من الانصاف أن يتهم بأنه أحدث دينا جديدا أو مذهبا غير سديد. وكذلك لا يصح زعم أن كل من نهى عن الشرك والبدعة فهو من اتباعه.»

اتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين ص: ٤١٣ وما بعدها المقصد الثانى فى ذكر أكابر المحدثين.

فأنت ترى أيها القارىء الكريم بأن هذا كلام فى غاية الصحة والانصاف. ولا نطيل الكلام بذكر نصوص أخرى والله أعلم. (المترجم)

(٤٣) البدر الطالع ٢ : ٥

(٤٤) المرجع السابق

لقد كتب الإمام الشوكاني كتابه البدر الطالع أيام كانت الحروب قائمة على قدم وساق بين الأمير عبد العزيز ابن سعود والشريف غالب وليس من الغريب فى هذه الأحوال أن تشتد الحرب النفسية وتكثر الدعايات والشائعات وخاصة على أهل نجد فقد امتلأت الدنيا بالافتراءات والأكاذيب التى نسبت إليهم وليس من الغريب أيضا أن تبلغ هذه الشائعات بلاد اليمن المجاورة ويبلغ إلى الشوكانى ما لم يعلم صحته ولكن مع ذلك نرى الإمام الشوكاني يتلمس الحقائق ويتنسم عطور العقيدة الإسلامية والتوحيد الخالص والفضل فى ذلك راجع إلى ما أعطاه

فإذا اتهم الأعداء أهل نجد بتكفير أهل القبلة فلهم نوع من الشبهة ويمكن التباس الأمر على من ليس له باع طويل في العلم. ونحن نذكر الآن مذهب أهل نجد بلسانهم وهو ليس بمذهب جديد ولكنه المذهب المشهور للحنابلة[٤٥] والظاهرية.

كان الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان المعمر النجدي (م سنة ١٢٢٥هـ) أحد تلامذة شيخ الإسلام قد عرض ثلاث مسائل على علماء الحرم الشريف في سنة ١٢١١هـ وإليكم ملخص المسألة الثانية منها بلسانه:

الله من الحظ الوافر في علوم الكتاب والسنة النبوية. ونرى هذا واضحا في تعليقاته على بعض هذه الأخبار فيقول: «ولقد رأيت كتابا من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب بعض أهل العلم وقد كاتبه رسالة في بيان ما يعتقد فرأيت جوابه مشتملا على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة فالله أعلم بحقيقة الحال» ٢/٧ ثم قال بعد ذلك:

«وفي سنة ١٢١٥هـ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله... وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة». كل هذا التحفظ والتوقف كان في بداية الأمر ولكن سرعان ما تبددت الظلمات وانقشعت سحب الشائعات والافتراءات وأدرك الإمام الشوكاني أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كل همه أن يعلي كلمة الإسلام ويطبقه في المسلمين عقيدة وشريعة وسياسة ونرى أثر هذا واضحا جليا في تلك القصيدة البليغة التي قالها الشوكاني حينما بلغه خبر وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وما أحسن ما قال:

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز ادوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرا بموته ... وغيب وجه الحق تحت الجنادل
أمام الهدى ماحي الردى قامع العدا ... ومروى الصدى من فيض علم ونائل
أمام السورى علامة العصر قد وتى ... وشيخ الشيوخ الجد فرد الفضائل

(٤٥) الشيخ رحمه الله لم يقل بتكفير من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - مثلا - على أساس أنه مذهب لأى طائفة بل إنما قال به لدلالة النصوص القطعية من الكتاب والسنة عليه.
«الناشر»

(أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو يقيم على شركه يدعو الموتي ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال وان قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم).

وفي هذه الرسالة أجاز ابن معمر النجدي قتال من ترك الصلاة كسلا ونقل الاجماع من الائمة ما عدا الزهري وأبا حنيفة[٤٦]. ولا يتسع المجال للتفصيل فى هذه المسألة إلا إنه هو المذهب المعروف للحنابلة وعليه عمل أهل نجد فإن كفر تارك الصلاة محقق عندهم[٤٧].

ومن لا يصل فهو لا شك كافر
كما قاله المعصوم أكمل سيد

وتأتي مسألة عباد القبور بعد تاركي الصلاة وقد سبق الشيخ في تكفيرهم معاصره ومؤيده فى رأيه محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعاني (م سنة ١١٨٢) فإنه لا يفرق البتة بين عباد الأصنام وعباد القبور[٤٨] وذكر الشوكاني رجوعه وخالف هذا التشديد على عباد القبور[٤٩] وقد نفى سليمان بن سحمان هذا الرجوع نفيا قاطعاً وهذا هو الأقرب إلى القياس[٥٠] فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يوافق الأمير الصنعاني في رأيه إلا أنه يشترط إتمام الحجة ولذلك لا يكفر جميعهم.

---

(٤٦) «الإجماع على تاركي الصلاة كسلا بخلاف أبى حنيفة والزهري» وللتفصيل يراجع «الهدية السنية: ٦٩، ٨٦».

(٤٧) الهدية السنية: ١٠٥

(٤٨) تطهير الاعتقاد: ١٢

(٤٩) الدر النضيد: ٣٤، ٣٥.

(أ) هذه ترجمة لما وجدته فى نص الكتاب المطبوع باللغة الأردية فى باكستان عام ١٣٩٥هـ وليس لدى الآن نسخة أخرى منه. ويبدولى أن هنا شيء من الاختلال أو التحريف فى العبارة. فالشوكاني حينما ذكر الرجوع المنسوب إلى الصنعانى فى كتابه الدر النضيد أعقبه برد علمى بليغ مدعم بأدلة صريحة من الكتاب والسنة. والشوكانى أيضاً يرى ما رآه شيخ الإسلام رحمه الله وهو رأى مبنى على أدلة واضحة من الكتاب والسنة كما ذكره المؤلف فى باب حقيقة الدعوة. إذن فلا يمكن أن يسمى ذلك تشديداً. والله أعلم (المترجم).

(٥٠) تبرئة الشيخين الإمامين: ٨٢، ٨٣.

ومن جملة هذه الأكاذيب. . . ما ذكره ان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يسفك الدماء وينهب الأموال ويتجارى على قتل النفوس . . . وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار. وهذا كله كذب[٥١].

فأهل نجد ينفون اتهام التكفير العام نفياً قاطعاً وأما بعد إتمام الحجة والتبليغ فيظهر أنهم يقولون بالتكفير والقتال:-

﴿ فلم يكفر رحمه الله إلا عباد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم ممن أشرك بالله وجعل له أنداداً بعد إقامة الحجة ووضوح المحجة وبعد أن بدأوه بالقتال فحينئذ قاتلهم وسفك دماءهم ونهب أموالهم ومعه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة[٥٢] ﴾

وهنا عذر آخر زائد على إقامة الحجة وهو ان الأعداء هم بدأوا القتال. وفي موضع آخر ذكر من أقوال الشيخ:-

﴿فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الأولياء والصالحين. نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية[٥٣]﴾.

ومن هذه المقتطفات تبين لنا أن الشيخ وأتباعه يشترطون الابلاغ وإقامة الحجة قبل التكفير والقتال ولذلك نجدهم ينفون اتهام التكفير العام أشد النفي. نعم إنهم لا يرون عبادة القبور والأعمال الشركية الظاهرة كفراً عملياً فقط كما جرت عادة الناس التفريق بين الكفر العملي والكفر الاعتقادي[٥٤]. فهؤلاء يرون ان توحيد الربوبية

---

(٥١) تبرئة الشيخين الإمامين: ٨٥. (٥٢) تبرئة الشيخين الإمامين: ٨٦. (٥٣) الهدية السنية.

(٥٤) وذكرت مجلة إشاعة السنة (العدد الخامس من المجلد السادس سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) «أهل الحديث في الهند يخالفون وهابية نجد في هذا التكفير والقتال: ٢١٧». وقد أكد على هذا السيد صديق حسن خان في

وحده لا يكفي بل لابد من توحيد الالوهية أيضاً وهو شرط أساسي ولازم للإسلام ولا يمكن النجاة بمجرد الإيمان بأن الله هو الخالق والمدبر للكون فقد كان أهل الجاهلية أيضاً يؤمنون بتوحيد الربوبية ولكنهم كانوا يشركون في الالوهية ولذلك كانوا يسمون كل ما كانوا يعبدونه من الحجر والشجر (إلها) أما المشركون والجاهلون في هذا الزمان فإنهم احترزوا من تسمية غير الآلهة الها. ولكنهم أعطوهم جميع حقوق الالوهية ومستلزماتها كالنذر لهم ودعائهم والطواف حول قبورهم والذبح لهم وغيرها. وسموها باسم التوسل والاستشفاع ولكن الحقائق لا تتغير بتغيير الأسماء(٥٥).

هذا هو ملخص مذهب الشيخ وكتب الجماعة توضح هذه المسائل أكمل توضيح فكتاب ـ تبرئة الشيخين الإمامين ـ لسليمان بن سحمان خصص لهذا «٨٢ ـ ١٢٥» وسنذكر كتباً أخرى في باب المراجع وللتفصيل ينبغي الرجوع إليها. وينبغي أن نرسخ في أذهاننا أمراً واحداً فقط وهو أن أهل نجد لا يكفرون مسلمي العالم تكفيراً عاماً بل يكفرون فقط أولئك الذين يرتكبون أعمالا شركية ولا ينتهون عن غيهم حتى بعد

= «موائد العوائد» إلا أن أسلوبه معقد وبسبب اعتماده على كتاب الكولونيل فنديك [المرآة الوضية في الكرة الأرضية] كتب بعض الأشياء خطأ مما لا تصح نسبتها إلى أهل نجد (المؤلف) [راجع التعليق ص : ٢١١ المترجم].

(٥٥) لقد كتب المرحوم العلامة السيد رشيد رضا كلاماً طيباً في موضع من حواشيه على تبرئة الشيخين الإمامين فقال:

[السبب الصحيح لتسمية عرب الجاهلية كل شيء مما ذكر إلهاً هو أنهم أهل اللغة. وهذا معنى الإله في لغتهم للاشتراط في مفهوم لفظ الإله في اللغة العربية أن يكون هو الخالق والمدبر للخلق بل هذا يدخل في مفهوم اسم الله ولذلك دعاهم الرسول كما دعا سائر الرسل أقوامهم [أن لا تعبدوا إلا الله ما لكم من إله غيره]. وأما جهلة المسلمين الذين اتخذوا آلهة مع الله تعالى فلم يسموها آلهة لجهلهم باللغة كجهلهم بالشرع فظنوا أن الإسلام إنما ينهى عن تسمية غير الله إلهاً. وأما عبادة غيره كدعاء الموتى والنذر لهم وتقريب القرابين والطواف بقبورهم وغير ذلك فلا ينافي التوحيد عندهم إذا سمى توسلا أو استشفاعاً مثلا. وقد ينكرون كون أعمالهم هذه تسمى عبادة لجهلهم باللغة والشرع وبالتاريخ أيضاً. . . ولذلك قلت منذ أكثر من ربع قرن إن مشركي المسلمين الجغرافيين قد جنوا على الدين واللغة العربية ومشركي الجاهلية حافظوا على لغتهم فسموا كل شيء باسمه لأنهم أهل اللغة ـ ص : ١٤ ـ الطبعة الأولى مطبعة المنار]:

الـدعـوة والتبليـغ ويبيحـون قتال هؤلاء. وقد ردد الشيخ هذه الحقيقة أكثر من مرة في كتبه واستدل على ذلك بقتال أبي بكر رضى الله عنه ما نعي الزكاة[٥٦].

فالأقـوال والمقتطفـات التي مرت معنـا تنفي التكفير العام إذا نفت وإذا أثبتت فهو يتعلق بالذين يصرون على الأعمال الشركية بعد إقامة الحجة والتبليغ أيضاً.

فإذا وجـه الاتهـام وذكـرت غايـاته فالإنسان يستطيع أن يفكر في الأمر ومن الممكن جدا ان تبـذل جهـود لإزالـة سوء التفـاهم ولكن إزاء مجرد الظن السـوء بدون مسـوغ والافـتراء بدون أسـاس لا نملك سوى ان نظهـر أسفنا على هذا. وقد تألمنا ألما عظيما حينـما رأينـا بعض العلماء المعـروفين في بلادنا يحملون أراء عجيبة وغريبة حتى في هذا العصـر فقـول عالم مثـل الشيخ أنور شاه الكشميري (م سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م في الشيـخ: «أمـا محمـد بن عبـد الوهاب النجدي فإنه كان رجلا بليدا قليل العلم فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر»[٥٧].

مؤلم ومؤسف إلى أقصى الحـد. وإني لأتحـير كيف تجرأ الشيـخ أنور شاه أن يقول لمؤلف كتاب التوحيد بأنه «بليد وقليل العلم»؟.

أكاذيب مختلفة

لقد نسبت أمور لا أساس لها إلى الشيخ وأتباعه من أول يوم. وقد رد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب على افتراءات كثيرة من هذا النوع في رسالته التي كتبها لأهل مكة في سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م.[٥٨]

---

(٥٦) القواعد الأربعة. روضة الأفكار ١ : ١٣٧، ١٣٥، ٢ : ٣٢.

(٥٧) فيض الباري ١ ص : ١٧١.

(٥٨) لقـد ذكـر هذا الجـزء بكـامله الآلـوسى فى تاريـخ نجـد (٤٥ ـ ٤٩) والسيد صديق حسن خان فى اتحاف البلاء (٤١٤ ـ ٤١٦).

«وأما ما يكذب علينا سترا للحق بأنا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا . . . . . وأنا نضع من رتبة نبينا ﷺ بقولنا: النبى رمة في قبره وعصا أحدنا أنفع منه وليس له شفاعة وأن زيارته غير مندوبة . . . . وأنا مجسمة وأنا نكفر الناس على الإطلاق . . . . فجميع هذه الخرافات وأشباهها . . . . كان جوابنا في كل مسألة من ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم[٥٩].

هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ

ومما افتراه الأعداء من التهم المكذوبة أن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود (سنة ١٢١٨هـ/ سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) كان هدم القبة المبنية على القبر النبوى. والغريب أن المؤرخين الأوربيين يتلذذون بذكر هذه الأسطورة الباطلة. فنرى ستودارد «حاضر ١ : ٦٤» وهيوجز «ذكشنرى اوف إسلام : ٦٦٠» وزويمر «ص: ١٩٥» وبلنت «مستقبل الإسلام ص: ٤٥» ومرغليوث «دائرة معارف الأديان والأخلاق ٢ : ٦٦١» وجماعة أخرى غيرهم يرددون هذه التهمة المكذوبة بكل مناسبة وبدون مناسبة مع أنها باطلة أصلا ومفتراة قطعاً. فأهل نجد مهما كانت آراؤهم فى بنائها[٦٠] إلا أنهم لم يلقوا نظرة سوء على قبر الرسول في يوم من الأيام. فنجدهم يفرحون بذكر هدم القباب الأخرى وتوزيع الأموال المخصصة لها وهم يعترفون بكل ما ينسب إليهم في هذا. ولكن تهمة هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ فرية محضة وأسطورة لا أساس لها ولم يستطع برائجس الذى كان قد سكن بغداد والبصرة أيام ازدهار أهل نجد أن يصدق هذه الافتراءات إلا أنه لم يمتنع من اتهام أهل نجد فى نيتهم. فقال:

« لقد أراد ـ يعنى سعود بن عبد العزيز ـ أن يهدم القبة إلا أنه لم يتمكن من ذلك

(٥٩) الهدية السنية ص : ٤٦.

(٦٠) لقد اكتفى برك هارت شيخ برائجس وأستاذه «وأحيانا يأخذ منه برائجس حرفيا» بقوله: «إنه حاول هدم القبة العليا فى المقبرة أيضا» (Destroy) ج ٢ ص : ١٩٩ ولعل برائجس أراد التحشية عليه. ولكن هذا الخبر من برك هارت غلط يقينا. فإنه بنفسه يقول بعد قليل: «إن القبر لم يصبه سوء» ٢ ص : ١٠٩، ١١٠.

لأن القبة كانت محكمة أو أن آلات الهدم ما كانت ميسرة له وهكذا بقيت محفوظة».

وصاحبنا برائجس هذا سنعرفه وقيمة أقواله فى الباب الآتي ويكفى ان أذكر هنا أنه كان قد وصل إلى البصرة ١٧٨٤هـ وقامت له صلات بالعالم العربي في حياة شيخ الإسلام وبقيت مدة طويلة فى صور مختلفة.

شهادة انجليزي خبير:

هناك أكوام من الافتراءات والأكاذيب ولا يمكن إزالتها فلذلك نأتي إلى نهاية هذا الكلام بتقرير من برائجس وقد نفى فيه هذه التهم كلها.

«لقد أشاع الباب العالي أنه ـ أى سعود بن عبد العزيز ـ نهى الناس عن زيارة المدينة. إلا أن هذا ليس بصحيح فإنه نهى فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة كما نهى عنها عند قبور الأولياء الآخرين.

بعض الجهال يرونهم كفارا. وقد اعتمد الأتراك على الشائعات وروجها الأشراف إلا أن الحقيقة أنهم متبعون تماما للقرآن والسنة وكانت حركتهم حركة تطهيرية خالصة (Puritanism) فى الإسلام.»[٦١]

لقد كتب فرنسى أحمق في سنة ١٨٠٨م بأنه أنشأ مذهبا جديداً ونسخ الحج ويدعي أنه سمعه من رجل مقرب إلى سعود. وكل هذا كذب فإن الوهابيين يعتقدون ان السنة أمر أساسى مع القرآن (Fundameeter) ولكنهم يرون الأنبياء والأولياء بشراً. وما أعلنه سعود بعد فتح مكة يسلم الآن بأنه موافق الكتاب والسنة، والتدخين ممنوع عند المالكية وهم أيضا نهوا عنه!.

(٦١) المرجع السابق.

أمـا خبر تحريم القهـوة فغلط محض . والأتـراك أشـاعـوهـا دعاية ويجب على هذا الفرنسي الأحمق[٦٢] الذى ذكر نسخ الحج أن يعرف أن سعوداً نهى عن التقاليد القبيحة في الحج وان أول عمل عمله هو بعد دخوله مكة هو الطواف والعمرة[٦٣] » .

افتراء عجيب :

لقـد ذكـرت قصـة خيـاليـة بلسـان شيـخ بدوى في كتـاب الأئمة والسادة في عمان (Emams and Sayads of Oman) لسليـل بن رازق وهي «أن الـوهابيين يملكون ذلك الجـزء الـذى كان عثـمان رضى الله عنـه حذفـه عن مصحفه[٦٤] والعجيب ان المترجم نفسـه يضعف هذه الـروايـة [٦٥] ولعـل هذا هو السبب في أن أحـداً لم يرددهـا . ولكني ذكـرت هنـا لكشف الستـار عن الأعـمال التـافهـة والافتراءات الجنونية من الأعداء . والـذين يستطيعـون أن ينحطوا إلى هذا المستوى من الكذب والافتراء لا يرجى منهم أي خير» .

---

(٦٢) الف Roussau فى سنة ١٨٠٨م الكتابين التاليين وقد اتهم فيهما الوهابيين بأنهم يمنعون من الحج .

1 - P asbalike de Baghded

2 - A Memoris in the Min de, loriont

(٦٣) برائجس ص : ١٠٦ ، ١١٤ وبرك هارت ٢ ص ٢٠٠ ، ٢١٥ .

(٦٤) الكتاب المذكور ص : ٢٥١ ، ٢٥٣ .

(٦٥) الكتاب المذكور «حاشية » ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

الباب السادس

نظرة في المراجع

المراجع التاريخية

١ - روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وغزوات ذوي الإسلام لحسين بن غنام الاحسائي (م سنة ١٢٢١هـ).

وهو أوثق كتاب فى سيرة الشيخ لأن المصنف هو تلميذه وقد شهد جميع الحوادث وعاصرها. والكتاب يقع في مجلدين. ذكر في المجلد الأول سيرة الشيخ ودعوته وكذلك الرسائل التي كتبها في سبيل ذلك. حتى ان بعض الرسائل الطويلة قد ذكرت بكاملها. ويشتمل المجلد الثانى على تاريخ الحروب والحوادث المختلفة. وترتيب الكتاب باعتبار السنين يبتدأ من سنة ١١٦٠هـ وينتهي في سنة ١٢١٢هـ.

طبع في المطبعة المصطفوية فى بومبائي سنة ١٣٣٧هـ ولكنه الآن معدوم تقريباً[1] حتى ان بروكلمان أيضاً لم يطلع على هذه النسخة المطبوعة. وتوجد نسخة مخطوطة جيدة فى مكتبة ندوة العلماء بلكناؤ. وقد تمكنت من الحصول على النسخة المطبوعة من السادة شرف الدين وأولاده فى بومبائي. وأشكرهم على ذلك جزيل الشكر.

٢ - عنوان المجد فى تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي[2] (م سنة ١٢٨٨هـ) وقد

(١) ثم طبع فى سنة ١٣٦٨هـ على نفقة الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبي بطين فى مصر والغريب أنه قد كتب عليه «الطبعة الأولى مع أن الكتاب قد طبع من قبل فى الهند ولكنهم لعلهم لم يطلعوا عليه، ثم طبع طبعة ثالثة أنيقة بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد. والحقيقة أن علماء أهل الحديث في الهند لهم فضل كبير جدا فى طبع ونشر كتب التوحيد من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذلك كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله؛ وكل ذلك فى أحوال عصيبة وأيام شديدة. جزاهم الله كل خير.

(٢) ولقد وهم بروكلمان فخلط بين ابن بشر «المتوفى سنة ١٢٨٨هـ» وعثمان بن قائد النجدى الحنبلى «المتوفى سنة

أدرك المصنف عصر سعود بن عبد العزيز (سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م - سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م) وعصر أولاد الشيخ. والكتاب يبتديء بسيرة الشيخ وحوادث سنة ١١٥٨هـ وينتهي في المجلد الأول بحوادث سنة ١٢٣٦ وفي المجلد الثاني بحوادث سنة ١٢٦٧هـ. وقد فرغ المصنف من تبييض الكتاب في شعبان سنة ١٢٧٠هـ. ويفوق كتابه كتاب ابن غنام في تفصيل الحوادث وتنقيحها.

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى فى بغداد ناقصاً وذلك في سنة ١٣٢٨هـ. وعندي الآن نسخة كاملة طبعتها المكتبة السلفية فى مكة سنة ١٣٤٩هـ[٣].

وقد اعتمدت في الغالب على هذين الكتابين في تدوين الحوادث وهما الأصل والأساس في تاريخ دعوة الشيخ وآل سعود.

٣ - وزيادة على هذين الكتابين نسمع ذكر كتاب «مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد» لو عثرت عليه لاستفدت منه كأصل. وقد ذكره ماردتمان[٤] وخير الدين الزركلي[٥] ومؤلفه هو رشيد بن علي الحنبلي ولعله من معاصري ابن بشر ولكن من دواعي الأسف أنني لم أتمكن من الحصول على هذا الكتاب.

٤ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المصري (سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م - ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م) وقد رتب هذا الكتاب أيضاً بحسب

١٠٩٧هـ» كما ورد فى «السحب الوابلة» ورقة ٨٨ب» وهو صاحب كتاب «نجاة الخلف باعتقاد السلف» وبروكلمان: الملحق ٢ ص: ٥٣١».

(٣) وقد طبع الآن طبعة أنيقة جميلة بإشراف وزارة المعارف فى المملكة العربية السعودية. وهذه الطبعة تمتاز بتعليقات مفيدة على حوادث كثيرة ومن أهم مميزاتها أنها أخرجت «السوابق» التى كان يقحمها المؤلف إقحاما في أثناء الحوادث المستمرة وجعلتها فى آخر الكتاب.

(٤) مقالة «ابن سعود» فى دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) الإعلام ١: ٣٦٨ و٥٥٨.

السنين. فبدأ بحوادث سنة ١١٠٠هـ وانتهى في حوادث سنة ١٢٣٦هـ. وشهادته ذات أهمية خاصة فى غارات محمد علي باشا والصراع بين مصر وأهل نجد. وقد رجحنا روايات الجبرتي في مصر وما يتعلق بها.

طبع في مصر سنة ١٢٩٧هـ في أربعة مجلدات[٦].

٥ ـ خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام لأحمد بن زينى دحلان المكي الشافعي (سنة ١٢٣٢هـ ـ ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) وهو تاريخ كامل لأشراف مكة، فلم أجد تاريخاً مفصلا مثله فيما يتعلق بحكام مكة فى العصور المتأخرة. ولذلك فقد اضطررت إلى الاهتمام برواياته فيما يتعلق بأشراف مكة مع عدم ثقتى به. وقد ألف هذا الكتاب فى سنة ١٣٠٠هـ. وقال العلامة المرحوم السيد رشيد رضا في تعليقاته على الهدية السنية (ص: ٢):ـ

«وهو الذي كان مفتياً في مكة زمن ظهور الدعوة وكتب ما كلفه كتابته به سادته وموظفوه من الأمراء والحكام من غير تبيين ولا تثبيت فيما جاء به أولئك الفساق العظام».

وسواء كانت افتراءاته بإيعاز من غيره أو مبنية على اقتناعه ويقينه إلا أن القول بأنه كان مفتياً زمن ظهور الدعوة ليس بصحيح. فإن الدرعية كانت قد دمرت في سنة ١٢٣٣هـ. (١٨١٨م) وكان ظهور الدعوة قد انتهى مؤقتاً. وأيام كان المفتى أحمد زيني دحلان شاباً كان من المستحيل أن يمر نجدى واحد بمكة.

٦ ـ فتاوي وافادات عبد الوهاب... الخ (مخطوط فارسي)
وهي رسالة موجزة مخطوطة يوجد فيها مكتوب وبلاغ عام من الأمير عبد العزيز بن

(٦) ثم طبع طبعة ممتازة باهتمام «لجنة البيان العربي» في سبعة مجلدات (المترجم)

سعـود ١١٧٩هـ/١٧٦٥م - ١٢١٨هـ/١٨٠٣م) إلى فتح على شاه قاجار (سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٨م - ١٢٥٠هـ/١٨٢٤م) ويوجد في نهاية الرسالة جواب فتح علي شاه وتحذير منه مكتوب في سنة ١٢١٩هـ (١٨٠٤م).

والرسالة مخطوطة توجد في المكتبة الشرقية في بتنة. الفهرس الانجليزى المشروح رقم: ١٣٣٧.

٧ - البدر الطالع فى محاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكانى (سنة ١١٧٣هـ / ١٧٦٠م- ١٢٥٠هـ / ١٨٣٢م).

ولا يوجد فى كتابه إلا تراجم وجيزة لآل سعود[٧] ولكن مع ذلك هي ذات أهمية بالغة لأن المحدث الشوكاني عاش عمراً طويلا وقد شاهد ازدهار آل سعود من عصر شيخ الإسلام كما شاهد انحطاطهم (أي فى الدور الأول عند سقوط الدرعية: المترجم).

٨ - تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي (سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) وهو تاريخ موجز لنجد وقد بحثت فيه دعوة الشيخ وتاريخ آل سعود أيضاً. والمعلومات في الغالب صحيحة ومأخوذة من ابن غنام وابن بشر وله اطلاع على مؤلفات الشيخ وتلامذته.

طبع فى القاهرة سنة ١٣٤٣هـ.

٩ - الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني
يوجد فيه ذكر موجز ومرتب لحكومة الأشراف في مكة ولعله اعتمد في الغالب على

(٧) البدر الطالع ١ : ٣٦٣ و٢ : ٥

خلاصة الكلام لدحلان. وتعرض للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته أيضا. إلا أنه لم يلتزم الصحة في الرواية. (٩٣ - ٩٤).

طبع للمرة الثانية في مصر سنة ١٣٢٩هـ.

١٠ - حاضر العالم الإسلامي (٤ : ١٦١ - ١٧٢)

وقد كتب الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته فصلا خاصاً فيما يتعلق بالشيخ وآل سعود بعنوان «تاريخ نجد الحديث» واعتماده فى الغالب على مصادر أوربية ولذلك لم يسلم من الأخطاء. ولكنه مع ذلك محتمل ويجد القارىء صررة مجملة بقراءة هذا الكتاب.

الطبعة الثانية فى القاهرة سنة ١٩٣٢م.

١١ - الزهراء «عدد رجب سنة ٤٥هـ ص : ٣، ٧»

وفيها مقالة موجزة وجامعة للأستاذ محب الدين الخطيب عن الشيخ وسيرته. وقد أخذ في الغالب عن ابن بشر وابن غنام ولذلك روايته معتمدة وقد أحال إلى «مثير الوجد» أيضاً في بعض المواضع. ولقد استفدت منها كثيراً في الباب الأول من هذا الكتاب مع أن مراجعه الأصلية كانت بين يدي.

١٢ - أثر الدعوة الوهابية في جزيرة العرب لمحمد حامد الفقي

وهي رسالة موجزة ونوقشت فيها دعوة الشيخ بأسلوب مؤيد والمؤلف له روابط وطيدة مع علماء نجد ولذلك فالمعلومات كلها موثوقة ورسمية تقريباً. ولكن للأسف أنه لا يشير إلى المراجع أبداً.

وقد ألف معاصرون عرب آخرون عدة كتب أخرى إلا أن أحداً منهم لم يؤد حق البحث العلمي والتاريخي. ولا يسع لنا المجال الآن أن نعلق على كل كتاب[٨].

(٨) وقد اشتهرت من بين هؤلاء المعاصرين كتب الأستاذ أمين الريحاني وهو نصراني شامي وتلقت الأيدى طبعات =

١٣ - جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبة

وهو كتاب جامع. ومصنفه موضع ثقة عند الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود. والكتاب جيد وفيه معلومات غزيرة. وتوجد فيه ثلاثة فصول، في الدعوة «٣٣١ - ٣٤٧» وآل سعود «٢٤٣ - ٢٧٧» والاخوان «٢١١ - ٣٣٠» أيضاً. والأخطاء قليلة وقد وقعت في الغالب في تطبيق السنين. فقد ذكر تاريخ وفاة محمد بن سعود ١٧٦٦م وهو ١٧٦٥م «٢٤٤» وذكر وفاة الشيخ في ١٧٩١م (٣٣٨) والصحيح هو ١٧٩٢م. وتوجد أخطاء أخرى عادية ولكن من حيث العموم فالكتاب طيب.

١٤ - اتحاف النبلاء (فارسية ٤١٣-٤١٦) للنواب صديق حسن خان (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ) الطبعة النظامية ١٢٨٨هـ.

وقد ذكر أحوال الشيخ في هذا الكتاب أيضاً وبإنصاف إلى حد كبير وكذلك أورد ذكر الشيخ ودعوته في (التاج المكلل) و (موائد العوائد) وغيرهما من كتبه.

١٥ - ترجمان وهابية (اردو) للسيد صديق حسن خان أيضاً.

وتوجد فيه أمور متناقضة وغير متناسقة عن الجماعة. ولعله قد فزع بسبب الأحوال الخاصة التى كان يعيش فيها. غفر الله له[٩].

طبع فى أمرتسر سنة ١٩٣٠م

١٦ - سلاطين نجد كمذهب: «مجلة - معارف - عدد نوفمبر سنة ٢٤م»

مختلفة من مؤلفاته باللغتين العربية والانجليزية وقد رأيت من كتبه «ملوك العرب» ومباحثه أشبه بمراسلات صحفية فأسلوب الإنشاء جديد ممتع ولكن العمق والبحث العلمى مفقود.

(٩) يرجع إلى تعليق رقم ٣ ص ٢١١ - ٢١٣ [المترجم]

وقدم الأستاذ المحترم السيد سليمان الندوى في هذه المقالة صورة جذابة موجزة لدعوة الشيخ وأحوال آل سعود. والفقرة التمهيدية بالخصوص رائعة جداً. وقد أوردتها في صدر هذا الكتاب[١٠].

١٧ ـ تاريخ نجد «اردو» للحافظ أسلم جيراجبورى

كتاب واضح وموجز في سيرة الشيخ ودعوته وأحوال آل سعود. ومرجعه فى الغالب هو كتاب ابن غنام وابن بشر. والكتاب من حيث التاريخ لا بأس به وأسلوبه سهل وواضح مع أنه لم يسلم من الأخطاء.

١٨ ـ سلطان ابن سعود (اردو) للسردار محمد حسنى بي، أي.

ألف الكتاب في سيرة الملك ابن سعود (أى المغفور له الملك عبد العزيز: مترجم) وأورد فيه بابا عن دعوة الشيخ «٣٩ : ٤٥» وتعرض لتاريخ آل سعود وآل الرشيد أيضاً «٤٥ ـ ٧٠» ولكن الظاهر أنه اعتمد على الكتب الانجليزية فقط وكأنه لم يصبه أدني مس من العربية أو الإسلاميات. ومبلغ اطلاعه أنه يقول «مكرن» بدلا من «المقرن» و«مشعري» بدل «مشاري» و«طوهتيان» بدل ـ ثنيان ـ (٨) وكذلك ـ عيونية ـ بدل ـ العيينة ـ و ـ الحصاء ـ بدل ـ الحساء ـ ٤٢.

وأما الصحة التاريخية فتظهر من أنه يذكر سنة وفاة محمد بن سعود ١٧٦٤م وهو ١٧٦٥م. وتاريخ شهادة عبد العزيز بن سعود ١٨٠٢م وهو سنة ١٨٠٣م/ ١٢١٨هـ ـ ٤٣، ٤٤.

ومن الطرائف أن المؤلف يفيدنا أن الإمام أحمد بن حنبل قد ألف ـ مؤطا أحمد بن حنبل ـ ٤٥ ـ وبماذا أعلق على هذا؟

---

(١٠) لقد ترجم الشيخ اسماعيل الغزنوي كتاب الهدية السنية باردو والترجمة مهما كانت إلا أنه أدرج الفترة التمهيدية للسيد سليمان فى مقدمته كأنها من كلامه. سامحه الله.

فإذا كان هذا مبلغ الرجل من العلم فما الذي دعاه إلى أن يؤلف سيرة الملك ابن سعود. وقد ذكرنا كتابه هنا في مبحث المراجع التاريخية للعبرة فقط. ولعلنا لسنا الآن في حاجة إلى ذكر أكاذبيه - ١٦٢، ٢٦٤ - على الوهابيين -.

١٩ - رحلة ني بور:

TRAVELS THROGH ARAIB AND OTHER COUNARIES IN THE EAST

وهو أول سائح أوربي بحث في أحوال نجد ودعوة شيخ الإسلام في رحلته ومع أن بحثه موجز جداً - ج ٢ : ١٣١، ١٣٦ - ولكن مع ذلك فهو ثمين وقيم باعتبار أنه أقدم مرجع أوربى.

لقد خرج ني بور ورفقاؤه في سنة ١٧٦١م من الدانمارك ووصل إلى اليمن فى سنة[١١] ١٧٦٢م. ولكن خلال أشهر قليلة توفي جميع رفقائه في السفر وني بور[١٢] هوالوحيد الذي رجع حيا سنة ١٧٦٥م. ورحلته وثيقة تاريخية وجغرافية هامة في الأحوال الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية لبلاد العرب وخاصة اليمن. وقد أثنى كثير من المؤرخين على دقة نظره وصحة روايته[١٣].

---

(١١) كان فى صحبة ني بور فى هذه الرحلة العالم الألماني «رانكن» وذكر الأمير شكيب أرسلان أنه قابل حفيده. «ملحق تاريخ ابن خلدون ص : ٧٧»:

(١٢) ذكر الأمير شكيب أرسلان اسمه الكامل هكذا «Caresten Nie Bury: (ملحق تاريخ ابن خلدون ص : ٧٧).

(١٣) هوغارث ص : ٦٧ - ٧٣. وقد نشرت مجلة (اورينتل كولج لاهور) مقالة موجزة ولكن علمية للدكتور عنايت الله (لاهور) فى السياح الأوربين للبلاد العربية. (أعداد مايو سنة ٣٧م وأغسطس ٣٧م) والحقيقة أن هذه المقالة هى التى لفتت نظرى لأول مرة إلى رحلات السياح الغربيين ثم وجدت أضواء أخرى من كتاب البر وفسور هوغارث. كما سأذكره فيما بعد.

وفلبي أيضا يذكر أهمية ني بور وسبقته فى كتابه ص ٢٦ - ٢٧

وني بور بنفسه لم يصل إلى نجد ولكنه اعتمد في كتابته على ما بلغه من الأخبار ولذلك فلم يسلم من الأخطاء الفاحشة. ولكن تزداد أهمية كتابته بأنه وصل إلى البلاد العربية قبل أن يتسع نطاق الدعوة. فقد فتحت مدينة الرياض في سنة ١٧٧٣م -١١٨٧هـ - وكانت دعوة الشيخ محدودة قبل ذلك.

وعندى الترجمة الانجليزية لرحلة - ني بور - والمترجم هو - روبرت هير ون - (Robert Heron) طبعة ايدنبرا سنة ١٧٩٢م.

٢٠ - رحلة باديا (BADIA)

وهو سائح أوربي. نزل جدة باسم - علي بك عباسي - ثم زار مكة ومنعه الحكام النجديون من زيارة المدينة. وهو أول سائح أوروبى يقدم لنا بعض المعلومات عن - نجد الوهابي - وعاصمته الدرعية. والقسم التاريخى من هذه الرحلة ذو أهمية خاصة لأن الذى كتبه فى حكومة الوهابيين قبل التدخل المصري كله بمرتبة شهادة ممن عاصرها ورآها. ولكن من دواعي الأسف لم أتمكن من الاطلاع على رحلته وكل ما ذكرته عنه في هذا الكتاب فهو منقول من هوغارث[١٤].

٢١ - مذكرات فى البدو والوهابية: لبرك هارت المجلد الثاني - ٣٤٩، ٣٩٥ -

NOTES THE BEDOUINS & THE WAHABYS.
BY, BURKHARDT.

وصل هذا السائح الأوربي إلى الحجاز سنة ١٨١٤م حينما كان محمد علي قد نجح

(١٤) Penetration of Arabia ٧٨ - ٨٢

في إخراج «الوهابيين» من الحجاز ورجع إلى مصر سنة ١٨١٦م حيث توفي بعد مدة قصيرة وقد ذكر جغرافية مفصلة ومحققة لنجد والدرعية وبلاد العارض والتفاصيل التي يقدمها بركهارت في الأجزاء الأولى من رحلته (Travels in Arabia) في شأن مكة والحج في غاية الصحة. وكلامه في نظام الحكومة في مكة أيضاً دقيق وعلمي[١٥]. ويثني (ريتشارد برتن[١٦]) الذي قد سافر إلى مكة والمدينة بعد سنة ١٨٥٠م على بركهارت كثيراً. ومع دعاويه الطويلة في البحث والتحقيق لم يستطع ان يضيف قدراً يذكر على ما قاله بركهارت.

طبع المجلدان الأولان من رحلته في سنة ١٨٢٩م والمجلدان الآخران (....NOTES) في سنة ١٨٣١م. وهذه المجلدات الأربعة خزينة للمعلومات في جغرافية البلاد العربية وكل ما يتعلق بها. وكان بحثي يتعلق بالمجلد الأخير فقط. وحكاياته عن غارات محمد علي المصري على الحجاز ومعارك مصر ونجد في غاية الثقة وبمثابة شهادة عينية.

٢٢ - تاريخ موجز للوهابيين: لهارفورد جونس برائجس

A BRIEF HISTORY OF THE WAHHABYS.
BY:- W. GIFFORD PALGRAVE.

وصل هذا الرجل إلى البصرة سنة ١٧٨٤م حاكما عليها من قبل بريطانية وبقي هناك إلى سنة ١٧٩٤م. وبعد مدة قصيرة عين حاكما على بغداد واستمر بقاؤه هذه المرة من سنة ١٧٩٧م إلى سنة ١٨٠٦هـ. وفي كلا الموضعين كان وكيلا سياسياً. وكانت علاقاته حسنة مع سعود بن عبد العزيز.

---

(١٥) Travels ete ١ : ٤٠٤ - ٤٤٤.

(١٦) لقد سافر الكابتن «ريشاربرتن» (R. F. Burton) إلى الحجاز بعد أربعين سنة من سفر بركهارت ولكنه مع ذلك لم يكتسب شيئا جديدا ذا أهمية عن أهل نجد. وقد ظهرت طبعة جديدة ممتازة لكتابه في لندن سنة ١٨٩٣م.

ومن هذا التفصيل عرفنا أن برائجس كان قد وصل إلى البلاد العربية في حياة شيخ الإسلام نفسه وأدرك زمن الفتوحات الهامة لسعود بن عبد العزيز وهكذا كان الواجب أن تكون لكتابه أهمية عظيمة وقيمة تاريخية ولكن من دواعي الأسف أنه عار تماماً عن دقة النظر. وفي كثير من الأحيان ينقل عن بركهارت حرفياً مع أنه ورد الحجاز بعده ومات قبله.

طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٣٤م وكانت مؤلفات بركهارت قد ظهرت فى سنة ١٨٢٩م و ١٨٣١م. وهو معترف باستفادته من بركهارت وقد زاد عليه أحياناً[١٧] ولكن الحوادث المهمة بنصها وفصها من بركهارت.

٢٣ - رحلة بالغريف

NARRATIVE OF A YEAR'S JOURNY THROUGH, CENTRAL AND EASTERN ARABIA.

BY:- W. GIFFORD PALGRAVE.

كان نصرانياً كاثوليكياً قد تعود المعيشة المدنية وكان مترفاً بالطبع. قام بسياحة للبلاد العربية سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٣م وأثنى كثيراً على العرب المتحضرين سكان الحساء والقطيف وغيرهما، إلا أنه لا يملك كلمة واحدة يتلطف بها مع أهل البادية. وذم أهل نجد والشيخ محمد بن عبد الوهاب واتباعه ذماً شديداً.

ويرى زويمر - ١٩٨ هامش - وهيوجس - ٥٠ب - ان كثلكته هي التي تعمل

(١٧) تنتهى رحلة بركهارت فى أواسط سنة ١٨١٦ م وزاد عليها برائجس زيادة مهمة وهى أنه ذكر التفصيل الكامل لحصار الدرعية نقلا عن المؤرخ الفرنسى (M. Mengin) في كتابه «تاريخ مصر فى عهد محمد على» HISTORY DE l'EGYPT SONSLE GOVERNMENT (DE MHA MMEDALY) حرفيا ١٣٥ - ١٦١.

عملها في ذمه للوهابية. وكما يقول زويمر لا يمكن الاعتماد عليه إلا في حوادث سنة ١٨٦٠ و٦٣م. ولكني أرى أنه لا يمكن البت في أى مسألة اعتماداً على روايته فقط. وكل ما كتب في الشيخ إنما هو مجموعة خرافات ـ ٣٣٨، ٣٦٣ ـ وكذلك ما كتب فى تاريخ آل سعود مملوء من الأغلاط الفاحشة. وما أحسن ما كتب هيوجس.. إن رواياته طريفة لكن لا يمكن الوثوق بها[١٨]. ويقول زويمر ـ لم يكن من المتوقع من كاثوليكي أن يذكر التجديد والسلفية بخير[١٩] وكذلك هذيانه فى شأن الإسلام نفسه ركيك وساقط جداً ولا يستحق أي التفات. والحق أنه لم يستطع أن يعين معاصريه على الصحيح. فيسمى الشيخ ـ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ «عبد الرحمن ابن عبد الوهاب» ويصف ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أنه ابن عبد الرحمن بن عبد الله ـ ٢٧٩ ـ وزيادة على ذلك يقول ـ إن عبد الله بن عبد الوهاب(؟) قتل فى الدرعية بأمر من ابراهيم باشا ـ. والغريب أنه لقي الشيخ عبد الرحمن شخصياً فى الرياض.

طبعت رحلة بالغريف في مجلدين سنة ١٨٦٥م

٢٤ ـ بعثة سياسية إلى نجد: تأليف: ليوس بلي

كان هذا الرجل وكيلا سياسياً لحكومة بريطانية في «بوشهر» وقد ورد الرياض سنة ١٨٦٥م وذلك لإجراء محادثات مع فيصل بن تركي (م سنة ١٨٦٥م/ ١٢٨٢هـ) في شأن المدن الساحلية في الخليج. ولم أتمكن من الحصول على كتابه ولعله يشتمل على بعض الفوائد. وقد ذكره هيوجس ضمن مراجعه وتكلم هوغارث[٢٠] بكلام مستفيض في بعثة «ليوس بلي» وأشار إلى أهميته الجغرافية إلا أنه لم يتعرض لبحوثه التاريخية.

---

(١٨) NOTES ETC ٢٢١

(١٩) هيوجس ٩٨ هامش.

(٢٠) هوغارث ٣٠٨ ـ ٣١٠.

٢٥ ـ الأئمة والسادة في عمان: تأليف : ج . برسى بيدجر

IMAMS AND SAYEDS OF OMAN.

BY- G. PERCY BEDER

وهو في الحقيقة مترجم عن كتاب عربي لسليل بن رزيق. وفيه ذكر كامل ومفصل لأمراء عمان من بداية الإسلام إلى سنة ١٨٥٦م. وأضاف بيدجر في الترجمة الانجليزية مقدمة وتعليقات وناقش فيها جميع مواضيع الكتاب وأكمل تاريخ عمان أيضاً إلى سنة ١٨٧٠م. ولما كانت المدن الساحلية فى الخليج والجزيرة العربية ترتبط بروابط متينة مع دعوة آل سعود وازدهارهم وانحطاطهم فلذلك تعرض لتاريخهم أيضاً في بعض المواضع. وتعليقاته في الغالب علمية وطيبة ولكنه فى أكثر الأحيان يعتمد على بالغريف فيما يتعلق بنجد. ولما كان أغلب كلامه في التاريخ السياسي لآل سعود وتفصيل المعارك لم أستفد من الكتاب المذكور إلا قليلا.

طبع فى لندن سنة ١٨٧١م

٢٦ ـ رحلات في صحراء العرب: داؤتى

TRAVELS IN ARAIB DESERTA

BY:- CH.M. DOUGHTY

وصل «داوتي» إلى نجد بعد ثلاثة عشر عاماً من بالغريف أي في سنة ١٨٧٥م ومهما كانت أهمية رحلته فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية للبدو والبحوث الجغرافية واللغوية إلا أنه لم يترك شيئاً يذكر من تاريخ نجد سوى تكهنه هذا:

«لقد أوشكت الحكومة الوهابية على الهلاك. ولا يمكن أن تعاد إليها الروح من جديد. . . هذا هو الرأي السائد في نجد[٢١]».

إلا أن الأيام والوقائع قد كذبت هذا الزعم الفاسد.

طبعت رحلته في مجلدين سنة ١٨٨٦م و ١٩٢١م.

٢٧ - رحلة إلى نجد : تأليف الليدي آن بلنت

A PLIGRAMAGE TO NEJD
BY:- LADY ANNE BLUNT

لقد قام الخبير السياسي والشاعر المعروف «ولفرد سكاون بلنت» [Welfeed Scawn Blunt] وزوجته أليدي آن بلنت التى هي حفيدة الشاعر المعروف (بايرون) برحلة إلى بلاد نجد في سنة ١٨٧٩م ولعل رحلتهما كانت للبحث عن الخيل الجياد.

ولا يتعلق موضوعنا برحلة الليدي آن بلنت ولكن - ولفرد بلنت - قد عرض صورة لجغرافية نجد وازدهاره وانحطاطه فيما كتبه في المقدمة والملحق. (راجع المقدمة ١ : ٨ : ٩ : ١٠ والوهابية ٢ : ٢٥١، ٢٧١) ومع ان الأخطاء كثيرة إلا أن الكلام محتمل إلى حد ما. وكلما ورد ذكر (بلنت) أثناء الكتاب فالمراد منه هو هذا الملحق.

والرحلة الأصلية مطبوعة في مجلدين. لندن سنة ١٨٨١م

وكذلك تعرض (ولفرد بلنت) المذكور لدعوة الشيخ في كتابه مستقبل الإسلام

(٢١) ٢ : ٤٥٢.

(Fature of Islam : ٤٢ ، ٤٦ ، ١٠٦) وكلامه هنا أيضاً موجز جداً ولكنه محشو من الأخطاء والأكاذيب. ولم أتمكن من الإشارة إليها في باب الافتراءات. فإن ورد ذكر هذا الكتاب فى موضع ما فقد صرحت هناك باسمه الكامل.

وكانت بين يدي النسخة المطبوعة فى سنة ١٨٨٢م

٢٨ - قاموس الإسلام: تأليف تواس هيوجس

DICTIONARY OF ISLAM «WAHABIA»
BY:- THOMAS P. HUGES.

وهذه المقالة بقلم هذا المبشر البر وتستانتى أفضل من كثير مما كتبه كثير من علماء المسلمين فيما يتعلق بالدعوة وأهدافها. فإنه لم يخطىء في فهمها وقدم ملخصاً جيداً لدعوة الشيخ. نعم توجد بعض الأوهام فى التاريخ ولكن المسئولية في ذلك راجعة إلى برائجس وبلنت. وكلما جاء ذكر «هيوجس» أثناء الكتاب فالمراد به هذه المقالة.

النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٨٥م.

٢٩ - مقالة «الوهابي» من كتاب مذكرات في المحمدية (٢١٩ - ٢٢٦) لهيوجس المذكور

NOTES ON MOHAMMADANISM (THE WAHHABY)
BY:- T.P. HUGES.

وقد أورد في هذه المقالة فهرساً لأمراء آل سعود إلى سنة ١٨٧٤م مع ذكر العقائد والأفكار وفيها بعض الزيادات أيضاً التي لا توجد في المقالة السالفة الذكر (الوهابية -

في كتابه قاموس الإسلام) وبالخصوص فيما يتعلق بالمجاهدين في الهند. وكلما ورد ذكر هذه المقالة في الكتاب فهو بتصريح «المذكرات..»

طبعت فى لندن سنة ١٨٧٧م.

٣٠ ـ العربية ـ مهد الإسلام: لزويمر

ARABIA, THE CRADLE OF ISLAM
BY:- ZWEMER (P. 141 - 201)

وقد حاول زويمر مع تعصبه الشديد أن يفهم دعوة الشيخ. واستعرض أحوال العرب استعراضاً صحيحاً قبل هذه الدعوة (١٩٢ ـ ١٩٣). ووقع في ثلاثة أخطاء تاريخية فقط فى هذا الباب من كتابه.

١ ـ سنة الولادة سنة ١٩٦١م
٢ ـ السفر إلى بغداد
٣ ـ هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ

إلا أن تعصبه قد غلب على استنتاجاته. فيقول:

« لقد كانت هذه الحركة تجديداً للإسلام ولكنها قد انتهت بالخيبة وظهر أنها كانت تمثيلية سياسية فقط (١٩١، ١٩٢) الطبعة الثانية سنة ١٩٠٠م.

٣١ ـ جولة فى بلاد العرب: تأليف: هوغارث

THE PENETRATION OF ARABIA
BY:- DAVID GEORGE.

استعرض هوغارث في هذا الكتاب استعراضاً مفصلا ودقيقاً جهود جميع أولئك السياح الأوربيين الذين تجولوا في البلاد العربية خلال القرون الثلاثة الماضية وتركوا أي وثيقة مكتوبة في جغرافيتها أو تاريخها أو آثارها أو مجتمعاتها أو آدابها أو تقاليدها أو غير ذلك. وعلق أيضاً على مكتوبات أولئك الذين زاروا نجداً والحجاز أيام الشيخ أو أيام خلفائه. وقد قارنت أكثر من مرة نقول هوغارث بالكتب الأصلية ولكن لم أجد أي خطأ صغير أو كبير لا في النقل ولا في التعليق. ولذلك يمكن الاستفادة من هذا الملخص إذا لم توجد الرحلات الأصلية. وكلما جاء ذكر «هوغارث» فالمراد به هذا الكتاب.

طبع في لندن سنة ١٩٠٤م.

ولهوغارث كتاب آخر مختصر يسمى تاريخ العرب

A. HISTORY OF ARABIA

وفيه بابان يتعلقان بأشراف مكة (٨٢ - ٩٣) والوهابيين والمصريين (٩٩ - ١١٣) ولكن العجب أنه لم يستطع هنا أن يميز بين محمد بن سعود وعبد العزيز بن محمد بن سعود وسعود بن عبد العزيز تمييزاً صحيحاً (١٠٣).

٣٢ - العربية - تأليف: سانت جون فلبي

ARABIA
BY:- H.ST.J.PHILBY.

أورد فلبي في هذا الكتاب تاريخاً كاملا لنجد من حين دعوة الشيخ إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود. وكل ما

يتعلق بسيرة الشيخ ودعوته مأخوذ تماماً عن ابن غنام وابن بشر. والكتاب مفيد[٢٢] وثمين من كل ناحية. واستفدت منه كثيراً لكن مع النظر في المراجع الأصلية.

وهناك ناحية أخرى لهذا الكتاب، فالمؤلف يقصد أن الحكومة البريطانية تحتاج إلى متكأ في البلاد العربية ويظن أن ملك نجد هو أنسب رجل لهذا الغرض ولذلك نراه ينتقد البيت الأبيض والحكومة الهندية وحكومة البصرة وبغداد انتقادات شديدة إذ قدموا مساعداتهم إلى الشريف حسين ولم يهتموا بابن سعود. وملخص القول أن هذا الكتاب يلقي ضوءاً وافياً على السياسة البريطانية فى الجزيرة العربية. ولكن هذا الجانب من هذا الكتاب خارج عن نطاق بحثنا الآن.

٣٣ - مقالة «ابن سعود - وابن الرشيد» في دائرة المعارف الإسلامية لماردتمان

(IBN SAUD, IBN RASHID) INCYCLOPADIA OF ISLAM
BY:- J.H. MORDTMANN

هذه المقالات لهذا المستشرق الألماني - ماردتمان - جامعة وصحيحة إلى حد كبير. وجهوده في تعيين التواريخ والسنين تستحق الثناء. فلم يلتزم أحد قبله بتعيين التواريخ الصحيحة والتطبيق بين السنين الهجرية والسنين الميلادية. ولكن مع ذلك قد خالفته في بعض المواضع إلا إني قد استفدت كثيراً من مقالته - ابن سعود

٣٤ - موسوعة الأديان والأخلاق:

مقالات - الوهابية - و - الوهابيون - بقلم مرغليوت

[WAHHABIYAH] and [WAHHABIES]
BY:- D. S. Margoliouth

(٢٢) ولقد صرح قلبي بنفسه فى المقدمة (ص × أنه أول كتاب فى اللغة الانجليزية «رتب على أساس المراجع

وكلتا المقالتين مملوءتان من الأخطاء. وكل إنسان يخطىء ولكن صاحبنا هذا لا يعرف له مثيل في هذا المجال. فلا نجد هذا القدر من الأخطاء والجهل المركب في موضع آخر.

وكلما جاء ذكر مرغليوث وحده في هذا الكتاب. فالإشارة فيه إلى المقالة الأولى.

٣٥ ـ مذكرات رافنشا

MEMORANDUM
BY :- T. E. Ravenshaw.

وهذه المذكرات تتعلق في الحقيقة بمحاكمة الشيخ أحمد الله الصادقبوري وحركة التجديد والجهاد في الهند. ولكن مع ذلك نجد فيها افتراءات وأكاذيب كثيرة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته. وقد مر نموذج منها في الباب الخامس من هذا الكتاب. وطبعت هذه المذكرات كلها في ملحق لمجلة ـ كلكتاكزت ـ ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٦٥م.

٣٦ ـ المسلمون فى الهند: لوليام ولسون هنتر

THE INDIAN MUSALMANS
BY:- W. W. Hunter.

وهذا الكتاب أيضاً يتعلق بحركات المجاهدين في الهند. ولما كان هؤلاء يزعمون ان حركة التجديد والإمامة في الهند هي نتيجة لحركة شيخ الإسلام ودعوته يضطرون

= الأصلية» وهو محق فى قوله هذا. فلعلنا لا نجد معلومات صحيحة فيما يتعلق بالشيخ فى أى مصدر غربى كما نجدها فى هذا الكتاب.

إلى الكلام في دعوته[٢٣] وقد قدم هنتر ـ براهين ـ على جهله وعدم اطلاعه[٢٤] وقد مرت بعض النماذج من هذا القبيل في الصفحات الماضية. ومرجع هذه الأكاذيب هي مذكرات «رافنش» في الغالب إلا أنه لا يشير إليها.

طبع فى سنة ١٨٧١ م[٢٥]

٣٧ ـ الإسلام ونفسية المسلمين: أندرى سرفير

ISLAM & PSYCHOLOGY OF THE MUSALMANS
BY:- Andre Servier.

وصاحبنا هذا يهدى كل ما يستطيع من هدايا السب والشتم لمحمد بن عبد الوهاب وجماعته. وحتى الإسلام نفسه عدولكل رقي للجنس البشري فى زعمه «٢٦٤» والظاهر ان مرجعه هو بالغريف.

ومترجم من الأصل الفرنسى. طبع لندن في سنة ١٩٢٤م

٣٨ ـ انتشار الإسلام: ولسون كاش

THE EXPANSION OF ISLAM
BY :- WILSON Cash

---

(٢٣) وكل الكتب والمقالات التى ذكرتها تشترك فى زعم أن حركتي نجد والهند واحدة إلا أن بعضهم يوحد بينهما إلى حد الأصول فقط والأكثرون يزعمون أن حركة الجهاد والتجديد التى قادها السيد أحمد شهيد رحمه الله فرع لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهذا خطأ فاحش. وللتفصيل يراجع كتابى «الحركة الإسلامية الأولى فى الهند».

(٢٤) يراجع بالخصوص ص: ١١ وما بعدها في الطبعة الجديدة.

(٢٥) ولقد ظهرت الآن الطبعة الثانية من هذا الكتاب. وهى الآن عندي لدى المراجعة طبعت في كللتا سنة ١٩٤٥م.

ويرى هذا الرجل أن محمد بن عبد الوهاب كان يسعى «لإسلام عربي» ومثل هذه الأخطاء والأكاذيب كثيرة عنده. وقد ورد ذكر دعوة الشيخ في هذا الكتاب والذى قبله على سبيل الاستطراد.

THE ARAB'S PLACE IN THESUN. - ٣٩
BY:- Richard Coke

إنه تعليق موجز وحيد على الدعوة. وتوجد عنده بعض الأوهام العادية. وبعضها من قبيل القلب في الأسماء. فينسب أعمال سعود بن عبد العزيز إلى عبد العزيز «١٦٣» ولا يميز بين عبد الله بن سعود وسعود بن عبد العزيز تمييزاً صحيحاً «١٦٢».

تنبيه: الكتب المذكورة من رقم ٣٣ إلى ٣٩ ليست من المراجع والمآخذ ولكنها من كتب المطالعة العامة. ولولا الخوف من التطويل لأوردنا كتباً أخرى في هذا الفهرس ولكننا نكتفى الآن بذكر هذا القدر.

وقد وردت أسماء بعض الكتب الأخرى أثناء الكتاب مثل «حاضر العالم الإسلامى» لاستودارد

(The New World of Islam.
BY:- Lothrop Stoddard)

وغيره.

المراجع الدينية

لقد أُلفت مئات بل آلاف من الكتب في التوحيد والإنكار على البدع واستقصاء أسمائها من الصعوبة بمكان. وكتب الإمام ابن تيمية (م سنة ٧٢٨هـ) وتلميذه الرشيد الإمام ابن القيم (م سنة ٧٥١هـ) خصوصاً مليئة بهذه المباحث وأذكر هنا فقط تلك الكتب التى طالعتها في هذه الأيام واستفدت منها في فهم دعوة الشيخ:

٤٠ ـ الباعث على انكار البدع والحوادث: لأبى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن أبي شامة المغربي المتوفي سنة ٦٦٥. طبعة مصر سنة ١٣١٠هـ.

٤١ ـ تجريد التوحيد المفيد للشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفي ٨٥٤هـ طبعة مصر ١٣٤٢هـ.

٤٢ ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعاني المتوفي ١١٨٢هـ طبعة مصر ١٣٤٠هـ.

٤٣ ـ كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ المتوفي ١٢٠٦هـ. طبعة ١٣٤٤هـ. مع تعليقات الأستاذ المحترم الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي وكتب أخرى للشيخ.

٤٤ ـ الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ طبعة مصر ١٣٤٣هـ.

وطبعت له ترجمة في لغة اردو أيضاً بقلم الشيخ محمد على القصوزى ١٩٢٤م.

٤٥ ـ التحف في مذاهب السلف للشوكاني أيضاً ـ طبعة مصر ١٣١٠هـ.

٤٦ ـ مجموعة الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية للشيخ سليمان بن سحمان النجدي ومؤلف هذه المجموعة يعتبر من أشهر علماء نجد. وهو تلميذ الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ). وتوفي المؤلف في سنة ١٣٥٨هـ عن عمر يناهض ٨٦ عاماً حسب رواية الشيخ عمران النجدي.

وتوجد في هذه المجموعة الرسائل التالية:

١ ـ الرسالة الدينية في معنى الإلهية «٣ ـ ٢٨» للأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود «م سنة ١٢١٨هـ».

٢ ـ شيء من سيرة الشيخ وتعاليمه «٢٨ ـ ٤٠» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ «م سنة ١٣٠٤».

٣ ـ الرسالة الثالثة[٢٦]: «٤١ ـ ٥٥» للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وكتبت هذه الرسالة فى سنة ١٢١٨هـ لتعليم أهل مكة حينما دخلها سعود بن عبد العزيز فاتحاً في المرة الأولى.

٤ ـ الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب «٥٥ ـ ٩٠» للشيخ حمد بن ناصر بن عثمان المعمر النجدى «م سنة ١٢٥٥هـ».

وهذه الرسالة ألفت في سنة ١٢١١هـ حينما أرسل المؤلف إلى الحجاز موفداً من قبل الأمير عبد العزيز وناظر علماء الحرم.

٥ ـ الرسالة الخامسة (٩١ ـ ٩٩) للشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. وألفت هذه الرسالة في سنة ١٣٣٩هـ. والمصنف مازال حياً وسنه يناهض الآن الثمانين. (رواية الشيخ عمران النجدي) وقد ترجمت هذه الرسائل كلها بـ «اردو» بقلم الشيخ محمد اسماعيل الغزنوي» «سنة ١٩٢٧م» وتوجد بعض القصائد أيضاً في آخر المجموعة «١٠١ ـ ١١٢».

٤٧ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الطبعة الثالثة ـ القاهرة: سنة ١٣٥٧م.

٤٨ ـ جلاء العينين في محاكمة الاحمدين للشيخ نعمان خير الدين الالوسى «م سنة ١٣١٧هـ» طبعة بولاق ١٢٩٨هـ.

---

(٢٦) طبعت الترجمة الانجليزية لهذه الرسالة بقلم «اوكنلي» (J.O, Kinley) فى «جنرل ابشيائك وسائت» عدد ١ : ٦٨ ـ ٨٢. ١٨٧٤م. ولكن توجد فى الترجمة أخطاء مضحكة كترجمة «الأمهات الستة» (أى الكتب المهمة) فى الحديث بقوله (Six Mothers) ص : ٤٧. وغيره.

وقد وجدت هذا الكتاب مفيداً وجامعاً جداً ولذلك قرأته مراراً والمرحوم السيد رشيد رضا «م سنة ١٣٥٣هـ» أيضاً يثنى على هذا الكتاب كثيراً فى سيرته التى ألفها بقلمه[٢٧] (يراجع مجلة معارف عدد نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٨م).

٤٩ - الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح للنواب صديق حسن خان المتوفي سنة ١٣٠٧هـ طبعة بولاق ١٣٩٨هـ على هامش جلاء العينين.

٥٠ - تنبيه ذوى الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة لسليمان بن سحمان أيضاً (١ - ٨٠).

٥١ - تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين لسليمان بن سحمان أيضاً (٨٢ - ٢١٥).

وطبعت الرسالتان معاً في كتاب واحد. مصر سنة ١٣٤٢هـ.

ب:

٥٢ - كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (استشهد سنة ١٢٣٣هـ).
طبعة مصر ١٣١٩هـ.

٥٣ - منهاج التقديس والتأسيس فى كشف شبهات داؤ د بن جرجيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

---

(٢٧) ومثله كتاب «غاية الأماني في الرد على النبهاني» للعلامة محمود شكرى الألوسي رحمه الله فهو كتاب جامع ومهم جداً. يقول فيه أستاذنا العلامة الدكتور محمد تقى الدين الهلالى.

«وهذا الكتاب من أنفس الكتب السلفية. جادل المبتدعين من المتصوفة وشدد عليهم الخناق بعبارات بليغة كأنها عقود الجمان فى أجياد الحسان. فيه من المتعة والفوائد ما يقل نظيره في الكتب والمثل الانكليزي يقول ما معناه: ينبغى أن يكون الأصدقاء والكتب قليلين ولكن طيبين. وهذا المثل ينطبق على هذا الكتاب (الهدية الهادية ص: ٢٢).

ولعل المؤلف لم يطلع على هذا الكتاب ولذلك لم يذكره فى فهرس المراجع ولكنه طبع الآن طبعة ثانية وواضحة بفضل بعض المحسنين جزاهم الله خيرا «المترجم».

وهو رد على كتاب «صلح الاخوان».
طبعة بومبائي سنة ١٩٠٧م.

٥٤ ـ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان. للشيخ محمد بشير السهسواني المتوفي سنة ١٣٢٦هـ.

وهـذا الكتـاب ينسب[٢٨] فى الغـالب إلى الشيـخ محمـد بشـير السهسـواني ولكن النسخـة الموجـودة عنـدي كتب عليها اسم المصنف «عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم السندي. ولعله بسبب بعض المصالح[٢٩].

وهذه هي النسخة التي كانت فى يد الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
طبع المطيع الفاروقي في دهلي سنة ١٨٩٠م.

وقد ظهرت الآن الطبعة الثانية بعناية تامة فى مطبعة المنار سنة ١٣٥١هـ.

ونسب إلى المصنف الحقيقي. وتـوجـد أيضـاً مقدمة وتعريف بقلم العلامة السيد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٣هـ.

٥٥ ـ البيان المبدي لشناعة القول المجدي. لسليمان بن سحمان النجدى.

لقد ألف كتاب «صيانة الإنسان» للرد على كتاب «الدرر السنية» لدحلان ثم ظهر الـرد على «صيـانـة الإنسـان» باسم «القـول المجـدي» في الرد على عبد الله بن عبد الـرحمن السنـدي. وكتاب «البيان المبدي» هورد على كتاب «القول المجدي». طبعة أمرتسر ١٨٩٧هـ.

(٢٨) يراجع: تراجم علماء حديث هند. الجزء الأول، ص: ٢٥٥.

(٢٩) ومن الظاهـر أنـه كان حذرا من تلك العقـوبـات المؤلمة المنهكة التي كانت تنزل على هؤلاء المجاهدين الأبطال «بتهمة الوهابية» في عصر الاستعمار البريطاني على الهند مترجم.

٥٦ ـ الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية: لسليمان بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي المتوفي سنة ١٢٠٨هـ.

وهذه الرسالة هي لسليمان بن عبد الوهاب شقيق شيخ الإسلام. وكما مر من قبل أنه تاب ورجع في الأخير في سنة ١١٩٠هـ. (ابن غنام ٢ : ١٠٨) إلا أن أعداء الدعوة يتشدقون بذكر هذه الرسالة ولكنهم يسكتون تماماً عن ذكر رجوعه وتوبته. والظاهر أن الكتاب سمى بهذا الاسم في الأيام المتأخرة، لأن سليمان ابن عبد الوهاب كان قد أرسلها إلى أهل حريملة في سنة ١١٦٧هـ وكان الشيخ رد عليه أيضاً[٣٠]. ولم يكن لقب «الوهابية» معروفاً آنذاك.
طبع في مصر بدون تاريخ[٣١]

وأصل الرسالة موجزة ولكن أُلحقت بها عدة ملحقات مكتوبة بقلم يوسف الدجوي وغيره. وأكثر هذه الملحقات قد أُلفت بعد ظهور ابن سعود[٣٢].

٥٧ ـ تهكم المقلدين فى مدعى تجديد الدين. لمحمد بن عبد الرحمن بن عفالق الاحسائي المتوفى في حوالي سنة ١١٥٧هـ.
٥٨ ـ فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب. لأحمد القباني البصرى المتوفى تقريباً ١١٥٧هـ.

٥٩ ـ الصواعق والرعود لعفيف الدين عبد الله بن داؤد الزبيرى الحنبلي المتوفي سنة ١٢٢٥هـ.

مخطوطة في المكتبة الشرقية ببتنة رقم : ١٢٣٨.

---

(٣٠) روضة الأفكار ٢ : ٣٢، ٥٢.
(٣١) ومن المعلوم قطعا أنه طبع بعد سنة ١١٢٨هـ.
(٣٢) يعنى الملك عبد العزيز رحمه الله (المترجم).

٦٠ - «صلح الاخوان من أهل الإيمان» وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم. لداؤد بن سليمان بن جرجيس البغدادى المتوفى سنة ١٢٩٩هـ. وللرد على هذا الكتاب ألف الشيخ عبد اللطيف كتابه «منهاج التقديس» (بومبائي سنة ١٣٠٥هـ). وقد أشار الألوسي أيضاً إلى أخطاء مصنف صلح الاخوان فى كتاب جلاء العينين (٣١٥).

٦١ - الدرر السنية في الرد على الوهابية. لأحمد زيني دحلان المتوفي سنة ١٣٠٤هـ. وهي رسالة صغيرة وقد وردت بكاملها فى كتاب «خلاصة الكلام» لدحلان نفسه (٢٢٨ - ٢٦١) وقد ألف الشيخ محمد بشير السهسواني كتابه «صيانة الإنسان» للرد عليه. فرد عليه الحضرمى بكتابه «القول المجدي» فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان بكتابه «البيان المبدي» وكان لكتاب دحلان النصيب الأكبر في ترويج الأكاذيب في السنين المتأخرة أي منذ ستين أو سبعين سنة.

٦٢ - مصباح الأنام وجلاء الظلام للسيد أحمد عبد الله الحداد باعلوى[٣٣] مخطوط فى المكتبة الشرقية رقم: ١٢٠٥٨.

٦٣ - فتح المنان[٣٤] في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الاخوان لمحمد ابن ناصر النجدي المتوفى سنة ١٢٨٣هـ[٣٥].

---

(٣٣) وقد ذكر مؤلف مصباح الأنام «وكان من علماء القرن الثالث عشر» فى مقدمته أسماء عدة كتب ألفت فى الرد على الشيخ. ولكن لم يرد لها ذكر فى أى فهرس مثل:

(١) الصارم الهندى فى عنق النجدى للشيخ عطاء المكي.

(٢) رسالة للشيخ أحمد المصرى الإحسائي.

ومصباح الأنام مطبوع أيضا بروكلمان — : ٨١٣.

(٣٤) اتحاف النبلاء ص: ٤١٣.

(٣٥) لم أطلع على كتاب فتح المنان وكذلك كتاب صلح الاخوان.

وفيما يبدو من اسم الكتاب والنصوص المقتبسة الواردة في «اتحاف النبلاء» ان الكتاب قد أُلف فى صورة محاكمة.

وقد مر ذكر أكثر هذه الكتب في الصفحات الماضية فلا أرى حاجة إلى التعليق عليها أكثر من ذلك هنا في باب المراجع وعند البحث والاستقصاء يمكن أن يطول هذا الفهرس[٣٦] أكثر[٣٧].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(٣٦) وزيادة على ما ذكر قد استفدت من الكتب التالية أيضاً في أمور فرعية كتعيين الوفيات وتفصيلات أخري.

١ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي.

٢ ـ السحب الوابلة علي ضرائح الحنابلة. مخطوط في المكتبة الشرقية وقد جاوز مؤلفه الحد في الطعن فى الشيخ ودعوته.

٣ ـ معجم المطبوعات سركيس.

٤ ـ الاعلام للزركلى ٣ مجلدات.

٥ ـ تاريخ الأدب العربى للمستشرق الألمانى بروكلمان.

المجلد الأول والثاني ط سنة ١١٩٨هـ مع مجلدين من الملحق طبعة سنة ١٩٣٨م وبالخصوص المجلد الثانى

٦ ـ التقويم الهجرى والميلادى انجمن ترقي اردو

(٣٧) وهناك كتب عديدة ظهرت فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته نذكرها هنا زيادة للفائدة.

١ ـ محمد بن عبد الوهاب للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار.

٢ ـ محمد بن عبد الوهاب للقاضى أحمد بن حجر قاضي قطر.

٣ ـ سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأستاذ أمين سعيد.

٤ ـ محمد بن عبد الوهاب ـ العقل الحر والقلب السليم للأستاذ عبد الكريم الخطيب.

٥ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ سيرته ودعوته لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة وقد ترجم بلغة اردو أيضا.

٦ ـ محمد بن عبد الوهاب للأستاذ حسن بانبيله.

٧ ـ محمد بن عبد الوهاب للأستاذ على الطنطاوى.

﴿ الفهـــرس ﴾

الموضـــوع	الصفحـــة
مقـــدمـة بقلم معـالى الـدكتـور عبـد الله بن عبـد المحسن الـتركى مدير الجامعة	٣ - ٤
تقديم : بقلم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي	٥
كلمة المترجم	٩
بين يدي الكتاب	١٥ - ٢١
الباب الأول : الداعية : حياته وخدماته	٢٣ - ٦٩
الجزيرة العربية أيام ازدهار المسلمين	٢٥
محمد بن عبد الوهاب	٢٦
العالم الإسلامى عند ولادة محمد بن عبد الوهاب	٢٧
نجد قبل ابن عبد الوهاب	٢٨
ولادة محمد بن عبد الوهاب	٣٠
نشأتـــه	٣١
فى سبيل العلم	٣٢
فى ميدان الدعـوة	٣٤
فى العينية	٣٦
الدعوة تنفى من العيينة	٣٩
في الدرعـيـة	٤١
مساعدة الأمير محمد بن سعود	٤٢
الجيل الأول	٤٣
ابن معمر وندامته على صنيعه	٤٤
فى ميدان العمل	٤٥
اتساع الدعـــوة	٤٥

الموضـــوع	الصفحـــة

الدعـوة خارج حدود نجـد ٤٦
ابن دواس وأعداء آخرون ٥٠
الوفـــاة ٥٢
مزية عظيمة ٥٤
مزية أخرى ٥٥
أولاده وأحفاده ٥٧
الباب الثاني : في ميدان الحكم ..... ٧١ ـ ١٢٩
محمد بن سعود ٧٣
منع أهل نجد من الحج ٧٤
عبد العزيز بن محمد بن سعود ٧٤
أول حج بعد المنع ٧٦
أول وفد نجدى ٧٦
الجدب والاذن العام للحج ٧٨
وفد نجدى ثان ٧٩
وفد نجدى ثالث ٨٠
صلح بعد حرب ٨١
الحج سنة ١٢١٣هـ ٨٣
الحج سنة ١٢١٤هـ ٨٣
الحج سنة ١٢١٥هـ ٨٤
الغارة على كربلاء ٨٤
انتهاء الهدنة ٨٦
دخول مكة ٨٧
استشهاد الأمير عبد العزيز ٨٩
سعود بن عبد العزيز ٩١

الموضـــوع	الصفحـــة

دخول مكة ثانياً ٩١
الحجة الثالثة لسعود ٩٣
إصلاحات أخرى ٩٤
فتوحات وحروب أخرى ٩٦
رأس الخيمة ٩٧
غارة المصريين ٩٨
طوسون ومعاركه ٩٩
وفـاة سعود ١٠٢
كيف كان سعود يقضى يومه ١٠٣
عبد الله بن سعود بن عبد العزيز ١٠٧
صلح وخيانة ١٠٩
سفراء عبد الله فى مصر ١١٠
ابراهيم باشا ١١٣
الاستيلاء على الدرعية ١١٥
مصير عبد الله بن سعود ١١٦
مصير الآخرين ١١٧
تدمير الدرعية ١٢٠
تهنئة الحكومة البريطانية ١٢١
رثـــاء الدرعية ١٢٤
الغزاة المصريون ١٢٦
خيانة محمد على ومظالمه ١٢٨
الباب الثالث: المؤلفات ..... ١٣١ - ١٤٤
الباب الرابع: الدعوة وحقيقتها ..... ١٤٥ - ١٦١
ألاعيب السياسة ١٤٧

الموضـــوع	الصفحـــة

مذهبه الفقهى ١٤٨
العقائـد ١٥٠
التوحيد ومستلزماته ١٥٢
دعاء غير الله فى المصائب ١٥٣
الاستغاثة ١٥٤
التوسل ١٥٥
الاستعاذة ١٥٧
الحلف بغير الله ١٥٨
زيارة القبور ١٥٩
الباب الخامس : افتراءات وأكاذيب ..... ١٦٣ - ١٨٥
الوهابيـــة ١٦٥
أول المفترين ١٦٨
معاصرون آخرون وشتائمهم ١٧٠
نماذج من الأكاذيب ١٧١
ادعاء النبوة ١٧١
إنكار الحديث ١٧٣
تكفير المسلمين وقتالهم ١٧٤
أكاذيب مختلقة ١٨٢
هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ ١٨٣
شهادة انجليزي خبير ١٨٤
افتراء عجيب ١٨٥
الباب السادس: نظرة في المراجع ..... ١٨٧ - ٢١٧
المراجع التاريخية ١٨٩
المراجع الدينية ٢١١